افتتاحية العـــدد



■ إبراهيم بن موسى الحميد

أعطى تعدّد المناهج للفلسفة متانتها، ووهبها ذلك ولادة أفكار جديدة مستمرة تعكس وعي الإنسان بوجوده ودوره في عالم متغير ومستمر.. وكما يقول راسل "الرجل الذي ليس فيه مسحة من فلسفة، يعيش حياته رهيناً للأحكام المسبقة".

وقد كانت الفلسفة إحدى مسارات الثورات العلمية والمعرفية التي أدت إلى بروز الحضارة الغربية وتفوقها؛ فقد تغلغلت في تلك الأمم مانحة للعقل أهميته ومرجعيته، وقدّمت الكثير للإنسانية حين طرحت الأسئلة الوجودية والحياتية، وكل ما يتعلق بالإنسان والوجود والحضارة والتقدّم: ما أعطى الكثير لمعاني الحياة، للوصول إلى صناعة الحياة التي يحلم بها الإنسان، والتواؤم مع الواقع أو التمرّد عليه.

الجوانب المضيئة في طرح الأسئلة كبيرة: منها ما يستطيع الدخول بلا استئذان إلى ثقافتنا وحياتنا اليومية، ومنها ما يكرّس أهمية إيجاد العقل المبدع الذي يكسر تكريس وجود المعرفة وصناعتها على أمم بعينها، وقد بقيت أممٌ كبيرة ومنها الأمة العربية، أسيرة مكبّلة للواقع المعيش، لا تستطيع تجاوز عتمة التخلف التي غيّبت التحديث والنهوض.

لقد جاءت الفلسفة وسيلة استطاعت من خلالها المجتمعات الغربية القفز على واقعها مع اشتداد عود الثورة الصناعية من التفكير وطرح الأسئلة الوجودية، وكانت وسيلة لإعطاء العقل مكانته التي يستحقها.

وهنا، نجد أن الفلسفة محقة فيما أفضت إليه من تعزيز القيمة الحقيقية للفكر الإنساني، كما كان يشير ديكارت إلى أهمية إيجاد معرفة واضحة تبين أسباب الحياة والدافعية وأهمية التحرك وترك الكسل.

ولذلك، كان التفكير الحرّ القادر على إعادة النظر في الأفكار السائدة إحدى وسائل التطوير.

والتعليم الذي يمكن أن تقوم به المؤسسات التعليمية بقدرتها على نقل المعرفة واستيعابها.

لقد جاءت مضامين الفلسفة ومفاهيمها مهمة للوصول إلى اليقين بالوصول إلى التقدم المنشود من خلال الشكّ والأسئلة، حتى نستطيع الوصول إلى إيجاد أجيال عربية معدة علمياً وعملياً للوصول إلى مصاف الدول المتقدمة.

وكما تقول آمال جبور: إن الإنتاج الذي قدّمه الفكر الفلسفي عبر التاريخ مرتبط بوعي الإنسان وتطور أفكاره... محاولاً دائماً طرح أسئلته الفلسفية حول تطور وجوده ككائن اجتماعي فاعل ومغير في حركة التاريخ؛ لأن وجوده في النهاية أمر محدد ومؤقت. وكما يقول نايجل واربورتون: إن أحد جوانب الفلسفة تأمّل الفرد في موته المحتوم، وبهذا المفهوم تصبح الفلسفة محركاً أساساً للفرد والمجتمع لتغيير الواقع ومحاولة ترك بصمة.

نجد إجابات عديدة في الصفحات الآتية حول الأسئلة الكبيرة في الفلسفة الإسلامية ومرجعيتها الدينية، وتطورها ما بين ابن رشد والغزالي، ومعارضة الفلسفة، وحركة نقد الفلسفة، وريادية ابن تيمية في ذلك، وأسئلة التنوير ومتى يتحقق؟ وهل هناك مكانة للعقل المبدع الخلاق الذي يطرح السؤال في ثقافتنا.. ومن الفلسفة التراجيدية والتعصب والعقلانية وصولاً إلى الأصول التاريخية للفلسفة، والسياقات الاجتماعية والثقافية والسياسية والفكرية، وجدلية العلاقة بين الفلسفة والعلم منطلقاً من أن "الفلسفة أم العلوم"؛ إذ تربّعت الفلسفة على عرش المعرفة.. ونستشرف الوعي المشترك في الفلسفة مع دوستوفسكي، وفلسفة الكتابة الشذرية، والفلسفة والحياة بين الخير والشر، والفلسفة من الحياة إلى الفن.

يقول رينيه ديكارت: "أنا أفكر.. إذا أنا موجود"! ويقول نايجل واربورتون في الفيلسوف الجديد: "يمكن استيعاب حياتك فقط حين تكون على استعداد للتفكير في موتك".. وذلك لا يتناقض مع قول سينكا: "الحياة طويلة، إن عرفت كيف تستخدمها"!



متى يتحقّق التّنويرُ
في الثقافة العربية الإسلامية؟

■ كاهنة عباس*

إذا أردنا التفكير في الفلسفة اليوم، فعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار هذه الحقيقة التاريخية: أنَّ ظهورها وتطورها لم يكن له المكانة نفسها، ولا الصيرورة ذاتها في كل الثقافات وكل العصور.

من الصعب تعريف الفلسفة؛ لتباين آراء الفلاسفة واتجاهاتهم؛ لكن بالرجوع إلى المعنى الاشتقاقي لكلمة الفلسفة (philosophie) لدى اليونان، يمكن القول، إنها متكونة من لفظتين فيلو (Philo) وتعني المحبة، وصوفيا (Sophia) وتعني الحكمة، فيكون معناها: محبة الحكمة.

لقد عرفت الفلسفة مسارًا تاريخيًا في الغرب، أدّى إلى ظهور ثورات علمية ومعرفية؛ لاعتمادها على البحث الفكري وتساؤل الفلاسفة المستمر حول ماهية الإنسان وحقيقة العالم من حوله، بكل مظاهره وتحولاته وتاريخه.



وخلال نشأتها، اهتمت الفلسفة بطبيعة العالم ومكوناته، ثم تشعّبت مواضيع بحثها لتشمل معرفة الإنسان لنفسه، ثم معرفته لحقيقة الوجود، إلى أن أسهمت تدريجيًا -رغم ما عرفته من انتكاسات- في نشأة العلوم الصحيحة، ثم العلوم الإنسانية. لعل مقولة رينيه ديكارت الفيلسوف الفرنسي الذي عاش في القرن السابع عشر ميلادي، تعبّر أحسن تعبير عن مظاهر ذلك التطور في مرحلة ما من تاريخها، حين كتب في مقدمة كتابه مبادئ الفلسفة يقول: «إن الفلسفة بأسرها أشبه بشجرة جذورها الميتافيزيقا، وجذعها الفيزيقا، والفروع التي تخرج من هذا الجذع هي كل العلوم الأخرى، التي تنتهي إلى ثلاثة علوم رئيسة هي: الطب، الميكانيكا، والأخلاق، وأعني الأخلاق الأرفع والأكمل، والتي لما كانت تفترض معرفة تامة بالعلوم الأخرى، فقد

بلغت المرتبة الأخيرة من الحكمة»[1].

أدّى ذلك التطور إلى اكتساح العلوم لجانب كبير من موضوعات البحث الفلسفي، لدقة مناهجه وما حققه من نتائج؛ الأمر الذي قلّص من مجالها، وجعلها تنفصل عن العلم، لتكتفي بنقده وإعادة النظر في مناهجه ونتائجه ونظرياته، حتّى ذهب بعض المفكّرين إلى القول بنهايتها، لفقدانها الجزء الأكبر من مجال تخصصها.

والغاية من عرض هذه البسطة المقتضبة جدا لتطور الفلسفة، إنما هو التوصل إلى اختلاف مسارها التاريخي في الثقافة العربية الإسلامية، والتعرّض لركودها طيلة قرون، رغم الدور الذي اضطلعت به في تأويل الفلسفة اليونانية وإثرائها نظريًا وثقافيًا، بل وحتى تجاوزها في بعض الأحيان، إلا إن ذلك لم يمنعها من الخمود على امتداد قرون، إلى حد الاضمحلال، وفقدانها لكل دور تاريخي أو ثقافي يذكر.

أما عن مكانة الفلسفة في الغرب، فقد استطاعت التغلغل اجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا؛ نظرًا للدور الأساس الذي منحته للعقل، بوصفه المرجع والأساس، مع ما ترتب عن ذلك من أزمات ومراجعات، يجعلنا لا نتناول موضوع الفلسفة اليوم في مجتمعات العالم العربي من الزاوية نفسها؛ والسبب في ذلك، أن تلك المكانة ما تزال محلّ جدلٍ في ثقافتنا العربية الإسلامية التي لم تفرز علومًا، ولم تنتج ثورات، بعد أن اضمحلت؛ لذلك، لا يمكن الحديث عن أزمة الفلسفة، بل عن مدى حضورها واستفاقتها وكيفية الاستفادة منها؛ فما يعوز مجتمعات «العالم العربي» عن التطور إنما هو إهمالها لدور العقل الإنساني، بحرمان الفرد من كل استقلالية عن المؤسسات الأخرى، مثل: العائلة، والدولة، والطائفة، والقبيلة، أي عدم تمتعه بحيّزٍ من الحرية تجاه السلطة في جميع أوجهها.

والسؤال المطروح اليوم: ما هي مكانة الفلسفة في مجتمعاتنا اليوم؟

يعد التفكير الحر، القادر على إعادة النظر في القيم السائدة «تفلسفًا»، أي صنفًا من صنوف التفكير الفاقد لكل جدوى أو فائدة، من وجهة نظر اجتماعية؛ لأسباب عديدة، من بينها: عجزه عن إنتاج قيمٍ ثقافيةٍ جديدةٍ أو علوم، وعدم قدرته على إنتاج المعرفة، وبالتالي الثروة، دون السهو عن الأسباب التاريخية التي تعده ضربًا من ضروب الزندقة، على أساس تعارضه الجوهري مع الدين. لذلك، تبقى مؤسسة التعليم المجال الوحيد لممارسة التفكير الفلسفي، وبخاصة أنها مجبولة على اتباع مناهج التدريس التي غالبًا ما تعتمد النقل والتأويل والتفسير لما ألفه الفلاسفة السابقون، دون القدرة على خلق مفاهيم فلسفية جديدة، أو إنتاج فكر مجدّد ومستقل؛ ما أدى إلى ارتباط صفة الفيلسوف اجتماعيًا بصفة المدرس، بوصفها وظيفة هدفها نقل المعرفة واستيعابها دون تفكيكها ولا إنتاجها.

وصفوة القول، أن لا مكانة للعقل المبدع الخلاق الذي يطرح السؤال في ثقافتنا، إذ



يقتصر دوره على نقل المعرفة واستهلاكها. لذلك، لا بُدَّ من إعادة الاعتبار للفلسفة من منطلق جديد يتجاوز التدريس الأكاديمي وحدوده، كي يصبح فعلًا تحرريًا، منتجًا للمعرفة، قادرًا على تغيير علاقتنا بالعالم؛ ولكي تتحقق هذه الغايات، فلا بُدّ من توافر شروط عديدة، أهمها: أن ينفصل «فعل التفلسف» عن النصوص الدينية؛ إذ ما يزال الاتجاه الفكري الغالب باختلاف مناهجه وأدواته النقدية وخلفياته الأيديولوجية والفكرية منذ عصر ما سُمِّيَ بالنهضة العربية؛ أي منذ القرن التاسع عشر إلى اليوم، يعد أن تجاوز العالم العربي لتخلفه الاقتصادي وتبعيته للغرب، هو مرتبط في حقيقة الأمر، بإعادة قراءة النصوص الدينية قراءة تاريخية موضوعية، بما مفاده ضمنيًا، أن الفكر لن يتحرر إلا بالرجوع إلى النص الديني باقتصاره على فهمه وتأويله لإيجاد منافذ التحرر والتطور والتقدم.

لذلك، لا بُدّ من أن يصبح التفلسف فعلًا مستقلًا بذاته، ليعيد طرح كبريات المسائل من وجهة نظره، أن يتمتع بحريته الكاملة، وأن يكتشف إمكاناته، التي ما يزال يجهلها إلى حد الآن في ثقافتنا، وألا نتبنّى مقولة نهاية الفلسفة وتأزمها لتعلقها بتاريخ الفلسفة في الغرب، كما ذكرنا آنفًا.

فقد كشفت ثورات ما سُمِّيَ بـ «الربيع العربي» أنّ مطلب الحرية، على سبيل المثال، كان قد انبثق عن الشعوب التي عرفت تلك الموجة، في غياب مرجعية نابعة من ثقافتها وتاريخها، حتى تمكّنها من التأسيس لمجتمع يقبل بالاختلاف والتعددية على كل الأصعدة؛ أي لمجتمع قادر على إرساء نظام ديمقراطي، وهو ما أدى إلى دمار وانهيار بعض الدول التي اجتاحتها تلك الموجة؛ لأنها لم تفلح في التخلص من نظرتها الشمولية للسلطة وارتباطها بالدين، رغم توق شعوبها الشديد للحرية؛ فلم تفرز هذه الثورات حراكًا ثقافيًا ولا اجتماعيًا يطرح على نفسه سؤالين أساسيين، هما: ما الذي نريد تحقيقه؟ وما هو المستقبل الذي نصبو إليه؟

كما وصفت الثورة التونسية -على سبيل المثال- من قبل النخبة والإعلام، بأنها عفويّة وسلميّة فاقدة لكل أساس أيديولوجي، وعُدَّ انتحار "محمد البوعزيزي" حرقًا بالنار، فعلًا ثوريًا تحرريًا، دون تشخيصٍ دقيقٍ وموضوعيّ للوضع، ودون أن تأخذ تلك القراءة في الحسبان تأثيرها سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا على المجتمع؛ والسبب في ذلك -من وجهة نظرنا- يعود إلى غياب الفكر العقلاني!

لذلك، فنحن نحتاج إلى رَدِّ الاعتبار إلى فعل التفلسف لقدرته على ترسيخ الفكر التنويريّ في الثقافة العربية الإسلامية وتطويره؛ لأنه -من وجهة نظرنا- الكفيل بجعلنا ننخرط في حركة التاريخ الإنساني.

---

* كاتبة - تونس.

(١) ريني ديكارت، «مبادئ الفلسفة»، ترجمة عثمان أمين،١٩٧٠، مكتبة النهضة المصرية، ص ٧٢-٧١.



الفلسفةُ التراجيديّةُ وشيستوف

■ إسكندر داغر*

قد لا تكون هناك علاقة لأي شعب في العالم، بأحد كتّابه، مثل علاقة الروس بكاتبهم الكبير "دوستويفسكي" . لقد تخطّى دوستويفسكي، على مرّ العصور، رمزَ أن يكون مجرّد كاتب؛ إذ لديه الكثير من المريدين والتلاميذ والمحبّين، ليتحول إلى رمزٍ مطلق، أي إلى «ضمير» حقيقي، عرف كيف يصوغ رؤية ورؤيا جعلتاه يقف منفردًا، في روسيا، على قمّة الكتابة والفكر، وحتى الفلسفة بمعناها الضيّق والخاص (وهي «فلسفة التراجيديا»، مثلما نحتها وعبّر عنها، الفيلسوف الروسي الكبير، ليون شيستوف).

فكاتب «الجريمة والعقاب»، هو كذلك «كبير فلاسفة» الروس، في العصر الحديث، وفق ما يعده العديد من المفكرين والكتّاب وحتى الفلاسفة (الروس) أنفسهم. قد لا يضاهيه في هذه المنزلة، سوى ليون تولستوي، وإن كان صاحب «الحرب والسلم»، كما العديد غيرها من الكتب الرائعة، يقف في مرتبة أقلّ بقليلٍ من نظيره وابن بلده. دوستويفسكي هو «الكاتب المطلق»، الذي ما يزال إلى اليوم، يُمثل حالة خاصة، ليس في الـ «روسيا» وحدها، بل ربما في كثير من ثقافات العالم.

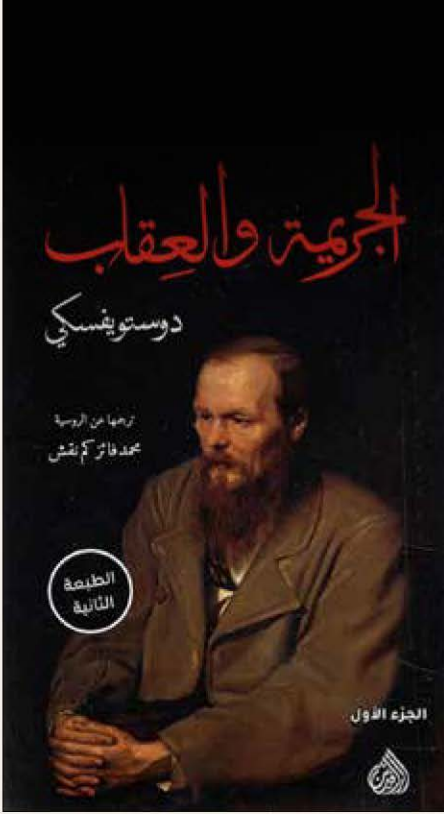
تمهيدي في الكلام هنا، ليس لمحاولة قراءة دوستويفسكي، بل هي جملة وصل، ليحطّ بي المطاف عند كلمة فقط عن ليون شيستوف، الفلسفي، حول مقاله هذا، الذي كتبه في العام ١٩٢٢م. وإذا كنت أشير إلى سنة الكتابة، فلكي أؤكد على المرحلة التي جاء فيها هذا النص. إذ بعد الثورة البلشفية، غادر شيستوف روسيا، ليقيم فترة قصيرة في سويسرا، قبل أن يستقر في العام ١٩٢١م، في فرنسا التي بقي فيها حتى وفاته عام ١٩٣٨م. ففي هذه المرحلة الأخيرة من عمره، أي المرحلة الفرنسية، تطوّر فكر شيستوف، بالأحرى انتقل ممّا كان يسميه «فلسفة التراجيديا» (كما جاءت أعماله عن نيتشه وشكسبير ودوستويفسكي وغيرهم) إلى نقده القوي والعميق للعقلانية والبديهيات المتعارف عليها، ومن ثَمَّ، نقده للعلم والمنطق - اللذين يجد أنهما دمّرا الحسّ الإنساني - في سبيل العودة، إلى روحانية ما، قد تكون دينية، وفق بعضهم، لكن في العمق، هي هذه الوجودية التي اكتشفها عند كيركغارد، الفيلسوف الدانماركي.

اكتشاف شيستوف لـ كيركغارد جاء بفضل الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل، الذي التقى به وطلب منه أن يقرأه. وبرغم اختلاف فكر الرجلين، في تلك الفترة، إلا إن صداقةً قوية نشأت بينهما، لدرجة أن هوسرل صرح لاحقًا «إنه الرجل الذي تجرأ على كتابة أعنف نقد وُجِّه إليّ يوما. وهذا



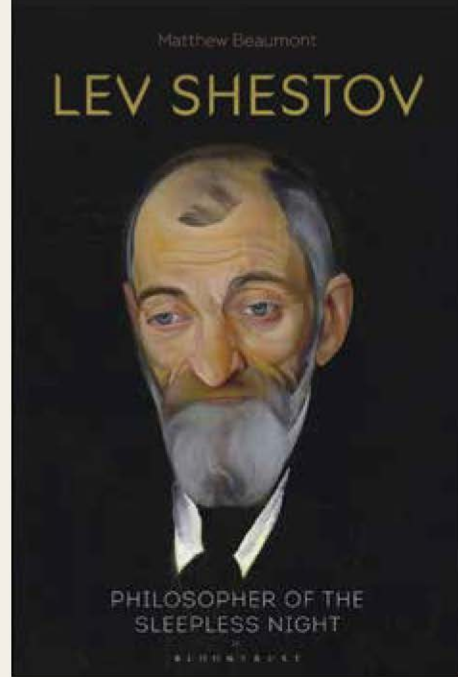
هو سبب صداقتنا»! وبدوره وجد شيستوف، أن خلافَ وجهات النظر الفكرية، لا يمنع هذه الصداقة، والشاهد نصه الأخير «تحيّة إلى فيلسوف عظيم» الذي كتبه بُعيد رحيل هوسرل، الذي جاء قبل أشهرٍ قليلة من رحيل شيستوف نفسه، في العام ١٩٣٨م. ولا بدّ أن نشير كذلك، أن الفضل في معرفة الفرنسيين، وبالتالي، معرفة بعض الأوروبيين، بفلسفة «الظواهراتية» (الفينومينولوجيا) - كما تبدّت في مشروع هوسرل الفلسفي - يعود إلى شيستوف نفسه، الذي عرّف عنها في العديد من المجلات الفلسفية الفرنسية، في تلك الحقبة. ولم يبق الأمر مجرد تعريف، إذ وقع تحت تأثير الفينومينولوجيا الكثير من الفلاسفة والمفكرين، لعلّ أبرزهم في تلك الفترة جان-بول سارتر، الذي لم يُخفِ بدوره تأثير شيستوف عليه، وامتنانه لفتح طريق الفلسفة «الظواهراتية» أمامه. (قد تطول اللائحة فيما لو أردنا أن نعدّد أسماء من وقعوا تحت تأثير «وجودية» شيستوف في تلك المرحلة).

من هذه النقطة «الوجودية»، ومن هذا البحث عن سبيل إلى عودةٍ ما لحالة روحانية، ناقدة للعقلانية والبديهيات، علينا أن نقرأ نص شيستوف حول دوستويفسكي الذي يعيد قراءته بمفهوم آخر، ليُظهر مدى تقدّم الكاتب الروسيّ في طرح الأسئلة الوجودية المضادة للبديهيات العقلانية. ومن ثَمَّ، يفتح شيستوف طريقًا متفردًا في استنطاق صاحب رائعة «الإخوة كرامازوف»، ليشير إلى «حياة أخرى»، ربما حاول منطق ذاك العصر أن يتناساها، أو بالأحرى أن يدفع بها إلى «خارج خشبة المسرح». لكن علينا، بين ذلك كلّه،



أن نتبيّن أمرًا على درجة كبيرة من الأهمية: محاولة شيستوف في أن يتماهى مع «سيرة» دوستويفسكي. فالمقارنة بين «التراجيديات» هنا، ولو بشكل غير فاضح، بمعنى محاولة إخفائها، ليست سوى رغبة شيستوف في الحديث عن ذاك «الحادث التراجيدي الذي تعرّض له، بخلاف المرض الذي أصابه في مطلع حياته». ما هذا الحادث؟ لا أحد استطاع تحديد ذلك، أو اكتشافه، على الرغم من أن الجميع يعرفون وجوده.

إخفاء السيرة الذاتية، هي من الأمور «المكروهة» في الفلسفة، إنْ جاز التعبير. حاول الجميع تجنّبها. ربما من «فتح الطريق» أمام هذا النوع من التساؤل الفلسفي، وبشكلٍ مُعمّق وحقيقي، قد يكون الفيلسوف الفرنسي جورج غوسدورف في كتابه (MÉMOIRE ET PERSONNE) بجزأيه «LA MÉMOIRE



«CONCRÈTE» و«DIALECTIQUE DE LA MÉMOIRE»، وذلك في خمسينيات القرن الماضي. في أي حال، من هذا الاستنطاق، ثمة تأويلات، كان شيستوف بارعًا فيها، لدرجة أنّ صديقه، الفيلسوف الروسي الآخر، نيقولاي برديائيف، والذي عاش أيضًا في فرنسا، بعد ثورة أكتوبر الروسية، غالبًا ما كان يقول له إن دوستويفسكي لم يقل كذا، «وإنك تأخذه إلى أمكنة لم يكن يتطرق إليها» (وفق ما يرويه بنجامان فوندان في كتابه «لقاءات مع ليون شيستوف»).

هذه القراءة، ليست في الواقع، إلا التمهيد ليصل شيستوف عبرها إلى مشروعه الأكبر، مثلما تبدّى في كتابه «أثينا وأورشليم» (آخر كتبه، وقد صدر قبل وفاته بأشهر قليلة). العنوان وحده، يضع أمامنا، كلّ رغبة الفيلسوف الروسي: وضع العقل مقابل الروح في مواجهة مستمرة.

أثينا تمثل العقلانية، بينما كانت «أورشليم» تمثل الروحانية (الدينية). هو الصراع الأبدي الذي ما يزال مستمرًا إلى أيامنا هذه، وإن كان اتخذ وجهًا عنيفًا في العقود الماضية. لقد انحاز شيستوف إلى هذه الروحانية، لكن بالتأكيد لم ينحز إلى التعصب الأعمى الذي نراه عند بعض الحركات الدينية في حقبتنا هذه. كان الإنسان هدفه الأسمى، هذا الإنسان الذي سحقته العقلانية والبديهيات؛ لذا، يأتي هذا النص ليذكّرنا ببعض «البديهيات»: حق الإنسان في أن يقف على نقيضٍ مع «العقلانية»، ليبحث في داخله عن أسباب وجوده.

كلمة أخيرة: نجد الكلمة التي صدّر بها بوريس دو شليتزير (كاتب ومترجم روسي وصديق شيستوف) حين نشر مقالًا في «المجلة الفرنسية الجديدة» العام ١٩٢٢م، وهي تلك التي كان يشرف عليها في تلك الفترة، أندريه جيد، وقد جاء (النص) ضمن ملف خاص بـ دوستويفسكي. لذا، حين يقول دو شليتزير: إن شيستوف «شخص مجهول في فرنسا» علينا أن نضع الجملة في سياقها التاريخي. كذلك نجد، في آخر الكِتاب، بعض نقاط الاستدلال حول سيرة شيستوف وأبرز المحطات التي مرّ بها، وهي مقالة قصيرة، مترجمة عن موقع (meletout.net)، الصفحة الخاصة بـ شيستوف.

* كاتب - لبنان.



دوستوفسكي
والوعيُ المشترك في الفلسفة
ليف شيستوف عن دوستوفسكي

■ ترجمها عن الفرنسية محمود الميشراني*

كان دوستويفسكي يرى الحياة بعينَي مؤرخ، أي بعينين طبيعيتين. لكن حين أُعطِيَ عينين أخريتين، رأى شيئًا آخر. لم يكن «القبو» أبدًا، هذا العش البائس، حيث جعل الكاتب بطله يعيش فيه، مثلما لم يكن أيضًا وحدته. بل على العكس - وعلينا أن نردد ذلك بطريقة دائمة - يبحث دوستويفسكي عن الوحدة لكي يهرب، لكي يحاول أن يهرب من «القبو» (من «كهف» أفلاطون) الذي يجب على الجميع أن يعيشوا فيه، الذي يعده الجميع بمثابة العالم الواقعي الوحيد، بمثابة العالم الوحيد الممكن، بمعنى أنه العالم الذي برهنه العقل. هذا أيضا ما نلاحظه عند رهبان العصور الوسطى. كانوا يكرهون أكثر من أي شيء آخر هذا التوازن العقلي الذي يظهر بالنسبة إلى العقل بمثابة هدف الحياة الأعلى على هذه الأرض. لم يكن هدف التزهد أن نهزم الجسد، مثلما نعتقد بشكل عام. كان هدف الرهبان والمتزهدين، وقبل أي شيء آخر، أن ينزعوا أنفسهم من هذا «الوجود الكلّي» (الذي يتحدث عنه رجل القبو عند دوستويفسكي، ينزعون أنفسهم من هذا الوعي المشترك الذي تطلق عليه الكلمات المدرسية والفلسفية عبارة «الوعي بشكل عام». لقد حدد إينياس دو لويولا (Ignace De Loyola) القاعدة الأساس لـ «التمارين الروحية» (spiritualia Exercitia) بهذا الشكل: «كلما وجد نفسه معزولًا ومتوحدًا، كلما كان متكيفًا في البحث عن الخالق، سيده وفهمه». (*Quanto se magis reperit anima segregatam et solitariam, tant aptiorem se ipsam reddit ad quaerendum intelligendumque Creatorem et Dominum suum*).

الوعي المشترك، هو العدو الرئيس لدوستويفسكي. كان سبق لأرسطو أن أعلن أن الإنسان الذي ليس بحاجة إلى أحد، سيصبح إلهًا أو حيوانًا متوحشًا. دوستويفسكي أيضا، مثله مثل القديسين الذين كانوا ينقذون أرواحهم، سمع - بدون توقف - صوتًا غامضًا يهمس له: «لتجرؤ على ذلك! ابحث عن الصحراء، عن الوحدة. ستكون فيها حيوانًا متوحشًا أو إلهًا. لا شيء مؤكدٌ مسبقًا: تخلَّ قبلًا عن الوعي المشترك، وسنرى بعد ذلك؛ أو بالأحرى، سيكون الأمر أسوأ: إن رفضت هذا الوعي، ستتحول، في البداية، إلى



حشرة، ولاحقًا، بعد وقت، متى؟ لا أحد يعلم - سيحدث التحول الأخير». ومع ذلك، فهذا الانمساخ الأخير، ليس مؤكدًا. في الواقع، ليس من البداهة أنه يمكن للإنسان أن يتحول إلى حيوانٍ متوحش، ولكن أليس معطى له أن يصبح إلهًا؟ ثمة تجربة عمرها آلاف السنين موجودة هنا، وتؤكد لنا أن البشر تحوّلوا في أغلب الأحيان إلى حيوانات متوحشة. لكن لم نجد لغاية الآن أي آلهة بينهم. اقرؤوا اعتراف هذا الرجل التحت أرضـي؛ في كلّ صفحة يروي لنا نظرته الخاصة للأمور، وهي غير معقولة تقريبًا.

«في الحقيقة، أنت تعرف ما الذي أحتاجه: أن تذهبوا جميعًا إلى الجحيم، هذا ما أحتاجه فعلًا. أحتاج إلى طمأنينتي. لكن.. هل تعلم بأنه لكيلا أشعر بالانزعاج، سأبيع الكون بأسره على الفور مقابل كوبيك واحد! ليهلك العالم بأسره أم ألا أشرب الشاي؟ سأقول: ليهلك العالم بأسره ما دمت أشرب الشاي. هل تعرف ذلك أم لا؟ حسنًا، أنا أُعرف بأنني شخص وغد، بائس، كسول، أناني»!

وفي الصفحة اللاحقة، نجد من جديد: «أنا أكثر الديدان حقارة، والأكثر سخافة، والأكثر تفاهة، والأكثر حسدًا، والأكثر غباءً على وجه الأرض»!

الكتاب مليء باعترافات مماثلة. لكن لتقرؤوا كتب اعترافات القديسين الكبار؛ كلهم يعدون أنفسهم بمثابة الكائنات الأفظع (دائما يستعملون أفعل التفضيل)، الأبشع، الأضعف، الأحمق من جميع المخلوقات. ليس مردّ ذلك إلى إفراط في التواضع؛ بل كانوا يجدون أنفسهم حقًّا على هذه الشاكلة. القديس برنار، القديسة تريزا، كانا مثل غيرهما، يرتعبون من أنفسهم.

لدينا كل الأسباب التي تدفعنا إلى الاعتقاد بأنه حين كان دوستويفسكي يصف قبوه، كان لا يعرف الكثير عن كتب القديسين. لم يشعر بدعم أي سلطة له، ولا في أي تقليد. كان يتصرف على مسؤوليته ليبدو له بأنه الوحيد، منذ أن وُجد العالم، الذي رأى هذه الأشياء الخارقة. «أنا وحيد، وهم كذلك كلهم أيضا!» صرخ برعب. نزع نفسه من الوعي المشترك، رمى بنفسه خارج العالم الواقعي الوحيد، حيث إن الواقع مؤسسٌ بالضبط على هذا الوعي المشترك - لأنّ، هل من قاعدة أخرى يمكن للواقع أن يتأسس عليها؟ - يبدو دوستويفسكي مُعلّقًا بين السماء والأرض. لقد اختفت الأرض من تحت أقدامه ولم ينجح في أن يعرف إن كان هو الموت، أو أعجوبة الولادة الثانية.

كان القدماء يقولون إن الآلهة يختلفون عن البشر في أنّ أقدامهم لا تلمس الأرض أبدًا، وبأنهم لم يكونوا بحاجة إلى دعم، إلى يابسة. لكنهم آلهة، آلهة قديمة، كائنًا ميثولوجيًا. ويعرف دوستويفسكي جيدًا، مثله مثل غيره، وأفضل من غيره، أن الآلهة القديمة - كما الإله الجديد - منبوذة من قبل العقل إلى خارج حدود التجربة، وأنها ليست سوى أفكار صافية.

---

* كاتب - المغرب.

(نُشرت هذه المقالة في مجلة «La Nouvelle Revue Française»، المجلد XVIII، من العام ١٩٢٢م)، كاتبها الروسي.



الفلسفةُ عبر التاريخ

د. آمال جبور*

عند الحديث عن الفلسفة، لا بد أن نطرح التساؤلات التي هي أساس هذا الحقل المعرفيّ، وبما أن التاريخ سيّد هذه الحقول؛ فإن عنوان مقالنا يحيلنا لطرح سؤال: ما هي الأصول التاريخية للفلسفة؟

وقبل السير عبر العصور في تاريخ الفلسفة وفكرها، دعونا نؤكد هنا على أمرين:

الأول: يركز على أهمية السياقات الاجتماعية والثقافية والسياسية والفكرية لأي حقل معرفي، عبر سيرورة تاريخية تحولت بها المجتمعات الإنسانية من الحالة الطبيعية إلى ما هي عليه الآن، نتيجة تطور وعي الإنسان وتفاعله المستمر بعالمه ومحيطه، الذي يحثّه دومًا على الدهشة وطرح السؤال، باحثًا عن حقائق الموجودات؛ فازدحمت معارفه وخبراته، مكوّنة اتجاهات متعددة، يختلف ويتفق معها، ويبدّلها في أحيانٍ كثيرة، مع نمو وعيه ومعرفته.

والثاني: ألا يأخذنا البحث هنا فقط بتناول المراحل الزمنية للفلسفة وفلاسفتها، والتي يمكن الاطلاع عليها من مرجعيات مختلفة، ولا يسعفنا هذا البحث الغور بتفاصيلها، بقدر تأكيدنا على أهمية تطور تاريخ الفكر الفلسفي ومفاهيمه وتياراته واتجاهاته، بالتزامن مع تطور الوعي البشري، الذي أقدح العقل تنويرًا، وانعكس على شتى الميادين العلمية والثقافية والسياسية والاجتماعية والمعلوماتية الحديثة.

فاتباع المنهج التاريخي «الذي يؤمن بسير التاريخ وتطور أحداثه وأفكاره ومفاهيمه إلى الأمام وبخط مستقيم»[1] يحيلنا بالضرورة للإشارة بأن تطور الفكر التاريخي وطرح أفكار فلاسفته جاء نتيجة تأثرهم بالشروط الموضوعية لتحوّل مجتمعاتهم بأفكارها ومفاهيمها الفلسفية منذ نشأت جذورها في الفلسفة اليونانية القديمة عند الإغريق منذ القرن ١٦ ق. م.، والتي يعود لها الفضل بانتشال البشرية من سطوة الأسطورة والفكر الغيبي، إلى عالم العقل المتسائل، وربط التراكمات المعرفية إلى وقتنا الحاضر.

والفلسفة «بنت المدن الإغريقية» كما يتفق عليها المؤرخون، إحدى العلوم التي مرّت مواضيعها بتطورات تاريخية، بدأت بطرح أسئلة عديدة حول الخالق والعالم والإنسان، إلى أن أصبحت مواضيعها أوسع وأكثر تعقيدًا، ليتخذ تاريخها اتجاهين مختلفين منذ نشأته هما: التفكير الميتافيزيقي، والتفكير العلمي، على التوالي؛ فالأول، يبحث في عالم الجوهر والمثل، ويتصف بأنه منهج عقلي وروحي؛ والآخر يبحث في عالم المادة والتجربة، ويتصف بأنه منهج



حسيّ وموضوعيّ، وعليهما بُني تاريخ تطور الفلسفة ومدارسها واتجاهاتها.

وبذلك، ليس بوسعنا الاطلاع على الفلسفة في القرن الواحد والعشرين، وما قدّمته لنا من طرق تفكير، إلا بالرجوع إلى نشأة الفلسفة كرواية متسلسلة الحلقات، لا مجموعة آراء منعزلة أو متفرقة؛ وهنا، يستدعينا سؤال: هل المنهج التاريخي يسمح لنا أن نتصور نشأة الفكر الفلسفي كرواية مفككة وخارجة عن إطار منظم لا ترابط بين مكوناته الفكرية والزمانية؟

وبالتأكيد، فإن الإجابة عن هذا السؤال تأتي بالنفي؛ فتاريخ نشأة الفلسفة وفكرها بدأ بمراحل متسلسلة وعلى ما سبقه؛ ففي الفلسفة اليونانية القديمة، تقوم فلسفة سقراط الذاتية كردّة فعل على المادية والنفعية السوفسطائية، فيما جاء أفلاطون محدثًا عن حوارات معلمه، سقراط، واضعًا أسس تفكيرها، ليأتي أرسطو ناقدًا لفلسفة أستاذه، أفلاطون، فنزل بالفلسفة من عالم المثل إلى عالم المادة، ومع ذلك ما تزال الفلسفة الأفلاطونية إحدى دعائم الفكر الفلسفيّ ولم تتأثر أهميتها بنقد تابعي الفلسفة الأرسطوطاليسية.

وما ينطبق على فلسفة اليونان القديمة ينطبق على فلسفة العصور الوسطى؛ فجاء الأكويني ناقدًا لفلسفة أوغسطين الروحية، مهتمًا الأكويني بمتابعة وتوصيل فكر أرسطو المادي إلى أوروبا، والذي أثّر في كل من لوك، وباركلي، وهيوم، أصحاب المنهج الحسيّ، الذي جاء ردة فعل للمنهج العقلي، فنادى به ديكارت وسبينوزا، ولبنيتيز، متأثرين بفلسفة أفلاطون.

ولا يدلّ هذا النقد على ضحالة أي منهج كما قلنا، بقدر ما يؤكد لنا أن المناهج الفلسفية لا تنتهي، بل إن كل فكرة تخضع للنقد لتولّد فكرةً جديدةً مطورةً مفاهيمها واتجاهاتها، وصولًا للفلسفتين الهيجلية والماركسية، فلم تنف إحداهما الأخرى، ولم يمنع وجود الهيجليّة الفلسفة الماركسية لتصبح أسلوب حياة بعض المجتمعات الإنسانية.

وإذا بدأنا بتتبع تاريخ الفلسفة، فإن أغلب المؤرخين والباحثين يتفقون على أن الإغريق هم أصحاب البذور الأولى للفلسفة، التي ولدت في القرن السادس عشر قبل الميلاد على ضفاف بحر إيجه، مستفيدين بما أتاحت لهم بعض الحضارات السابقة كالمصرية والهندية والصينية، إلا إن الإغريق أنتجوا فلسفة جديدة ومتينة، غيّبت تدخل القوى الخارقة والأساطير في تفسير الظواهر الطبيعية، لتعطي العقل مكانته في فلسفتها.

إن تاريخ الفلسفة منذ بداياته الميتافيزيقية كانت حافلة بالأفكار والمفاهيم التي تعرضت للرفض أكثر من القبول، فكان النقد سببًا أساسًا في إثراء المعرفة، وظهور الإبداع الفلسفي في فترات زمنية تنويرية، كان لها أثر في تحوّل العقل الإنساني من عقل مستسلم قائم على الخرافات والأساطير، إلى عقل مشتعل بالدهشة والسؤال؛ ليبحث حقائق وأسرار عالمه المحيط القائم على التغير وليس الثبات.

فالفلسفة عبر تاريخها، تؤكد عالمية الفكر الإنساني المشترك، بتفاعله مع أحداث زمنه؛ فالبراغماتية، مثلًا، تطورت على يد كل من "بيريس" و"جيمس" و"ديوي"



نتيجة التقدم الآلي في أمريكا، فيما وجدت الوجودية مكانًا لها في فكر سارتر، نتيجة الأوضاع التي مرت بها فرنسا في الحرب العالمية الثانية.

وهذا التاريخ المشترك بدأ قبل القرن السادس عشر قبل الميلاد عند اليونان بمرحلة سميت ما قبل سقراط وبعده، ولها بدايتان: مبكرة يغلب عليها التفكير المادي، وتتمثل بالفلسفة الأيونية، فالفيثاغورية، ثم الهيراقليطية، ومتأخرة يغلب عليها التفكير العقلي، كالفلسفة الإيلية، باحثتين عن حقيقة العالم الخارجي وأصل الكون؛ لينطلق سقراط بعدها شرارة العقل في المعرفة حول الإنسان والذات، مع تزامن ظهور السوفسطائيين الماديين في هذه الحقبة؛ فكانت حلقة وصل بين مرحلتين، ما قبل سقراط، وسقراط.


ابن رشد

ومع أفكار سقراط ومحاوراته ولدت الفلسفة الأفلاطونية بفكرها الميتافيزيقي في معرفة الحقيقة، ومتأثرة بالحتمية السقراطية العقلية، ليجد أفلاطون طريقًا لأفكاره باتباع المنهج الحواري الجدلي، لتؤكد فلسفته بمقدرة العقل الإنساني في الوصول للحقيقة المطلقة، واضعًا نظرية المثل حول المعرفة لتميز «ما هو حقيقي ليس في العالم المحسوس، بل في العالم العقلي»[2]

ولم يتوقف تاريخ الفلسفة بآراء سقراط وأفلاطون وأرسطو بعدهما، بل تطورت لتأتي مرحلة ما بعد سقراط، متمثلة بالفلسفة الهلنستية بمراحلها الثلاثة: الرواقية والأبيقورية، والشكية، فالأفلاطونية المحدثة.

وتابعت الفلسفة حضورها في العصور الوسطى الأولى مع القديس أوغسطين الذي تأثر بالهلنستينية والأفلاطونية الجديدة بفكرها اللاهوتي الميتافيزيقي، لندخل بالثانية مع فلاسفة العرب: الكندي، والفارابي، وابن سينا، والغزالي، وابن رشد، الذين أدخلوا العنصر الأرسطوطاليسيا عن طريق ترجمة فلسفة أرسطو والتعليق عليها، مُسهمين في تغيير اتجاه الفكر الأوروبي من ميتافيزيقي إلى تجريبي، وانتهت هذه المرحلة مع القديس توما الإكويني واضعًا بداية التمييز بين الفلسفة واللاهوت.

لتبدأ بعدها النهضة بحركتها الإصلاحية الفكرية والثقافية والعلمية في إيطاليا، وبمثاليتها الإنسانية في القرن الرابع عشر، فانتشرت في الشمال الأوروبي، في


ابن سينا

إنجلترا وفرنسا بطابعها الإصلاحي الديني والأخلاقي، والعالم المادي بدل الروحي، حتى القرن السادس عشر، فتميزت النهضة بحركة واسعة لمكتشفيها ومخترعيها ومفكريها أمثال: بيكون وميكافيللي وهوبز، فكانت فترة ثراء علمي أكثر منها تحصيلًا فلسفيًا.

ويجب التأكيد هنا أن عصر النهضة لم يكن ضد المبادئ الدينية كما يراه بعضهم، بقدر ما أكد على مبدأين للمعرفة، أولهما من التعاليم الدينية والإيحاء الإلهي، والثاني من المقدرة الفكرية للإنسان؛ لتبقى الفلسفة عبر تاريخٍ تستند على ما قبلها، فبنيت النهضة على فلسفة أرسطو وتفكيره التجريبي، مبتعدة قليلًا عن فلسفة أفلاطون وتفكيره الميتافيزيقي.

ومع النهضة وبداية العصر الحديث، استمر الصراع بين التفكيرين الميتافيزيقي والعلمي مُفضيًا إلى تطور الفكر الفلسفي بظهور الفلسفة العقلية والفلسفة الحسيّة، فقامت الأولى على العقل، وعكست التفكير الميتافيزيقي لفلاسفتها: ديكارت، وسبينوزا ولايبنتز، فيما تطورت الحسيّة بتفكيرها العلمي من خلال: لوك، وباركلي، وهيوم.

فجاء التنوير وفلاسفته في القرن الثامن عشر «الذين أناروا وما يزالون ينيرونا»[٢] كمحاولة لتطوير ما سماه «هيوم» علم الإنسان، بما هو ردّة فعل لفلسفة العصور الوسطى؛ فتميز بالمعرفة العلمية المختلفة والمتشعبة، واكتشاف القوانين التي تحدد سلوك الإنسان، ومن أهم فلاسفتها: روسو وبنثام.

وبدأ مع التنوير تدفق ظهور الفلسفات وتطورها، فسجل التاريخ الفلسفي نقطة مضيئة في هذا العصر مع الفلسفة الكانطية لـ«عمانوئيل كانط» مؤسسًا لمنهجٍ فلسفيٍّ شاملٍ قائمٍ على الميتافيزيقيا العقلية للايبتنيز والتجربة الحسيّة لهيوم، ليأتي بفلسفته النقدية الخاصة معبرًا عنها في كتابيه «نقد العقل الخالص»

و«البروليجومنيا»، بـ «أن الفلسفة ليست مذهبًا في هوية، بل هي نشاط وحركة طرد وتنافر»[٤]!

فنتج عن الكانطية في العصور الحديثة الفلسفة المثالية التي استندت إلى مبادئ ميتافيزيقية تفسر الحقيقة من خلال الروح والعقل، ومتأثرة في فلسفة المثل عند أفلاطون، فوجدت انتشارها في ألمانيا على يد كل من فيتشيه وشلينج وهيجل، لتتطور مع هيجل أكبر فلسفة مثالية سيطرت على العالم لمدة قرن تقريبًا.

ومع نقد هيجل للكانطية خلال القرن التاسع عشر، انتشرت الفلسفة الهيجلية، متخذًا مسار تاريخ الفلسفة بعدها ظهورًا لفلسفات معارضة من مادية ووضعية وتحليلية في أوروبا، وبراجماتية في أمريكا، ليصبح الصراع بين التفكيرين الميتافيزيقي والعلمي مستمرًا إلى الآن.

ومما سبق، نرى أن الفلسفة بتاريخها تسير في تطور وخط مستقيم إلى الأمام بين ظهور الفلسفات ونقدها والبناء عليها، ليتابع هذا التطور مساره في القرن التاسع عشر بظهور الفلسفة المادية التي جاءت ناقدة للفلسفة الهيجلية الروحية والمثالية؛ منتجة الماركسية والمادية الجدلية، والتي انقسمت الأولى فيما بعد إلى اشتراكية وشيوعية.

ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظهرت الحركات الفلسفية المعاصرة، نذكر بعضًا منها للمحدودية المتاحة لنا في البحث، كالظاهرات والوجودية والتحليلية واللغوية والوضعية في أوروبا، والبراجماتية في أمريكا، ومن أهم فلاسفة هذا العصر هسرل، وكيركيجارد، وهايدجر، وسارتر، وبيرس وجيمس، وديوي، وفينشجنتاين، متميزة فلسفة هذا العصر بتفكيرين متناقضين، وبتعدد مناهجه الفلسفية، وهذا التعدد أعطى للفلسفة متانتها وولادة أفكار جديدة مستمرة، تعكس وعي الإنسان بوجوده ووعية ودوره في عالم متغير مستمر.

إن الإنتاج الذي قدمه الفكر الفلسفي عبر التاريخ مرتبط بوعي الإنسان وتطور أفكاره، والذي ينطلق من محاولاته المستمرة في الوصول للحقيقة، وعدم اكتفاء العقل الإنساني بالمعرفة بأشكالها الميافيزيقية والعقلية والحسية والإدراكية كافة، وحبه وشغفه للتعمق بعالمه، محاولًا دائمًا طرح أسئلته الفلسفية حول تطور وجوده ككائن اجتماعي فاعل ومغيّر في حركة التاريخ، منتجًا بذلك تاريخًا طويلًا من الخبرات والأفكار والعلوم والفلسفات التي هي بالأساس منتج إنساني تراكمي، ومتاح للبشرية عبر تاريخ عصورها.

---

* كاتبة - الأردن.

(١) جبور، آمال، تاريخانية العروي أداة نقدية لتحديث المجتمعات العربية،ط١، ٢٠١٩م، الأهلية للنشر، الأردن
(٢) صايغ، نوال، الفكر الفلسفي نحو فلسفة توازن بين الفكر الفلسفي والتفكير العلمي، ط١، اوتاوا،٢٠١٣م
(٣) برينتون، كارين، تشكيل العقل الحديث، ترجمة شوقي جمال، عالم المعرفة، ١٩٧٨م
(٤) هربرت ماركيوز، نظرية الوجود عن هيجل أساس الفلسفة التاريخية، ترجمة إبراهيم فتحي، ط١، ٢٠١٨م.
(٥) رايت، وليم كلي، تاريخ الفلسفة الحديث، ترجمة محمود سيد أحمد، ط٣، ٢٠٠٣ م.



الأسئلةُ الكبيرةُ في الفلسفة الإسلاميِّة

■ محمد العامري*

لا بد من التسليم إلى حد كبير بأن مصادر الفلسفة الإسلامية كانت مبنية على الفكر الديني بوصفه المتن في طرائق التساؤل وإطلاق العقل فيما يخص الجانب الفلسفي، تحديدًا الأفكار المبنية على تفسير القرآن الكريم، ولا ننفي ما أثارته الفلسفة اليونانية لدى الفلسفة الإسلامية وبِرّ السؤال الأكبر والمتضمن التوفيق بين الدين والعقل الذي جسدته الفلسفة اليونانية، وهذا ينطلي على الفلسفة الهندية والفارسية كذلك.

تعد الفلسفة الإسلامية تطوّرًا في السؤال الفلسفي الكبير المنتمي للتقاليد الإسلامية للفلسفة والتي ترادفها كلمة «حكمة»، إذ جرى تناول مصطلحين فيما يخص المعنى لمصطلح فلسفة مبني على قيمة اللغة العربية وأمداء تأويلها وهو «فلسفة»، والذي يؤشر على الفلسفة، والمنطق، والرياضيات، والفيزياء، وعلم الكلام؛ والهدف منه إثبات العقائد الدينية المشفوعة بالحِجج العقلية.

ونذكر ما أشار إليه الكندي بقوله: «إنها علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان؛ لأن غرض الفيلسوف في علمه إصابة الحق، وفي عمله العمل بالحق». بدأت الفلسفة الإسلاميّة علمًا يتمنطق حول الحُجَّة والعقيدة بما يخص العقل وتجلياته في طبائع السؤال المعرفي الديني، إذ بدأت الفلسفة الإسلامية مع «يعقوب بن إسحاق الكندي» في القرن الثاني من التقويم الإسلامي بحدود (أوائل القرن التاسع الميلادي)، وصولا لابن رشد في القرن السادس الهجري (أواخر القرن الثاني عشر الميلادي)، وتزامن ذلك مع العصر الذهبيّ للإسلام. وبعد وفاة ابن رشد ظهرت مدرسة فلسفية تدعى بالمدرسة المشّائيّة العربية، وقد درج الباحثون في تاريخ الفلسفة لا سيما الإسلاميّة على التعرّض لهذه المدارس العلميّة. وقد اتضحت الفروق بين هذه المدارس بشكل أكثر كلّما ترسّخت فلسفةٌ جديدةٌ وكثر مناصروها ومحاربوها، مّا ساعد على البحث والتنقيح لإثبات ميزات الفلسفة البديلة، وكشف عيوب الفلسفة المناوئة. ومن أبرز تلك المدارس: الفلسفة المشّائيّة، الفلسفة الإشراقيّة، وفلسفة الحكمة المتعالية.

استطاعت الفلسفة الإسلامية أن تحفر في ذاكرة الشعوب الشرقية والأوربية كذلك، وكان للفلسفة الإسلاميّة تأثير كبير في أوروبا المسيحيّة، وجاء ذلك عبر ترجمة النصوص الفلسفية العربية الإسلامية إلى اللغة اللاتينية، وأسهمت في حدوث تحوّل



في معظم صنوف الفلسفة اللاتينية إبّان العصور الوسطى تحديدًا ما يختص بالفلسفة الطبيعية، وعلم النفس، والميتافيزيقيا.

استمرّت تأثيرات الفلسفة الإسلاميّة في البلدان الشرقيّة الإسلاميّة، ولا سيما الدولة الصفويّة الفارسيّة، والامبراطورية العثمانيّة، والمغوليّة، إذ واصلت العديد من مدارس الفلسفة ازدهارها: السينوية (نسبةً إلى ابن سينا)، والرشدية (نسبةً إلى ابن رشد)، والفلسفة الإشراقيّة، والفلسفة الصوفيّة، وفلسفة الحكمة المتعالية، وفلسفة أصفهان. وكان لابن خلدون في مقدمته الشهيرة إسهامات عميقة في فلسفة التاريخ، وزاد الاهتمام بالفلسفة الإسلامية في فترة اليقظة العربية في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.



ابن خلدون

لم تبق الفلسفة حبيسة في إطار محدد، بل تطورت مفاهيمها كأي علم يتغذى من أسئلة جديدة ومجادلات حول مواضيع شتى تنتظم في سياقات الأسئلة الكبرى، ويجدر الإشارة إلى تغيّر النظر إلى مفهوم الفلسفة تبعا لتنوع الأجوبة عن سؤال «ما الفلسفة؟» هذا السؤال الذي عاد ليظهر في سياق التحولات الفكرية الفلسفية وظهور مصطلح جديد «فلسفة الفلسفة» أو فقه الفلسفة، كما يسميه الدكتور طه عبدالرحمن، وله كتاب في ذلك، ونرى إلى تميز المنهج الفلسفي الإسلامي عن تصنيفات الفلسفة القديمة وأخرى جديدة، إذ إن الأولى فلسفة في الوجود، والثانية فلسفة في المعرفة، فإن الاتجاه الإسلامي يتميز بفلسفة في المعرفة، وبخاصة إذا نظرنا إلى علوم المناظرة العقدية (مناهج الكلام، مناهج أهل الحديث) وعلوم الحديث، وأصول الفقه، ومناهج التفسير، وغيرها من المعارف التي تهتم بتدشين المناهج إلى جانب دراسة المضامين، اعتمادًا على المصدرين: المنقول الصحيح، والمعقول الصريح، أو الوحي والعالم، والذي عبّر عنه الدكتور جعفر شيخ إدريس، «بوحي الله، وخلق الله»، وفلسفة المعرفة التي سارت في مسارات الفيلسوف المسلم هي جزء عضوي من الحجاج الذي يواجه من يحاول الطعن في حقائق ويقينيات الإسلام، علمًا أن هناك فريقًا من الفلاسفة المسلمين الذين اتخذوا من التصورات الأرسطية والأفلاطونية مرجعية لهم، بما هي متوافقة مع نصوص الإسلام وروحها، فحاولوا ردم الهوّة بين



التصور السائد للخالق، وبين المفهوم الإسلامي لله؛ منطلقين بصورة أساس، من أن القوانين الكونية ثابتة وناشئة من إرادة الله.

تطورت الفلسفة الإسلامية من مرحلة لأخرى من خلال دراسة المسائل التي ينحصر إثباتها بالأدلة العقلية في معرفة الله وإثبات الخالق. بلغ هذا التيار الفلسفي منعطفًا بالغ الأهمية على يد ابن رشد من خلال اعتماده مبدأ الفكر الحر، وتحكيم العقل على أساس المشاهدة والتجربة.

فكان للغزالي السبق في التوفيق بين المنطق والعلوم الإسلامية، مبينًا أن أساليب المنطق اليوناني يمكن أن تكون محايدة ومفصولة عن التصورات الميتافيزيقية اليونانية. وتوسّع الغزاليّ في شرح المنطق، واستخدمه في علم أصول الفقه؛ لكنه في المقابل شنّ هجومًا عنيفًا على الرؤى الفلسفية للفلاسفة المسلمين المشّائين في كتاب تهافت الفلاسفة، ردّ عليه لاحقًا ابن رشد في كتاب تهافت التهافت، في سياقات هذا المشهد كان هناك دومًا اتجاه يرفض الخوض فيما يخص مسائل البحث في الإلهيات وطبيعة الخالق والمخلوق، والاكتفاء بما ورد في نصوص الكتاب والسنة، هذا التيار الذي يعرف بـ «أهل الحديث»، والذي يُنسب له معظم مَن عَمِل بالفقه الإسلامي والاجتهاد. مقابل ذلك كان هناك بعض التيارات الإسلامية التي تؤمن بأنه «لا يوجد فلاسفة للإسلام»، ولا يصح إطلاق هذه العبارة، فالإسلام له علماؤه الذين يتبعون الكتاب والسنة، أما مَن اشتغل بالفلسفة فهو من المبتدعة الضُّلال»، وفي مرحلة متأخرة من الحضارة الإسلامية، ظهرت حركة نقدية للفلسفة أهم أعلامها: ابن تيمية الذي يعد في الكثير من الأحيان أنه معارض تام للفلسفة، لكن ردوده على أساليب المنطق اليوناني ومحاولته تبيان علاقته بالتصورات الميتافيزيقية (عكس ما أراد الغزالي توضيحه) وذلك في كتابه (الرد على المنطقيين)، ولا ننكر محاولات الكندي «نصرة العقل» ضد أفكار الهرمسية والأفلاطونية المحدثة، لذلك كتب «الرد على المنانية والمثنوية» رافضا النظرية الهرمسية والأفلاطونية المحدثة والتي تذهب إلى وجود جملة من العقول السماوية (وهي الطريقة التي تجعل بها الهرمسية وسائط بين العقل الكلي أو العقل العاشر الفعال والإنسان)، وهي متن نظرية الفيض التي تجعل معرفة الإنسان قابلة للحصول عن طريق الفيض أو الغنوص.

لذلك، ميّز الكندي «علم الرسل» الذي يحدث عن طريق الوحي (الوسيلة الوحيدة بين الله والإنسان) و«علم سائر البشر» الذي لا يحدث إلا عن طريق البحث والاستدلال والاستنتاج، وعبّر الكندي عن ذلك بقوله: «اللّهُ هو العلّةُ الأولى التي لا علّة لها، الفاعلة التي لا فاعل لها، المتممة التي لا متمم لها، المؤيس الكل عن ليس والمصير بعضه لبعض سببًا وعلة».

---

* كاتب - الأردن.



جدليَّةُ العلاقةِ بين الفلسفةِ والعلم

■ ضرار بني ياسين*

«الفلسفة أُمّ العلوم» جميعها، تلك هي الصفة المؤكدة التي وُسِمت بها الفلسفة طِوال تاريخها المديد، وهي ذات الصفة التي حَيَّزت الفلسفة في وضعية المُتربع على عرش المعرفة كلها. فقد أمكن لها أن تجمع بين جنباتها جميع المعارف والعلوم لقرونٍ طويلةٍ مضت، سبقت استقلال العلوم تدريجيًا عنها، وأن تتخذ لنفسها قطاعات تخصصية دقيقة، سَّيما العلوم الدقيقة منها، أو التجريبية التي حصل لها ثورات علمية غير مسبوقة، وذلك منذ القرن السابع عشر وإلى اليوم.

ومن منظور تاريخي وأبستمولوجي، لم يكن ثمة استقلال بين الفلسفة والعلم، إذْ إن العلاقة الموضوعية بينهما والتي تتعدى مجرد العلاقة التاريخية، دلّت في حقل المعرفة على أنه كان ينظر إليهما بوصفهما علمًا واحدًا عند الفلاسفة، بدءًا من أساطين الفلسفة اليونانية، أفلاطون وأرسطو، وأنه كان ينظر إليهما كذلك بأنهما يَهدِفان إلى غاية واحدة هي البحث عن الحقيقة واكتشافها، خدمة للإنسان وازدهار الوضع البشري في جميع مستوياته؛ ولذا، فهما -من هذه الزاوية من النظر- يُعبِّران عن تاريخ تطور العقل الإنساني في جانبيه النظري والتطبيقي.

والباحث في تاريخ كل من الفلسفة والعلم يجد أن الشروط المنطقية بل الموضوعية وفرّت شروط الارتباط الوثيق بين الفلسفة والعلم، ولا أدلَّ على ذلك من تقرير حقيقة أنَّ مُعظم العلوم الفرعية والمعارف البشرية عامّة اندرجت في خضم الاشتغالات الفلسفية، عندما كان الفيلسوف في نطاق تفكيره وتساؤلاته يقوم بوظيفة العلماء، سيّما في المسائل المتعلقة بالطبيعة والعالم والإنسان والنفس والسياسة والأخلاق والجمال.

وهكذا، فإن صِلة الأم، أي الفلسفة بأبنائها سائر العلوم الطبيعية والإنسانية والرياضية وثيقة جدًا، واستمرت هذه العلاقة الموضوعية الارتباطية قائمة إلى أن استطاع كل علم لاحقًا أن يؤسس منهجه الخاص، وأن تكون له أهدافه وفروضه ووظائفه التي يسعى إلى تحقيقها؛ عندئذ، تم تجاوز نسق التفكير الفلسفي الكلاسيكي الذي نظر دائمًا إلى العلوم بوصفها فرعًا من الفلسفة، أو أنها وليدة شرعية للاشتغالات العقلية الفلسفية. وكان ذلك إيذانًا بعصر استقلال العلم عن الفلسفة، مع ما رافق هذا الاستقلال من مخاضات وهواجس



وصراعات على ضفتي الفلسفة والعلم معًا؛ إذ لم يتحقق هذا الاستقلال إلاّ بعد تحولات ونضالات وثورات معرفية كبرى.

كان للاعتبارات التاريخية والأبستمولوجية دور مهم في رسم وشيجة التلازم بين الفلسفة والعلم، إذ إنهما يعكسان معًا في الوقت ذاته جهود الأمم وتجاربها، في بحثها عن هويتها مقابل هوية عالم الأشياء، وإدراك تمايزها عن الطبيعة، وكذلك في بحثها عن ماهية الحقيقة بين هاتين الهويتين، عبر ظهورات الوعي وتجليّات العقل في العالم.

ولأن الفلسفة امتدت إلى الحقول والميادين المعرفية العديدة، وذلك بالنظر إلى طبيعتها التساؤلية، وموضوعاتها وقضاياها ومشكلاتها وأنواعها، فهي أسهمت دائمًا في تطوير سائر المعارف والعلوم التي نشأت قديمًا، وقدمت كثيرًا من العلوم التي أغنت وساعدت في إثراء الحضارة البشرية بشكل عام. ومن الطبيعي أن ينظر في تلك الأثناء إلى الفلاسفة بوصفهم علماء، إذ لم يكن مفهوم عالمٍ حاضرًا أمام الفكر الإنساني بعد.

من المحتم أن ما تحقق معرفيًا في تاريخ المعرفة الإنسانية على مستوى تطور العلوم وتقدمها أدى إلى أن تخسر الفلسفة نفوذها وهيمنتها على العلوم، من دون الاعتبار أن هذا الخُسّرَان قد سلب الفلسفة وظيفتها، فأخذت العلوم تبعًا لذلك تشق طريقها الاستقلالي وتنفرد بموضوعاتها الخاصة، وتستقيم أصولها وفروعها على مذاهبها النوعية، لكن من دون أن يؤدي ذلك الاستقلال إلى الانفصال الكامل أو القطعية الكبرى بين الفلسفة والعلم، كما يزعم أصحاب النزعة الوضعية من ذوي الأيديولوجيا العلمانوية.

من المعلوم أن التقدم في التفكير العلمي الحديث أفضى إلى تقدم في العلم، الذي نشط في التطور والتوسع في فتوحاته المعرفية، وبشكل مستمر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وكانت أولى خطواته الخجولة في الاستقلال على يد الرواد الأول في البحث العلمي، ممن جمعوا بين صفتي الفيلسوف والعالم، من أمثال فرانسيس بيكون وغاليليو ونيوتن وكبلر وغيرهم، الذين فكروا وبحثوا بوصفهم فلاسفة إلى جانب تبنيهم مناهجهم العلمية الخاصة بالتفكير العلمي الجديد، وشرعوا يدرسون الظواهر الطبيعية مستندين إلى الإجرائيات الصحيحة، من ملاحظة وتجربة واستعمال الأجهزة والآلات التي تمكنهم من إجراء التجارب وتفسير هذه الظواهر الطبيعية وفهمها.

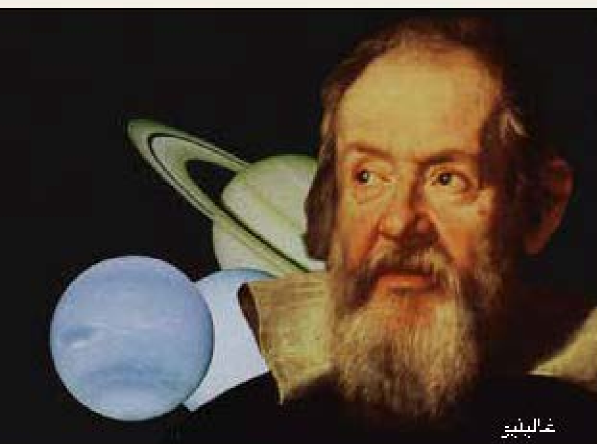
عند هذا المُنعَرجَ التكويني الجديد لأُصوليات المعرفة العلمية، بدأ مصطلح العلم بدلالاته المنهجية الحديثة وحيز عالمه وموضوعاته بالظهور والانزياح التدريجي عن كل من الميتافيزيقا، والفلسفة، ووظائفهما وأسئلتهما الكلاسيكية. وأخذ فلاسفة التجريب والطبيعة التفكير بطبيعة العلم وموضوعاته ومناهجه بصورة مختلفة، وسار كل علم تخصصي يبحث ظواهره وموضوعاته بعيدًا عن التجريد والتأملات



العقلية الصرفة، كما كان هو حال نظريات أرسطو وفلاسفة القرون الوسطى.

أصبح العلم يستند في مبادئه وأسسه إلى التجريب الدقيق والفروض العلمية والتفسيرات السببية لجميع الظواهر والحوادث في العالم، وهنا برزت الاختلافات بين العلم والفلسفة موضوعًا ومنهجًا وطبيعة مشكلات، وصعد العلم وتقدم على قاعدة التراكمية، ما أدّى بالنتيجة إلى استقلال العلوم بفروعها المختلفة، ومع فتوحات العالم المطّردة، وصل استقلال العلوم عن الفلسفة مُنتهاه البعيد في القرون التالية.

يمكن ملاحظة أنه في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر حصل بين الفلسفة والعلم شيء من الجفاء والخصومة، أحيانًا، فقد غلبت في ذلك القرن الروح الماديّة على العلماء، وساد نوع من الخطاب الرغبي من قبل دُعاة الوضعية الصلبة أو المتعصبة، خطاب يُصر على تغيير طبيعة الفلسفة على نحو يتوافق كليًا مع العلم وقواعده ومناهجه ومُسلماته. وهذا الخطاب يتسم بالاختزالية، بل يسعى لأن يتوقف عن الاعتراف بالفلسفة، ومن أنه إذا كان ثمة دور بقي للفلسفة، فلن يكون هذا الدور مَشروعًا إلّا إذا أصبحت الفلسفة «فلسفة علمية»، وهذه النظرة الدونيّة أو الاختزالية للفلسفة فضلًا عن كونها نزعة متطرفة تصدر من اتجاهات علموية وضعية تعبّر عن اعتراف خجول لنوع من مشروعية ضعيفة للفلسفة، فإنها متأثرة بنزعة تمجيدية تصنيميّة تقديسية للعلم، وكأن العلم سادن الحقيقة الكلية في


غاليليو

الوجود مُبرأ من النقائص والعيوب، سيما في تطبيقاته القاسية على الإنسان والطبيعة.

وإذا فحصنا العلاقة الجدلية بين الفلسفة والعلم من منظور الوضعية الضيق، فإننا نواجه مأزقًا حقيقيًا تجاه النظرة الأُحادية لتفكيك إشكالية التمييز بينهما. ومع أن الموقف الوضعي متمسك بمقولاته الخاصة بالاختلاف بين الفلسفة والعلم، لكن ينبغي الذهاب إلى تحليل طبيعة الاختلاف وفق نظرة أوسع تتجاوز ما سكت عنه أنصار الوضعية الضيقة، وهي مدى اختلاف هذه الأصول المميزة للعلم عن الفلسفة من غير أن يعني ذلك حتمية النزاع أو الصراع بينهما.

لا يمكن أن نجحد حقيقة أن العلم اليوم يفرض نفسه على مُجمل نشاطات الحياة وحقولها الواسعة وأن السيطرة العلمية الظاهرة تُعدّ الصفة المميزة لعصرنا، بيد أن المشاكل العويصة التي ترافق التقدم العلمي وتطبيقات العلم من شأنها أن تعيد مشروعية استحضار أو استدعاء خطاب

العودة المجددة للفلسفة والتفكير الفلسفي، وهو ما يحدث اليوم في الفضاءات الفكرية والثقافية الأوروبية والغربية عمومًا، مع تنامي نزعة التطرف في العلم وتطبيقاته، وذلك على أساس إعادة موضعه وإدراج علاقة إيجابية مثمرة بين الفلسفة والعلم، تقوم على نوع من التشاركية التي تعني ضرورة صناعة معادلة (التقنية الإيجابية والأنْسنة الواعدة)، من أجل مستقبل الكينونتين، كينونة الإنسان وكينونة الطبيعة وحفظهما من الآثار المدمرة لبعض تطبيقات العلم التي لم تعد تنظر إلى العلم في ذاته بقدر نظرتها إلى العلم في مصالحة الضيقة.

ومع الاعتراف بالتمايزات بين العلم والفلسفة في الطرائق والمنهج وطبيعة الاختصاص في الحقول المعرفية، فإنه لا سبيل إلى نكران أنهما يُعدّان مصدرَين أساسيَين للمعرفة. من هنا، فإن الإشادة العقلية تقتضي القول بأن مساحات الاتصال والانفصال بينهما حاصلة، من غير أن يعني ذلك القطيعة بينهما، ومن أبواب هذا الاتصال، حقيقة أن تطور كل منهما يعتمد على تطور الآخر وهذه الخلاصة الجدلية باتت اليوم في وضعية اعتراف متبادل عوضًا عن الإقصاء المتبادل.

كما أن طبيعة الحقول المعرفية التي ترتادها الفلسفة وكذلك العلم من التشابك والتعقيد الذي يفوق ادعاء أي طرف دون طرف إمكانية التصدي للمشاكل المعرفية والوجودية التي يعيشها العالم اليوم، بل إن هذه المشاكل تقتضي مسألة إيجاد حلول لها من حيث التكامل بين الفلسفة والعلم، أي بناء علاقة تشاركيّة تكاملية؛ فالفلسفة محتاجة اليوم للعلم الذي تصنع فتوحاته العظمية تساؤلات فلسفية جديدة، مثلما أن العلم محتاج إلى الفلسفة في تحديد أُطره النظرية والبراديغمات الخاصة بنماذجه العلمية الإرشادية ومعضلاته التي تتجاوز الإجرائيات المنهجية الإمبريقية والبحوث التجريبية، وتحتاج إلى أسئلة فلسفية صرفة.

إن الاستقلال المعترف به اليوم بين العلم والفلسفة لا يعني تعارضهما، بل إن كل حقل منهما يتبادل النمو والتطور المعرفي بالاستفادة من نتائجهما وأبحاثهما، ذلك لأن كل من التفكيرين الفلسفي والعلمي يصدران عن العقل المتأصل في الطبيعة البشرية.

نخلص إلى القول بأن واقع العلاقة الارتباطية بين الفلسفة والعلم بما هي علاقة موضوعية تتعدى العلاقة التاريخية، لا يمكن أن تشير إلى اعتبار فكرة الضرورة في العلاقة التكاملية فكرة اعتباطية أو تَحكميّة تضر بالعلم ومساراته كما يزعم بعض أصحاب النزعة العلموية المتطرفة، أو الذين ينظرون إلى العلم نظرة تقديسية فوق تاريخية وأنه بريءٌ من أخطائه ومن سوء تطبيقاته، ويصرون على القول بأن الفلسفة معرقلة للمسار التقدمي للعلم!

* كاتب - الأردن.



الفلسفةُ بين الواقعِ والعلم

■ راشد الذيب*

ما الذي حدث للفلسفة في عصر الفوضى والعلوم؟ لا بُدّ أن العلم المزاحم لجميع أنواع الذكاء قد قلَّص مساحات التفكير لدى الإنسان الذكيّ، بعد أن كانت الفلسفة مرادفة للحكمة في معظم العلوم؛ ومنذ نظريات إسحاق نيوتن وعمله المشهور «المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية»، إضافة إلى أحداث الحرب العالمية الثانية، شهدت الشعوب بعد الحرب أن الوظيفة أهم بكثير من الفلسفة، لكونها احتكرت العلوم الطبيعية بنواحيها الفيزيائية المادية غير البشرية على الأرض وحتى الكون، وبكل ظواهرها، ومن ثَمّ لم يعد للفلسفة اليوم فضاءٌ فلسفيٌ كما كان سابقًا، حين كانت الفيزياء أو الأحياء أو حتى علم النفس والاجتماع تُولَد كضلع للتأمل الفلسفي.

من هنا، يشير الفيلسوف الألماني الشهير «إيمانويل كنط» إلى سمة فريدة تميِّز العقل البشري، وهي سعيه الدائم في البحث عن إجابات لأسئلة يستحيل الإجابة عنها. ومع علمه بهذه الاستحالة، فإنه لا يكفُّ عن طرح تلك التساؤلات. ورأى أن هذه هي السِّمة الفريدة التي تشكِّل قوام الفلسفة. ونلمس هنا كيف أدرك «كنط» أنَّ طبيعة الفلسفة هي أقرب إلى طرح الأسئلة منها إلى تقديم الإجابات، ولكن ليس معنى هذا أنَّ الفلسفة تعجز عن تقديم الإجابات وطرح الحلول دائمًا، بل إن الإجابات التي تقدِّمها الفلسفة تحرِّض على مزيد من التساؤل، أو تشحذ في أذهاننا مَلَكَةَ التساؤل والتفكير.

وعالم اليوم المثقل بالإنجازات العلمية الكبيرة، من غزو الفضاء إلى البيولوجيا الدقيقة إلى اكتشاف الخريطة الجينية وثورة الاتصالات التي أدخلت البشرية عصرًا جديدًا، أصبح يعرف بالعصر الرقمي. وهذا الأمر يدفع إلى التساؤل: ما دور ومكانة الفلسفة في هذا العصر الذي خطت فيه البشرية خطوات كبيرة نحو عصر علمي وتكنولوجي جديد، بدأت تأثيراته تظهر في العالم بأسره، ويصعب التنبؤ بجميع نتائجه وتداعياته؟ وهل بقي للفلسفة وسط هذا الزخم العلمي أيّ مجالٍ خاصٍ بها، يمكنها أن تهتم به؟ أم إنَّ حالها ومآلها باتا محصورين في الاجترار العقيم لقضايا عتيقة؟

كيف تقدر الفلسفة على الواقع وهي لم تغير نفسها، ولم تحاول تغيير الذات الطامحة للتغيير الجذري؟ ومتى يتم اعتماد الفعل الجماعي الموحد في التغيير والانتقال من الانطواء الفردي إلى الوحدة التاريخية للقوى المناضلة على الصعيد الاجتماعي؟



ومن هذا المنطلق طرح فيلسوفنا، جورجين هيرماس، نظرية فلسفية جديدة للعلاقات الإنسانية في ظل هذه الثورة الرقمية، تقوم على أساس تحقيق أكبر قدرٍ من التفاهم المتبادل بين الأفراد والجماعات، من أجل تحقيق أكبر قدر من المواءمة بين هذه الثورة الرقمية وثقافات الشعوب، وذلك بفتح نقاشٍ وحوارٍ يؤديان إلى آفاق جديدة لتساؤلاتٍ فلسفية جديدة، تتطلب أجوبة عنها. والفلسفة بأوسع معانيها هي وحدها القادرة على طرح النقاش والحوار، وتبادل الآراء حولها. وكلما تمكّنت هذه الثورة الرقمية من فتح أفقٍ جديدٍ للإنسان، ازداد الإلحاح على الفلسفة بالأسئلة المتعدِّدة، كي تساعدنا على استعادة التوازن، واسترجاع التناسق في رؤية الإنسان لعالمه المعاصر.

هل نعتقد اليوم أن مهمة الفلسفة تهدف إلى تغيير المجتمع؟ الحقيقة أنها وجدت لذلك، وإلا ما فائدة الحكمة في حياة الإنسان، وكما نرى أنها أثرت حتمًا بعد قراءتنا للتاريخ الإنساني الطويل، إنها غيرت، وإن كان التغيير بطيئًا، والسبب أن إمكاناتها الملموسة والفعالة تتطلب التركيز، إضافة إلى مواجهتها الأفكار الأخرى التي لم تنسجم معها؛ لذا، ومنذ أن خرجت الحكمة أو الفلسفة إلى الوجود وهي تظهر بأنها تخص أفرادًا قلائل، وبطبيعة الحال فإن الحكمة إنتاجها قليل، وتأخذ زمنًا ممتدًا كي تأتي بنتيجة مؤثرة.

اللافت للنظر أن التغيير الفعلي يسبقه استبدالٌ في رؤية الإنسان للعالم القديم، وتَبنّي رؤية جديدة لعين الذات والعالم الذي يسكنه، وإصرار على المشاركة في صناعة المستقبل، والتوجه التشاركي نحو بناء العالم الجديد، والتخلي الطوعي عن سلبيات الماضي وأمراضه، وكل أشكال الانغلاق والتعصب والتسلح بالفكر الإيجابي، وإرادة العيش المشترك، ومقاومة الارتداد والتبعية والتخلّف، وإبداع شكل جديد للحياة والتغلب على الحتمية.

فلذلك، لا يقتصر التغيير على الوعي والثقافة والبنية الفوقية والقوانين، وإنما يشمل وضع العمال والنساء والفئات الهشة، والقضاء على التفاوت بين الطبقات، وتكريس المساواة، واجتثاث الفقر من جذوره، واحترام الكرامة. وليس الوعي هو الذي يحدد مصير الإنسان، بل الظروف المادية هي التي تحدد الوعي، وبالتالي فإنّ الوعيَ نتاج اجتماعي، ولكن المرء عن طريق تحويل البراكسيس الفردي إلى براكسيس جماعي، وبالعمل الخلاّق، يمكنه أن يسيطر على محيطه الطبيعي، ويكتسب الإرادة الفعلية على الأشياء ويقدر على تغيير أحواله. لكن لماذا يرتبط تغيير الأوضاع المادية للعالم دائما باستبدال التصورات القديمة له بتصورات ذهنية جديدة؟

---

* كاتب - السودان.



فلسفةُ الكتابةِ الشّذريّة

■ أيمن حسن*

هيرقليطس-أبيقور-ماركوس أوريليوس- «الموراليست»، أو كتّاب الأخلاق الفرنسيّين في القرن السّابع عشر-نيتشه-سيوران: يُمكِنُ الانطلاق من هذه الأسماء لقراءة هذا الشّكل اللاّمعهود في الكتابة، لفهم قيمته الفكريّة والفلسفيّة الّتي فرضت نفسها على النّسق والنّظم والمدارس الفلسفيّة منذ زمن هيرقليطس المسمّى بالفلسفة الماقبل سقراطيّة أو الأتوميّة (القرن السّادس قبل الميلاد)، وصولا إلى ما بعد الحداثة (النّصف الثّاني من القرن العشرين).

لكن لا تخلو مسألة هذا الجنس في الكتابة من التّعقيدات، أوّلها ما يقوله أحد روّادها المعاصرين الرّوماني الأصل إيميل سيوران (١٩١١-١٩٩٥م) الّذي كتب أهمّ أعماله بالفرنسيّة. يقول سيوران: «يَدِينُ أبيقور وهيرقليطس بالكثير، لأنّهما لم يبقيا على قيد الحياة إلاّ على شكل شذرات فقط. يستحقُّ الفيلسوف أن يكمّله تلاميذه، وإن جاءوا بعد ألفي عام. تتمثّل مهمّتهم في تخيّل ما تحتويه الأجزاء المفقودة، وملء الفجوات على النّحو الذي يَرَوْنَهُ مناسبًا.» («الكراريس ١٩٥٧-١٩٧٢م»، منشورات غاليمار، ١٩٩٥م، ص.٦٣٠).

يعني ذلك أنّ بعض الأعمال لم تُكتب على هذه الشّاكلة، بل صارت كذلك لأسباب تاريخيّة معقّدة، وهذا ما يقوله سيوران في شذرة أخرى يتحدّثُ فيها بهذه الطّريقة عن أبيقور: «يا لها من خيبة أمل أنّ أبيقور، الحكيم، الّذي أحتاجه بشدّة، كتب أكثر من ثلاثمائة مصنّف. ويا له من ارتياح أنّهم ضاعوا جميعا!» («عن مساوئ الولادة» (١٩٧٣م)، في «الأعمال الكاملة» (٢٠١١م)، ص. ٧٦٠).

يَفْتَحُ لنا هذا المقطع الصّغير أفقًا جديدًا لقراءة أعمال الفلاسفة الكبار؛ بمعنى أنّ فلسفة الكتابة الشّذريّة تُمكّننا من إلقاء أضواء جديدة على النّصوص الّتي وصلتنا، والّتي لا يجوز أحيانًا أن نتعامل معها بطريقة نسقيّة متكاملة الأسس والبناء. فالشّذرة من هنا إعادة تقييم لشموليّة بعض الفلسفات والمدارس الّتي تحوّلت في حدّ ذاتها إلى دغمائيّات. وهذا بالفعل ما نجده عند الفيلسوف والإمبراطور الرّوماني ماركوس أوريليوس (١٨٠-١٢١م) من خلال كتاب «تأمّلات من أجل نفسي» الّذي جاء في شكل شذريّ محض، أي أنّ أفكار وتأمّلات الفيلسوف انطلاقًا من قراءاته، ومن خلال ممارسته السّلطة، وجدت في هذا الشّكل البرقيّ الصّبغة المثلى للتّعبير عن نفسها. يُمكننا استقراء ذلك من هذا النصّ الّذي يجمع بين شاهد للإمبراطور الفيلسوف وتعليق للفيلسوف المعاصر:

«كلّ ما يحدثُ لنا عاديّ ومتوقّع مثل الورد

في الرّبيع، أو الحصاد في الصّيف. هكذا هو لنا المرض والموت والافتراء الّذي يُمزّقنا» (ماركوس أوريليوس).

نظرة عميقة من خلال وضع الافتراء في التّسلسل الهرميّ للأوبئة مباشرة بعد المرض والموت...» (سيوران، «الكراريس ١٩٥٧-١٩٧٢م»، ص. ١٩٤).

هنا تكمن ضراوة هذا الجنس في الكتابة: شذرة تحمل قراءة ونظرة للعالم فحكما تُعلّقُ عليها شذرة أخرى تذهب بها أبعد في الزّمان والمكان. وهذا ما يُدوّنه سيوران في أحد كراريسه في شهر مارس ١٩٦٣م، قبل أن يعيد بلورته على شكل هذه الشّذرة في كتاب «عن مساوئ الولادة» سنة ١٩٧٣م:

المقطع الأصلي: «قرأتُ عند فيلسوف من القرن التّاسع عشر أنّ لاروشفوكو مُحقٌّ بخصوص الماضي، لكنّ «أحكامه» لن تنطبق على رجل المستقبل!»

المقطع النّهائي: «أقرّ فيلسوف من القرن الماضي في أسخف براءته أنّ لاروشفوكو كان على حقّ عن الماضي، لكنّ المستقبل سيدحضُ قوله. فكرة التقدّم تسيء حقًّا إلى العقل.

نلحظُ الفرق بين ما كتبه سيوران في كراريس عمله، وما قرّر نشره بعد التمعّن وإعادة الكتابة، وهو في حدّ ذاته فنّ لا يستهان به يخصّ هذا الجنس من الكتابة كما يخصّ الشّعر بسبب القيمة الّتي تحملها كلّ كلمة وعبارة، أو كما يقول سيوران نفسه في أوّل كتاب من نوع الشّذرات تحت عنوان «قياسات المرارة» نشره سنة ١٩٥٢م: «أحلمُ بعالم نموت فيه من أجل فاصلة».

أمّا بخصوص فرانسوا دو لاروشفوكو (١٦١٣-١٦٨٠م)، وهو مع بليز باسكال وجون دولا برويير أحد أهمّ «الموراليست»، أو كتّاب الأخلاق الفرنسيّين في القرن السّابع عشر، فيمكننا اعتبار تطوّر اللّغة والثّقافة الفرنسيّة الّتي وصلت إلى ما يُسمّى بالعهد الكلاسيكي، أي شيء ما مثل العهد الذّهبي، خاصّة مع ثقافة البلاط من جهة، والصّالونات الأدبيّة والفكريّة من جهة أخرى، سنحت إلى هذا الجنس من التّبلور، حتّى إنّه في حدّ ذاته صار حجر زاوية لكتابة المسرحيّات والرّوايات كما يتجلّى ذلك في رائعة «الأميرة دو كليف» (١٦٧٨م) الّتي لعب لاروشفوكو دورًا كبيرًا في كتابتها إلى جانب صاحبتها السيّدة دولا فاييت.

في أحد حواراته الشائقة، يروي سيوران كيف شرع في تقليص نصوصه - بعد صدور كتابه الأوّل «رسالة في التّحلّل» (١٩٤٩م) -، إذ يقول: «يجبُ أن نفهم أنّ كتابة الأقوال المأثورة بسيطة للغاية: تُلبّي دعوة عشاء، سيّدة تقول شيئًا غبيًّا، هذا يُلهمك للتّفكير، تعودُ إلى المنزل، تكتبه. هذا تقريبًا ما يحصل. أو في منتصف اللّيل لديك إلهام، بداية عبارة، في السّاعة الثّالثة صباحًا تكتب هذه الصيغة. وأخيرًا يُصبحُ كتابًا. هذا ليس أمرًا جدّيًا. لا يمكنك أن تكون أستاذًا جامعيًّا من خلال كتابة الشّذرات. لا، ليس هذا ممكنًا. لكنّي أعدُّ أنّ في حضارة الانحطاط، هذا النّوع من الأشياء جيّد جدًّا.» («حوار مع ليو جيلّي»، الحوارات، باريس، غاليمار، ١٩٩٥م، ص.٧٨).

هذا هو الفكر الأخلاقي الّذي يندرج ضمنه شكلًا ومضمونًا سيوران كأنموذج للفكر الأخلاقي الكلاسيكيّ الّذي تطوّر في فرنسا،



وعرف رواجًا كبيرًا في كامل أنحاء أوروبا إلى حدود نهاية القرن التّاسع عشر مع أحد أهمّ الفلاسفة فريد ريش نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠م) الّذي يعده الباحث والجامعي روبارت بيبّين أحد الفلاسفة الأخلاقيّين الفرنسيّين. يُمكننا معاينة ذلك من خلال كتاب «إنسانيّ مفرط في الإنسانيّة» المتكوّن من جزأين (١٨٧٨م)، الّذي أهداه الفيلسوف الألماني إلى اللاّذع فولتير بمناسبة مئويّة وفاته. ففي الشّذرة السّادسة والثّلاثين، الّتي جاءت تحت عنوان «اعتراض»، يكتب نيتشه ما يلي: «يُشبهُ لاروشفوكو والأساتذة الفرنسيّين في الدّراسات النّفسيّة الرّماة الّذين يُصوّبون جيّدًا ويُخْفُونَ في الظّلام، - لكن في ظلمة الطّبيعة البشريّة. تُثيرُ مهارتهم الدّهشة، لكن المتفرّج الذي يسترشد بحبّ البشر وليس بروح العلم، سينتهي به الأمر إلى لعن هذا الفنّ الّذي يبدو أنّه يغرسُ في النّفوس الميل إلى التّقزيم والشّك في البشر».

آثرنا ترجمة المقطع إلى النّهاية لأنّ الجملة الأخيرة تعكس بالنّسبة لنا قيمة الفكر الشّذريّ بصفة عامّة، والمقدرة النّيتشويّة على النّقد والتّجاوز بصفة خاصّة، فبالرّغم من إعجابه بفلاسفة الأخلاق الفرنسيّين يُحاول نيتشه الذّهاب قدمًا، بمعنى أنّه لا يتوقّف على الإعجاب أو التّقليد، بل يُحاولُ أن يُعطي لكتابته ونظرته الأخلاقيّة بُعدًا علميًا جديدًا بفضل الاكتشافات الّتي وصل إليها العلم خلال القرنين الثّامن والتّاسع عشر. هنا، يمكننا الحديث عن «أنثروبولوجيا» حقيقيّة كما عبّر عن ذلك ثلاثة من أهمّ الباحثين في تاريخ أدب القرن السّابع عشر، هم: جون لافون، وإيريك تُوريت، ولويس فان دالفت الّذي يعد «الكتّاب الأخلاقيّين بمنزلة علماء إنسان قبل زمنهم». يبدو ذلك صريحًا إن قارنّا الصّلة الّتي تربط بين هؤلاء ونيتشه الّذي من خلال قراءاته لهم حاول الابتعاد عن النسقيّة الأنثروبولوجيّة الّتي جاءت بقلم مُواطنه إيمانويل كانط (١٧٢٤-١٨٠٤م). ربّما يطول شرح الأمر هنا، لكن يُمكننا تلخيص هذه العلاقة عبر النّقاط الثّلاثة التّالية: «الرّجل الشّريف» والذّوق الرّفيع؛ العلاقة بين الأفراد في المجتمع؛ ومسألة التّفاعل الّتي تعتبر ضاربة في الحداثة، إذ إنّها تفتح لنا الأفق لقراءة أنثروبولوجيّة ونفسيّة واجتماعيّة، على حدٍّ سواء.

وهكذا، يُمكننا أن نقول إنّ فلسفة الكتابة الشّذريّة تطرح تساؤلات عديدة عن مواضيع أوسع وأكبر من مسألة الشّكل في الكتابة والأجناس الأدبيّة والأنماط الفكريّة والأنسقة الفلسفيّة. المسألة كما يقول عنها سيوران في آخر شذرة من آخر كتاب أصدره (١٩٨٧م) تحت عنوان شائق ورهيب في الوقت نفسه: «اعترافات ولعنات»: «بعد كلّ شيء، لم أضيّع وقتي، لقد اهتززتُ كثيرًا، مثل أيّ شخص آخر، في هذا الكون المنحرف.»

أليس هذا ما يلزمنا هذه الأيّام، أيّام الجائحة والحجر الصحّي والعزلة الفرديّة والجماعيّة على حدّ سّواء: بعض الشّذرات اليوميّة كجرعات دواء للتّفكير والتحرّك وربّما الكتابة فتكريس ثقافة الحياة في نهاية الأمر.

* كاتب - تونس.



الفلسفةُ والحياةُ.. بين الخيرِ والشرِّ

■ د. هناء بنت علي البواب*

في دراسة علم الأخلاق، يوجد أكثر من اتجاه عام في الجانبين القديم والحديث، فالتصور اليوناني يدور محوره حول «السعادة»، وكان الحكماء والشعراء يرون أنها تنحصر في اللذة الحسية، أما الفلاسفة فيرونها في اللذة العقلية.

وفي المفهوم الديني، الأخلاق في الدنيا طريق إلى السعادة في الآخرة. وفي العصر الحديث هناك أكثر من تصور أيضًا، منها ما يدور مركزه حول «التجربة»، أو «الواجب»، أو «المنفعة»، أو «التطور». وهكذا، تنوّعت وتشعّبت التصورات الأخلاقية.

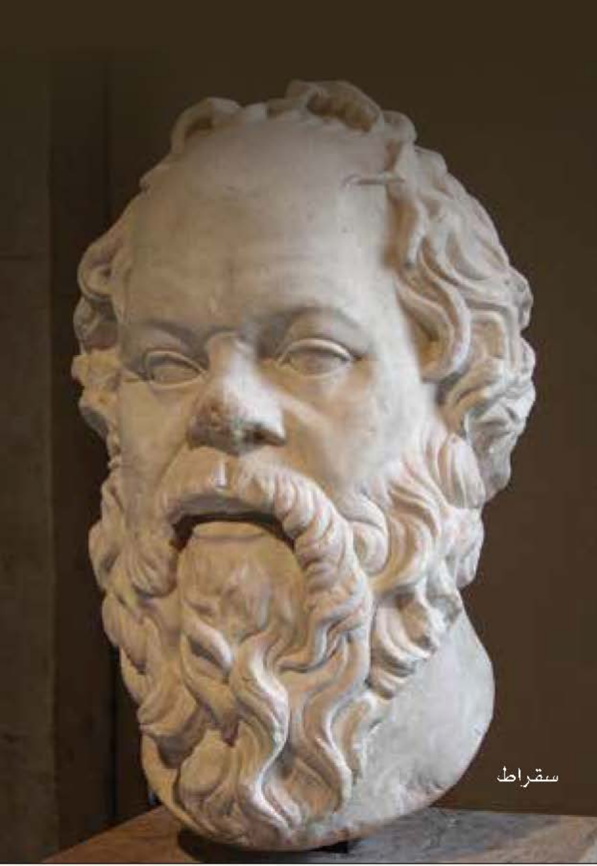
فحين بدأت الفلسفة الخلقية وفق منظورها العقلاني المتناسق فكرًا وروحًا على يد سقراط، فقد أظهر أن الأحكام الأخلاقية هي بنية تتابعية متواصلة وفق نظام عقلي ثابت يرتبط بعضه ببعض ليشكل تسلسلًا في المراتب يكتشفه العقل وحده، وليست مجموعة متوالية، كيفما اتفق الأمر.

ولقد اهتم سقراط بدراسة الحد الكلي والماهية المشتركة للإنسان أو الطبائع العامة للأشياء، وبذلك وضع الساف الأول في تشييد علم الأخلاق.

فالعلم الذي يراه سقراط، يبتدئ بتحديد المعاني وإقامة التصورات من خلال عملية الاستقراء والانتقال من الجزئي إلى الكلي؛ وبذلك، وضع للأخلاق نظامًا متماسك الأجزاء، وراسخ البنيان. فالموجودات الذهنية هي الموجودات الحقيقية، وبما أن الوجود العقلي أسمى من الوجود الحسيّ، إذًا فإن الحياة الحقيقية هي الحياة التي تستضيء بنور العقل. وعلى هذا المبدأ، يعد السلوك الأخلاقي هو ذلك السلوك الذي يعتمد على المعرفة والتفكير، وأن الفضيلة تتضمن معنى العلم، والعلم يقوم على الفضيلة.

لذلك، متى ما علمنا أن هذا خيرٌ أردناه، ومتى أردناه فعلناه، إذ كل منا إنما يطلب الخير لنفسه، والخير إنما يكون بتوافق الإرادة والعقل. أي إن إنجاز الخير يتحقق بالعمل وفق العلم والمعرفة. ومن هنا، لا يرتكب الإنسان فعل الشر بمحض اختياره، ولا يرغب فيه حين يعلم علمًا يقينيًا واضحًا ما هو الخير. وعندما يجنح الإنسان لفعل الشر، فهو إنما يجنح له بسبب جهله به، فكل الشرور ناتجة من الجهل، وجميع الخيرات مبعثها العلم. ومع ذلك، بمقدور الإنسان




سقراط

أن يتعلم الصدق والعدل والشجاعة وما إليها، ومن الممكن تعويده على فعل الخير باطلاعه على نتائج الأعمال الحسنة، ولا علاج للشرير أفضل من تعليمه نتائج سوء أفعاله التي ارتكبها.

أما أفلاطون، فقد اهتم بالأخلاق جراء تأثره بأستاذه سقراط، وكتب محاوراته الأخلاقية على غراره، وذلك في تقديم مبدأ العقل والقانون على بقية مبادئ الغريزة والمنفعة واللذة والطبيعة. ففي محاورة «بروتاغوراس» ينص أفلاطون على أن القانون ليس كما يعتقد السوفسطائيون، بأنه اتفاق بين طرفين متساويين، بل رابطة عضوية متينة بين الفرد والدولة، مثل رابطة العضو بالجسد.

وبحسب رأي أفلاطون، فإن الحياة المثالية تعتمد على مدى إحاطة صاحبها من الفلسفة، وعلى قدرته في تثمين الأشياء. إذ كلما تفوّق فيه نداء العقل والفلسفة على مبدأ البطش واللذة، ارتفع وسما حتى يبلغ السعادة القصوى. لذلك، في محاورة «فيدون» يصف الخير، بأنه الخلاص من الجسد واستئصال الشهوات والقضاء على الحياة الحسية؛ إذ «بالتأكيد يمكن للروح أن تنعكس عندما تكون خالية من كل المشتتات مثل السمع أو البصر أو الألم أو المتعة من أي نوع. بمعنى عندما تتجاهل الجسد وتصبح مستقلة قدر الإمكان، وتتجنب جميع الاتصالات الجسدية والارتباطات بقدر الإمكان وبقدر ما تستطيع في بحثها عن الواقع».

وإذا كان السوفسطائيون ينكرون قانون الأخلاق لأن الضعفاء أوجدوه لحمايتهم، وأن الفضيلة تعني اللذة، ويحق للإنسان أن يعمل ما يراه لذيذًا، فإن أفلاطون يرد عليهم، بأن هذا القول يجعل الحق نسبيًا، والفضيلة شخصية، والأخلاق بلا قانون؛ وهذا منتهى الجهل، إضافة إلى أنه لا يفرق بين الخير والشر؛ ما ينفي عنهما حقيقة ذاتية ثابتة، فيؤدي إلى هدم الأخلاق والمجتمع، ويقضي على الإنسان والإنسانية.

* كاتبة - الأردن.

الفلسفةُ من الحياةِ إلى الفنّ

■ ليلى التلمساني*

إن الأصل في الفلسفة -كما يقول أرسطو- هي الدهشة التي جعلت الإنسان يتفلسف ويطرح السؤال بحثًا في ألغاز الطبيعة والوجود. هدف الإنسان الحقيقة ومعرفة ما وراء الأشياء والموجودات، في تفسير الطبيعة بعللها وأسبابها بعيدًا عن الأسطورة وبطولات الآلهة، وكل ما هو نتاجٌ للخيال، وما لا يستسيغه العقل ولا يقبله في تأويل الأشياء.

من عالم الميتوس، وسرد القصص، ومغامرات الآلهة في الثقافة اليونانية، إلى هيمنة اللوغوس والبحث عن الحقيقة، كانت البداية عظيمة، كما يشير لذلك هايدغر في انبثاق فكر من الإنسان والطبيعة؛ فكرٌ ينتشل التفكير من براثن التفكير الأسطوري، ويقدم عصارة التفكير الإنساني في خدمة اللوغوس.

حاجة الناس للتفلسف، تعني قدرة الفلسفة في إزالة الغموض عن العالم، وطرح الأسئلة الفلسفية عن مجمل القضايا الشائكة، تلك التي تندرج ضمن ما هو ميتافيزيقي، وتلك التي تُعبّر عن صميم الحياة الخاصة بالمعاناة والألم والسعادة ورغبات الإنسان. لا شيء يبقى يقينيا، ولا بديل عن التفكير النقدي والتسليم بحق العقل في التساؤل وإثارة الممكن، في عالم يزداد غموضًا وتعقيدًا كما في تحليل رأي إدغار موران للفكر المركب، وأسئلته القلقة عن عالم اليوم، في ظل أوهام الإنسان وأحلامه.

ثقافة الاختزال والتبسيط نالت اليوم من التفكير جهدًا، ولم يعد يقوى على مجاراة الحياة وإيقاع الزمن، والفكر المركب تراجع أمام فكر تبسيطي، أو لنقل فكر تقني يهيمن عليه دعاة التقنية وأصحاب التخصص، فكر ينتهي لاغتراب الإنسان، وتكريس أنماط من السلوك يهتم بالاستهلاك والتنميط؛ وبالتالي، تخاطب الفلسفة الإنسان في ذاته لأجل الغوص والفحص على الطريقة السقراطية، أو على الطريقة الديكارتية، أو استلهام آليات الفكر الفلسفي المعاصر في الحفر والتفكيك والخلخلة، ما يعني أن لا يقين نهائيًا ولا بداهة فوق النقد والتحري!

إذا أردنا أن نستوعب خصوصية الفلسفة التطبيقية، كان علينا أن نميز بين أمرَين: إتقان فنّ الحياة، واكتساب خبرتها.

عقد أستاذُ الفلسفة الأخلاقية الألماني الشهير ويلهِلم شميت (Wilhelm Schmidt) معظم كتاباته على فلسفة فنّ الحياة (Lebenskunst). فأكبّ يشجّع الناس على اغتنام فرصة الوجود الفردي الوحيد المتاح لكلّ إنسان، من أجل الاستمتاع بكلّ لطائف الاختبارات الحياتية. لا بدّ هنا من المقارنة بين مسعى الفنّ الحياتي والتزام التفلسف الحياتي. تُطلعنا المقارنة بين فلسفة فنّ الحياة وفلسفة خبرة الحياة على خصائص كلّ مسعًى



على حدة. إذ تضع فلسفةُ فنِّ الحياة السعادةَ في مقام الصدارة؛ في حين أنّ فلسفة خبرة الحياة تجتهد لكي تجعل الإنسان يستحقّ مثل هذه السعادة. ففيلسوف فنّ الحياة ينحت حياته نحتًا، في حين أنّ فيلسوف خبرة الحياة يتمرّس بحياته تمرّسَ المناضل المستحقّ. الأوّل يَعرض ذاتَه عرضَ الإنسان الواثق المتيقّن في عمق وجدانه؛ أمّا الثاني فيضطلع بمسؤولية ما هو حقٌّ وصائبٌ وملائمٌ. الأوّل متحرّكٌ، منفعلٌ، متوثّبٌ، أمّا الثاني فمستقيمٌ، مخلصٌ، مواظبٌ. يهب الأوّل حياتَه معنًى من المعاني؛ في حين ينجز الثاني المعنى ويحقّقه في معترك الحياة. ففلسفة فنّ الحياة تبحث عن متعة الحياة، أمّا فلسفة خبرة الحياة فتجتهد في معالجة الإنسان ومداواته من آثار الحياة الزائفة، ومن تفاهتها ونفاد طاقتها. تهرب فلسفة فنّ الحياة من الظلال فتبحث عن النور، أمّا فلسفة خبرة الحياة، فتتجنّب النور الخافت، ولكنّها ترضى بتعاقب النور والظلال في حياة الإنسان. وإذا كان فنّانُ الحياة يعتقد أنّه يجيب جوابًا واضحًا عن سؤال الحياة؛ فإنّ خبير الحياة يستثير السؤالَ الذي جوابُه الحياةُ عينُها!

الفلسفة فن للعيش وفن للجدال والنقاش، وهي تجربة حية في صميم الوجود الإنساني، وعلاقة الإنسان بالأشياء والآخر. يحيا هذا الإنسان وسط العلامات والرموز، وفي كثافة الدلالات والمعنى، ويفقد معنى الحياة عندما يصاب ويختزل بوصفه أداة في الإنتاج ووسيلة للاستهلاك في واقع المجتمع الحالي، ومهمة التفكير الفلسفي في رؤى الفلاسفة تعني خلق إنسان بمواصفات الحكيم الهادف للعيش بالطريقة التي ترسمها الفلسفة بعيدًا عن القولبة، وبالقرب من الحرية، وفي وسط المواجهة، وأحيانا يمكن للعدمية أن تفيدنا في مجابهة حياة التصنع والتطفل والروتين اليومي، عندما نتمكن من تجاوز الوجود المزيف رغم وجوده في وسط اجتماعي مشحون ذهنيًا ووجدانيًا بسمات الرتابة والاستهلاك، عالم القيم الجماعية والتقاليد المكبلة للفرد والقيم الفردانية.

لا بد من العودة للفلسفة للتعبير عن الممكن، وإقامة مجتمعات بأقل الأضرار التي تنشر الوعي الصحيح وتفند الوعي المزيف، في تنامي ظواهر اجتماعية، والتخلف الفكري، وسيطرة التقنية في الحياة، وصعود التقني والبيروقراطي، وأصحاب الامتيازات واستفحال نظام التفاهة، وتحويل العالم إلى مسرح للهو والترفيه، في تشجيع الاستثمارات في الفن والرياضة على حساب برامج التنمية. ويبقى السؤال مهمًا لماذا نحتاج للفلسفة؟ ولماذا نتفلسف؟

حاجتنا للفلسفة والتفلسف ضرورية في إزالة الغشاوة عن الفكر وتنمية الملكات، وتعديل السلوك الهمجي، حتى يستوي الإنسان حضاريًا؛ لأن الفلسفة في تعاريفها تبقى عِلْمًا دقيقًا، وعلمًا كليًا، والفيلسوف طبيب حضارة، وعندما تسود الحكمة في العالم تسترشد السياسة بالرؤية الصائبة، وينعم المثقف والزعيم بالفكر الرشيد في القيادة والزعامة للتنظيمات والمؤسسات.

* كاتبة - مصر.

السعادةُ الإجباريّة*

■ ترجمه: مونية فارس**

«الهابيقراطية»: كيف تمكنت صناعة السعادة من إحكام قبضتها على مصائرنا.

ريمي باوان: Rémy Pawin

يقوم كل من إدغار كابانا Edgar Cabanas وإيفا إلوز Eva Illouz في هذا البحث بانتقاد «علوم السعادة» التي تسخّر نفسها لخدمة الأيديولوجية النيوليبرالية. إذ لا تكتفي هذه «العلوم» بدعوة الناس إلى التنازل عن مطالب التغيير السياسي، ولكنها تقودهم كذلك إلى الشعور بالذنب، إن لم يكن في مقدورهم الاستجابة لإملاءاتها.

يسعى هذا المؤلَّف ذو النزعة الفوكالدية (نسبة لميشيل فوكو) لتوجيه النقد «لعلوم السعادة» التي سرعان ما تحولت إلى قوة ناعمة وأداة للتحكم في العقول والأجساد خدمة للإيديولوجية النيوليبرالية. ويتضح هذا التوجه في المؤلف منذ العنوان الفرعي: « كيف تمكنت صناعة السعادة من إحكام قبضتها على مصائرنا؟». وهو يعرض منذ السطور الأولى الهدف الذي يسعى المؤلفان لبلوغه: أن يبرزا ما تنطوي عليه «علوم السعادة» المزعومة من الخطر ومن اللاجدوى.

ويقع الكتاب في خمسة فصول كتبت كلها بلغة واضحة وبأسلوب جزل. يسترجع الفصل الأول تاريخ التخصصات الرئيسة في «علم السعادة» – علم النفس الإيجابي واقتصاد السعادة – مع التركيز بشكل أساس على علَمَين بارزين كانا سباقين إلى التنبؤ بها، وهما: مارتن سيليجمان وريتشارد لايارد. إذ على الرغم من نتائجها «المتباينة والغامضة وغير الحاسمة بل والمتناقضة» (ص. ٤٥)، فقد استطاعت هذه التخصصات أن ترسخ فكرة مفادها أن السعادة سلعة موضوعية وقابلة للقياس، من خلال ما يسمى باستبيانات «الرفاهية الذاتية» إلى الحد الذي أصبحت معه «السعادة واحدة من البوصلات الاقتصادية والسياسية والأخلاقية الرئيسة لمجتمعاتنا النيوليبرالية (ص. ٦٤).

قد يبدو هذا الاستنتاج مفاجئًا في السياق الفرنسي، لكثرة ما بسط النمو ومؤشره الرئيس الناتج المحلي الإجمالي هيمنته على الأخبار التلفزيونية وعلى السياسات العامة هناك. إذ يتم الاعتماد على استبيانات الرفاه الشخصي بانتظام، ويتم تقديمها كحقائق علمية مثبتة- وهي ليست كذلك- كما يتم توظيفها بشكل فعال لتبرير وضع العالم كما هو عليه، ولرفض كل محاولات تغيير النظام القائم.



يتناول الفصل الثاني محتوى هذه التخصصات ليُظهِر كيف أن الفرد السعيد الذي تقترحه أنموذجًا يتوافق تمامًا مع المثالية النيوليبرالية؛ إذ يقترح منظرو علم النفس الإيجابي «صيغة للسعادة» تفيد بأن سعادة كل واحد منا تتوقف بنسبة ٥٠٪ على الجينات، و٤٠٪ على العوامل النفسية المرتبطة أساسًا بنظرة الفرد إلى حياته، و١٠٪ فقط على «ظروف العيش والعوامل الخارجية الأخرى» (ص ٨٣). أي إن كل شخص مسئول عن سعادته التي لا يضطلع الظرف الاجتماعي بأي دور في تحديدها. وتبدو هذه المعادلة «المشكوك جدًا في صحتها» (ص ٨٣) وكأنها مستمدة من الإيديولوجية النيوليبرالية، كما أنها تحمل دعوة خفية إلى التخلّي عن أي رغبة في التغيير الاجتماعي السياسي، وانزواء كل فرد في «قلعته الداخلية» لكي يجد مفاتيح رفاهيته بنفسه.

يتناول الفصل الثالث مسألة العمل، إذ يبين المؤلفان على نحوٍ مقنعٍ أن السعي الزائف إلى تحقيق رفاهية الموظفين ليس سوى شكل جديد من أشكال الهيمنة. وهكذا، يتم استخدام علماء النفس في كثير من الأحيان ليعملوا على تقبل المأجورين لسياسات التسريح بسهولة، وللرفع من إنتاجيتهم، أو لتوظيفهم بالاعتماد على «الإيجابية التي تنبع من شخصيتهم» عوض الاحتكام إلى مهاراتهم التقنية (ص. ١٢٨).

وبالمثل، فإن التغييرات الطارئة على تنظيم المقاولة، والتي تمثل خلق وظيفة جديدة «لمسئول السعادة Chief Happiness Officer» مثلًا أبرز مظاهرها، لا تعدو كونها تغييرات تجميلية. والخطاب الذي يمتدح الاستقلالية والمرونة ويحث عليهما «يشجع في الحقيقة موظفي المقاولة ومعاونيها على أن يحولوا الرقابة التي يمارسها صاحب العمل عليهم إلى رقابة ذاتية يمارسونها بانتظام (ص. ١٣٢)، بما في ذلك صغار الموظفين من ذوي المهام الدنيا. وتجني المقاولة وكبار مُسَيِّريها فوائد واضحة وفورية من هذه التغييرات، غير أن نفعها يظل أقل وضوحًا لدى الموظف الذي أصبح مسئولًا عن التناقضات التنظيمية والتوترات الاجتماعية.

يستعرض الفصل التالي صفات المواطن السعيد، وفق ما جاءت به علوم السعادة، ليفنّد بشكل منهجي الإملاءات التي تحث على «إدارة الفرد لعواطفه». يبني علم السعادة مثالًا نموذجيًا لمواطن يعمل كمُسَيِّر لنفسه. عبارة عن «psytoyen مواطن-طبيب نفسي»، تتلخص أهم صفاته في «الإدارة العاطفية الذاتية والأصالة وتحقيق الذات» (١٥٥).

فبحسب زعم هؤلاء المصلحين الأخلاقيين الجدد الذين ينكرون وجود عمليات نفسية غير واعية، «يتساوى جميع الأفراد من حيث توافرهم على آلية نفسية



أو عضلة داخلية تتيح لهم أن يسيّروا أنفسهم بشكل كامل»؛ لذلك، فهم يحثون على «اكتساب هذه المهارات وتطويرها من أجل التحكم في الذات بشكل جيد» (ص ١٥٦).

يصف الفصل الأخير عواقب وضع السعادة في أعلى سلم القيم، ويؤكد أن «أنصار علم النفس الإيجابي لم يكتفوا بتوصيف السعادة من وجهة نظرهم: بل حددوا معنىً وحيدًا وحصريًا للحياة المثالية» (٢٢٤). وبذلك، فقد قاموا بتصنيف العواطف إلى فئتين: الإيجابية، والسلبية، وحثوا الناس على التخلص نهائيًا من العواطف السلبية.

يوضح مؤلفا الكتاب من جهتهما أن هذا الأمر ليس فقط مستحيلا (فلن يستطيع علم النفس الإيجابي وضع حدّ للمرض والموت على سبيل المثال)، ولكنه يمثل أيضًا شيئًا غير مرغوب فيه، وذلك لأن المشاعر السلبية يمكن أن تكون لها نتائج إيجابية في بعض الأحيان. لكن الأدهى من ذلك أن بناء نموذج مثالي للفرد السعيد يؤدي إلى تفاقم آلام أولئك الذين يعانون نوعا من العقوبة المزدوجة؛ لأنهم لا يعانون فقط من عدم شعورهم بالسعادة، بل يشعرون كذلك بالذنب جراء ذلك.

وفي الختام، يخلص المؤلفان إلى الاعتقاد بأن علم السعادة لن يمنحنا أبدًا مفاتيح السعادة، لأن كل ما يفعله هو إعادة إنتاج قواعد الحكمة التقليدية التي يصهرها في إطار خطاب علمي لا يخلو من خطورة. أنه أداة جديدة للتحكم بمصائر الناس وحملهم على الطاعة. ويشكّل إذًا ملف ادّعاء متسق وجيد المبنى. ولقد جاء في الوقت المناسب لإعطاء وجهة نظر مضادة حول خطاب أصبح الآن مهيمنًا. وربما يفسر نجاحه في فرنسا بالمقاومة التي جوبهت بها إيديولوجية السعادة في هذا البلد، أقوى مما عليه الأمر في أي منطقة أخرى من مناطق العالم الغربي.

ومع ذلك، هناك نقاط عديدة تستحق أن تناقش في هذا الكتاب. فالمؤلفان يشيران منذ البداية إلى أن بحثهما هو من العلم بمنزلة الخيال العلمي من الابتكار: إذ يعمل الاثنان على فتح برامج بحثية، ويمكن للصدى الذي خلّفه تلقي هذا الكتاب أن يسهم في إطلاق برنامج من هذا النوع. ولتحقيق ذلك، سيكون من المستحسن إجراء دراسة أكثر تعمقًا حول هؤلاء «المبشرين بعلم السعادة»، الذين يعمد المؤلفان سريعًا إلى تشبيههم بمشعوذين لا يتوقون لغير الربح السريع.

صحيح أن علم النفس الإيجابي لا يعدو في كثير من الأحيان أن يكون إعادة إنتاج للطرق القديمة والمتجاوزة في الإيحاء والتنويم المغناطيسي الذاتيين، لكن نفسية الكائن البشري تتسم قبل كل شيء بالمرونة. ولا شك أنه يفترض بنا أن نستغل بعض القدرات النفسية التي تبقى إلى الآن غير معروفة لدينا، وهذا لا يعني بالضرورة

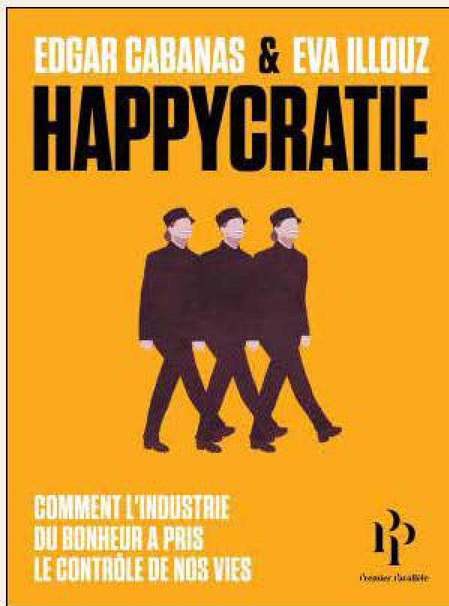


التخلي عن كل رغبة في التغيير الاجتماعي والسياسي: فأن تستند علوم السعادة في مجملها ضمنيًا إلى الإيديولوجية النيوليبرالية لا يعني أنه يجب أن نرفضها كليًا، لأننا بذلك نترك للنيوليبرالية فرصة إحداث التغيير السياسي الذي تصبو إليه.

أخيرًا، تتمثل نقطة الضعف الكبرى لهذا المؤلَّف في القيم التي يَفتَرض أنها يجب أن توجه البحث والعمل. إذ تتضمن المقدمة ما يلي: «يظل العدل والمعرفة، وليس السعادة، الهدف الأخلاقي الثوري في حياتنا»؛ إنه، إذًا، خيار شبه ديني هذا الذي يتحكم في مشروع المؤلِّفين بكامله.

لكن هذه الحكمة القديمة تستدعي الآن إعادة النظر فيها. فمن الطبيعي أن العدالة الاجتماعية يجب أن تسود؛ لكن تحقيق السعادة لا يعني بالضرورة القضاء على المساواة. وبالتالي فمن يجعلون من البحث الفردي عن السعادة إعلاء لمثل الأنانية والحيف، ومن يسعون صراحة لمنع أي إمكانية للبحث في هذا المجال، يحتاجون بشكل مؤكد إلى تقديم المزيد من الحجج لإقناعنا بوجاهة موقفهم.

أما فيما يخص مسألة المعرفة التي



Edgar Cabanas, Eva Illouz, Happycratie. Comment l'industrie du bonheur a pris le contrôle de nos vies, Paris, Premier Parallèle, 2018, 270 p.

يفترض أن تشكل غاية في حد ذاتها، فهذا يطرح مشكلًا قيميًا لا يحل إلا عن طريق الديمقراطية. فكما يدعونا المؤلفان إلى عدم الخضوع للأحكام السائدة، ورغبة منا في خلق التوازن المطلوب، يجب علينا أن نذكر بهذه الأبيات للشاعرة آنا نواي Anna Noailles

لا تحفظوا من العلم سوى
ما يلزمكم لتحقيق السعادة
فمهما اتسعت مداركنا
لا بد أن يحدها الموت يوما

---

* عنوانُ المقال الأصلي: **Bonheur obligatoire**
https://laviedesidees.fr/Bonheur-obligatoire.html.

** مترجمة   المغرب.

قراءةٌ في ديوان
«أردتُ أن أقول.. لأمي»
لــ.. هند النزاري

■ محمود قنديل*

«على الرُغم من أن مهارته الحُرفية قد بلغت شأوًا بعيدًا؛ إلا إنه ظل مُخْلِصًا للطاقة الشعرية داخل قيود الصنعة، ذلك أنه لم يجعل الموهبة في خدمة الصنعة، وإنما جعل الصنعة في خدمة الموهبة».

بهذه الكلمات تحدثت الناقدة الإنكليزية «إديث سيتول» عن الشاعر العظيم تي. إس. إليوت، وهو ما ينطبق إلى حدٍ بعيد على شاعرتنا العربية/ السعودية «هند النزاري» في صياغتها لقصيدتها الطويلة «أردتُ أن أقول.. لأمي»، وهي القصيدة الوحيدة التي ضمها السِّفْرُ الشعري الذي حمل العنوان الفني المُرَاوِغ نفسه.

فالشاعرة حافظتْ على إيقاع النص وموسيقاه بغير تَكَلُّف ودون تَصَنُّع، واستدعت مفردات لغوية جميلة نجحت في توظيفها برهافة لرفع قواعد النص، كما نجحت في استلهام أجواء ميتافيزيقية بهدف تقريب المسافة بين الطبيعة وما وراءها.

ولعل التدفق التلقائي للقصيدة بلغة سليمة وسديدة يؤكد على مدى تَمَتُّع الشاعرة بموهبة خصيبة، ودراية كبيرة بفن الشعر ولُغته، الأمر الذي مكَّنها في كل المواضع من تطويع لغتها الخاصة، ورؤاها العامرة لصالح مرادها المنشود؛ بُغية تقديم عملٍ إبداعي متميز يروق الذائقة العربية أينما كانت وحيثما وُجِدَت.

ولقد آثرت الشاعرة وضعنا في مدارات عالمها الشعري المفعم بالأضداد



(القهر/ الحرية، الإنغلاق المجتمعي/ الانفتاح، غياب القيم/ حضورها... إلخ).

ولعلها تبغي من وراء ذلك إماطة اللثام عن وجه الواقع لإظهاره على حقيقته دون زيف أو مساحيق.

إنها تبدو في كل الأحــوال مهمومة بإخفاقات واقعها المعيش، وتسعى بدأب إلى حث المتلقي على إزالة هذه الترديات عن سماء حياته، لينقشع الضباب ويتمكن من التعاطي الإيجابي مع مشروعية أحلامه وطموحاته.

ولأن مبدعتنا تعشق العربية (لغة القرآن الكريم)، وتتمتع بثقافة إسلامية عريضة؛ فقد تسلل إلى خطابها الشعري مفردات (برزخ، طهور، سورة، آية، جنة، روح، نور، وغيرها كثير).

وفي تصورنا أن التخييل لدى «هند» قد بلغ مبلغًا عَلِيًا، فهي تحتفي بالصورة الفنية بطرائق تنأى عن التقليدية، وتحتفل بالمشاهد المرئية وغير المرئية؛ إنها تستوقفنا أمام مشاهد تراها بعين فنانة، لتبين لنا قسوة القهر، ومرارة الاغتراب، والشعور بالعزلة.

ورغم ملامح الحداثة التي لا تخطئها عين قارئ محترف أو ناقد متخصص؛ إلا إن الشاعرة تنبهنا بكلمات قليلة إلى تمسكها بالأصالة (الخليل بن أحمد الفراهيدي) والمعاصرة (الشاعرة العراقية «نازك الملائكة» أول من كتب قصيدة التفعيلة)، فتقول: أستأنس الخليل في بحوره/ وأستشير



هِند النّزارِي

أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ.. لِأُمِّي



نازك الملائكة.

وإذا كان العنوان يُعد مُدخَلًا رئيسًا للنص؛ فإننا هنا بصدد كلمات ثلاث (إرادة، قول، أم)؛ والإرادة تستلزم قوةً أيًا كان نوعها، والقول يتطلب معنى، والأم هي سبب الوجود وراعية الحياة، وهي الحقيقة والرمز، وقد تكون الوطن، لذا فقد لزم الانتماء إليها.

تستهل الشاعرة قصيدتها:

كُنّا معًا

وكان لي صوتٌ على ضِفافه يُخيِّم الهُطول

وكان عندي بَيْدَرٌ من مفردات

ضاع حين دارت الفصول

وهو استهلال جيد لنَصٍ يبوح بالكثير، ويمهد لأسباب الاغتراب وبواعث العُزلة، ويضع لَبِنَّاتٍ صلبة في بناء القصيدة، ويرينا بغير تَحَفُّظٍ اللحظة الآنية بما يتأجج داخلها من فورات وثورات.

ومع ذلك تحرص الشاعرة بعدما ضاعت فرصتها على تأريخ بعضٍ من أقوالها:

وحين ضاعت فُرْصَتي

دونتُ بعضَ ما أردتُ قوله

فربما هاتفتُها على مدارٍ آخر

أو التقتْ أطيافُنا

أو جاءني من عندها رسول

وهذا يدل على انعدام وسيلة التواصل بينها وبين حبيبتها (الأم/الوطن)، وتطلُّعها إلى مدار آخر (سماوي/ قَدَرِي)، ربما تجد عنده وسيلة اتصال، أو من خلال رسول يأتي إليها برسالة تحمل لها وصايا أمها؛ فهي عامةً لا تعدم الأمل في اللقاء والتخاطب.

وتعبر عن قوتها في مواجهة المخاوف والهواجس وكل ما تلاقيه من أحداث وخطوب، وتأبى الاستسلام:

ساومت فيها الخوف والهواجس المجاذفة

أردتُ أن أقول لا للحزن

رُغم كل ما ألاقي

وتعود لتُخاطب الأم (الحاضرة/ الغائبة):

أردتُ أن أقرَّ ألف مرةٍ

لصوتكِ النَّدي بالهُيام

بأنني مدينةٌ له

بكلِ لحظةٍ

عانقتُ في أوتارها الغمام

وهو خطاب يقدم فروض الطاعة والولاء والانتماء.

وتطمح «هند» إلى تقديم المزيد والمزيد لأمها بفعل تصوير فني مرهف ينشد الصعب وينادي المستحيل:

أردتُ أن أهديكِ رُوحَ غيمةٍ طَرُوب

كي تزهر الفصول

من ترنُم الدروب

كي يستحيل كوننا معازفًا

للنبض للنعيم للطيوب

وتواصل الشاعرة التدفق الفني متكئة على مفهوم مأثور مفاده استحالة تَحَوُّل الدماء إلى ماء، لكنها تقِر هنا أن الدماء أصبحت بالفعل كالماء، وهو ما يؤكد على انفصام العلاقة بين الإنسان وما ينتمي إليه:

أردتُ أن أقول

رُغم حسرتي

إن الدماء أصبحت كالماء

في عروقنا

لأنها منذ انْتَقَلْتِ

لم تعُد

مرتاحة للونها

وتتبنى القصيدة لهجة مُتَهكِمة في معرض التحدث عنَّا وعن عَالَمِنا العربي بتشظيه السافر، وعن قداسة أمكنتنا، وعن توالي



أبناء النكبات:

وكلما سألت عن دمائنا الموقرة
عنّا وعن أعدائنا
وعن جديد قُدسنا المحررة
وعن جندنا ووحدة الصفوف
وعن أخبارنا في حربنا المظفرة
أردتُ أن أخفيكِ عن تلفازنا المذعور
عن صفحات أي نكبة
يسوقها موزع الصباح
للعروبة المُدمّرة

وبالسخرية ذاتها والتهكم والمرارة تشجب الشاعرة الجُبن والبؤس الرابضين على وجوه قبيحة وارتها المساحيق (المكياج):

إنَّا ندين للذين استحدثوا المكياج بالكثير من أمامنا

فجُبنُنا يندس خلف كُحلنا الجريء
في وداعة
وبؤسنا يحتو وراء مسحة أنيقة
والحُمرةُ المُرجاةُ فوق الوجنتين
تردِمُ الدمعَ السكيبَ المنجرف

والشاعرة هِند النزاري في كلامها المُحمّل بالهموم كأنها تتحدث باسم كل لسانٍ عربي، فنراها تشكو للأم/ الوطن ما آل إليه الحال من خيبات متوالية، وأنها وكل عربي في صراع مستمر بين (الهُو والأنا والأنا العُليا) بحسب تعبير سيغموند فرويد، وأنها تعجز طيلة الوقت عن التّخلُّص من هذا الصراع القاتل، وأنها في النهاية تخفق في الانسحاب من حلبة المصارعة، لأن رُوح الانتماء يُقصيها

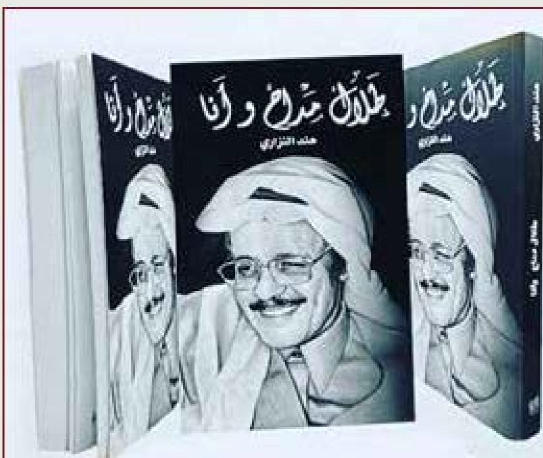


عن فكرتها ويمنعها:

أردتُ أن أشكو إليكِ هذه الـ هِنْد التي
تجوس في إهابي
وهذه المرآة إذ تمارس التغابُن
وكلما أغمضتُ رُوحي دُونها
تجسدت لي خيبتي
واشتط بي سرابي
وحينما أزورها
أرى عليها صورتي
بالرغم من غيابي
وكلما أثور من برودها
أراكِ في ملامحي ترميني بنظرةٍ
رقيقة العتابِ

وتشير شاعرتنا إلى مواضع الألم التي يعاني منها الإنسان العربي في وقتنا الراهن، دون أن يسعى إلى علاج الجُرح الغائر في وعيه ووجدانه، وكأنه استطاب العيش جوعًا





وغربةً وقهرًا وهزائمَ، فخاصمته الجُرأة، وطالته الحرائق:

لو أنني وضعتُ ذات جُرأة دروعي

نثرتُ في كف الحنين أحرفي

وغربتي

وجُوعي

لو ما غفلتُ في لهاتِ الصمتِ

عن ترتيلة الهجوع

لو أنني أطلقتُ قيد لهفتي

لو انهمرتُ خلف كل غُصّةٍ

سخيةِ الدموع

لو أنني سبقتُ (لو)

بخطوةٍ جريئة

لما استحالت أحرفي حرائقًا

تقتص طول العمر

من ضلوعي

ولعل في تكرار حرف (لو) في نهاية القصيدة استنهاض للهمم وشحذ للعزائم قبل مرور المزيد من الوقت.

فالاستخدام لـ (لو) هنا فني أكثر مما هو لُغوي (امتناع الجواب لامتناع الشّرط).

ولنا أن نستدعي مقولة الشاعرة في صدر ديوانها (قولوا لأمهاتكم ما تريدون قولَهُ... الآن)، وكأنها تطلق أجراس الخطر وصافرات الإنذار، وتحذر من ضراوة فوات الأوان.

إن شاعرتنا «هند النزاري» تعرف أهمية الخطاب الشعري ومدى تأثيره في النفس، فهو «ديوان العرب وعنوان الأدب» كما قال أبو فراس الحمداني.

وربما كانت تؤمن بمقولة الناقد الانكليزي «رتشاردز»: الشعر أكمل وسيلة للخطاب.

وأن الشعر صنعة وإبداع بحسب مفهوم الإغريق.

لقد نأت الشاعرة عبر سطور قصيدتها عن المساحات التقليدية في الشعر العربي، ووطأت بملَكتِها الإبداعية أرضًا بِكْرًا، مؤمنة بموهبتها القادرة على التجديد والتجريب.

إننا بصدد نصٍ له عبقه الخاص، وعبيره المميز، وعِطره المُختَلِف، وعمقه الكاشف عن كل إخفاقاتنا، وشاعرتنا لا تقصد من ذلك تثبيط العزائم ودحر الهِمَم، ولكنها تدعونا بفنية إلى عودتنا إلى وعينا الغائب، أو عودة وعينا إلينا، لعلَّنا نمحو عن أوطاننا ضبابية المشهد، ومأساة اللحظة.

---

* كاتب مصر.



رؤية العالم
في ديوان "بلقع"

■ د. هويدا صالح*

الشاعر كغيره من المبدعين يتفاعل مع محيطه الاجتماعي، يتمثل فلسفة ورؤية للعالم في شعره، يحاول أن يُعبِّر عنها وعن وعيه بالعالم، وطرح أسئلته على هذا العالم، وكشف المسكوت عنه في مجتمعه، ومساءلة هذا المجتمع وثقافته؛ لذا، سوف نقارب ديوان «بلقع» للشاعرة السعودية هند النزاري.

قبل مقاربة رؤية العالم في الديوان، أريد أن أشير إلى أن الشعر فيما بعد الحداثة يقبل التعدد والتنوع والتجاور، فنظرية ما بعد الحداثة تسمح بهذا التجاور، فبعد مسيرة الشعر العربي التي قطعها بداية من القصيدة الكلاسيكية العمودية، ومرورًا بمدارس الرومانسية، والمهجر، والديوان، والشعر الحر، وقصيدة التفعيلة، ووصولًا إلى قصيدة النثر، ما زال هناك من الشعراء من يكتب القصيدة العمودية. لذا بجوار شعراء وشاعرات يكتبون قصيدة التفعيلة والنثر، نجد آخرين يكتبون قصيدة العمود الشعري التي تتبني في المقام الأول على الإيقاع والوزن، وتلتزم وحدة القافية.

بل إن الشاعر نفسه يكتب في الديوان الواحد أكثر من شكل شعري؛ وهذا ما فعلته الشاعرة في الديوان، حيث لم تفارق كلاسيكية القصيدة في معظم النصوص، وإن حاولت كتابة بعض النصوص بسيميائية السطر الشعري والشعر المنثور.

في هذه الورقة سنقارب رؤية النزاري للعالم، ونكشف عن الخطاب



الثقافي في قصائدها، ونرصد التعالقات النصية التي نهض عليها النص الشعري، وتجليات ومستويات التناص فيه.

عند تأمل بعض قصائد الديوان نجد الشاعرة لم تفارق رؤية القدماء للعالم، ليس على مستوى البنية والإيقاع والوزن والقافية فقط، بل على مستوى الرؤية، ففي القصيدة الأولى «وقلت لليل» نجدها ترى الليل مثلما رآه امرؤ القيس قبل ما يزيد عن ألف وخمسمائة سنة، فقد خاطب الليل بأنه ليل طويل لا يريد أن ينجلي، فتقول النزاري بعد كل هاتيك القرون:

«يا ليل ما للوقت فيك تجمدا

لزمت عقاربه الوقوف تهجدا»

وتستمر في مخاطبة الليل وتطالبه أن يقول للصباح أن يشرق علّه يأتي بيوم جديد لتنتهي الذات الشاعرة التي تتحدث باسم الذات الجمعية من تيهها، حتى إنها تستخدم «نا الفاعلين» في النص مخاطبة الليل:

«قل للصباح إذا تثاقل خطوه

عجّل فليس عليك أن تتوددا»

أشرق وحسب لننتهي من تيهنا

ونضيف للأيام يوما أربدا»(ص٣).

تلازم الشاعرة العمود الشعري حتى وإن كتبت شطرات قصيدتها على طريقة «التفعيلة»، رغم أن الإيقاع الخليلي هو الشكل الجمالي الذي تفضله، إلا إنها في قصيدة «اجعلني جميلة» تكتب بطريقة



السطر الشعري فتقول:

«ما أجملني حين أراك على مرآتي

حين تظلل طيفي عيناك وتغشى كل مسافاتي

تتجول في وجهي

ويدي

وتنمو بين مسافاتي» (ص٨).

وكما في قصيدة «الليل»، حاولت الشاعرة أن ترصد الأزمات النفسية التي تمر بها الذات الشاعرة، تقوم في قصيدة «لحظة للروح» بالغوص في الذات ورصد التحولات النفسية التي تمر بها، مناجية الذات الإلهية، فيتحول الحب الإلهي بالنسبة للذات إلى منقذ من أزماتها النفسية، وتسيطر على

القصيدة النثرية التي تخرجها من الإيقاع الذي تفضله الشاعرة، فتقول:

«مثل زلزال تمطى في سراديب وجودي
هز جثماني ودوى عابرًا عمرًا قديم القهر
صخري القيود
مثل صحوٍ أو خدارٍ حرّك الآسن من روحي
وأحيا فيَّ جرحًا كنت قد أُنسيته
واحتال كي ينسل بي في لمح برق...
طاف حُبُّ اللهِ أعماقي وجلّى لي نعيمي»
(ص١١).

في القصيدة التالية «ارحل أيها الأمل» تواصل الشاعرة رصد مواجع الذات وآلامها، وتغوص أكثر في الأزمات النفسية التي تفصلها عن العالم»:

واقتحمت العمر سهوًا أيها الومض المخادع
شركًا في الدرب
منصوبًا
لقلب في قفار العمر مجذول وهاجع
جئت تبلو هدأة الأيام
تحيي نبضها
من بعد أن أغلقت أبواب المنى الهوجاء
سداً للذرائع
كن رحيمًا وابتعد فالجرح غائر...(ص١٥).

تواصل الشاعرة الغوص داخل روح ذاتها الشاعرة، ترى مشاهد مواجع الروح وانفصالها عن الواقع المرير، سعيها الدائم عن الأمل:

«أأمنية تتراءى هنالك أم فجوة في فؤاد السراب؟
وجيب تناهى إلى الصخر في غفلة؟
ومضة من هوى تستجيش اليباب؟!
دعوني أراها كما أشتهيها
وأغضي قليلا
عن الممكنات
عن المنطق الفج
عن معطيات الحقيقة
عن توصيات الصواب..
أأيتها الروح كيف احتملت الحدود بهذا الكيان المجسّد
ومنك انبرت نفحة المعجزات
وفيك تناهى الفضاء المؤبد
وبين حناياك أسرار خلق
وأسرار أمر
وفيك لكل رحيل مدينة
وفيك العصا
وفيك يقطينة البرء» (ص١٩).

تفلت بعض النصوص من يد الشاعرة، لا هي قد التزمت نظام التفعيلة ولا النظام العمودي، ولا هي كتبت الجملة النثرية بجماليات قصيدة النثر التي تعتمد على التكثيف والاختزال والدهشة والمفارقة، فنجد نثرية لا تقترب من بلاغة المفردة الشعرية.

رؤية العالم والتعالقات النصية في الديوان

رغم انشغال الشاعرة بأسئلة الذات الشاعرة، والغوص داخلها، إلا إنها لم تكن بعيدة عن الهمِّ العام والقضايا الكلية،



الوطنية أو القومية، ففي القصيدة الثانية في الديوان ترصد قصة حياة طفل سوري اغتاله النظام، وتشير في هامش القصيدة إلى قصته، فكأنها لا تكتفي بالتناص مع الواقعة السياسية لهذا الطفل، بل تكتب قصته نثرًا في الهامش، لتقيم تفاعلًا نصيًّا بين القصيدة والهامش التوثيقي، تقول في قصيدة «ابك يا عمران»:

«ابك يا عمران
قل شيئًا
تضجر!
هزّ فينا النقمة الخرساء والحزن المُصبّر
هذه النظرة هول
سوف يبقى جاثمًا
في صحو وأجيالٍ من الموتى القدامى
هي رمزٌ للمعاناة
وجرحٌ سرمدي..
لم تكن أول من يدفع فاتورة الحفل السياسي
لا ولست الأول المرصود في أوراق أرشيف رئاسي
غير أن الآخرين استأنسوا دفء الرّكام..
لتبقى اسمًا
بحبر القهر
مكتوبًا
على هامات عُبّاد الكراسي» (ص ٧).

ثم تشير في نهاية القصيدة إلى أن عمّار طفل سوري كان من ضحايا هجوم مسلح عام ٢٠١٦م شنته الحكومة السورية على إحدى مناطق المعارضة بحلب.

في قصيدة «أما بعد»، تتحدث بلسان اللغة العربية التي تنعى الناطقين بها، وكيف أنهم أهملوها، وهي تحمل القرآن، وكيف ضعف لسانهم، حتى صارت اللغة التي هي أسمى اللغات أقل اللغات شأنًا بسبب ضعف الناطقين بها»:

وقفت لموكب عرسها تتأب
من بعد ما طرب الحماة واطربوا

نظموا القوافي من زلال معينها
والدهر يحفظ والمجامع تكتب

وتبارت الأقلام في تمجيدها
ذا موجز فيها وهذا مطنب

***

لا تدفنوني في غياهب جهلكم
ومنائري في كل أفقٍ تضرب

تسمو اللغات إذا سما أقوامها
وإذا تردّوا تستكين وتصلب» (ص٣٤).

كما أنها تتناص مع التاريخ الإسلامي، ومع شخصيات الرسل والأنبياء في قصيدة: «الثالث والعشرون»، حيث تتبع نشأة الدولة الإسلامية من بدايتها حتى نشأة الدولة السعودية الحديثة التي تحتفل بعيدها الوطني في يوم الثالث والعشرين من سبتمبر من كل عام. والتناص يتيح لها أن تقيم جدلًا نصيًّا بين الشخصيات التراثية التي تتناص معها والنص الشعري الماثل، تقول:

«إن الثالث والعشرين يا سبتمبر



شمسه أخرى
وفي عينيه زهو يخطر..
يا لأرض عانقت أهل السماء
آنست (آدم) في رحلته الأولى
وواست (صالحًا)
من أجلها
قد لجّ (إبراهيم يومًا بالدعاء
ختمت فيها الرسالات
وأهدت للورى
قادة رُشد
ثم أرباب صلاح واقتداء
وملوكا عن ملوك
بلّغوها المجد في طرفة دهر» (ص٤٢).

كما أنها تخاطب المدينة المنورة، وتكتب لأم القرى، وتمدح «سعود الفيصل»، وترصد بلغة أقرب إلى قصائد المديح التراثية كيف أنه يمثل قوة ضغط على السياسة العالمية، حتى إنها تستشهد بمقولة «كولن باول» وزير الخارجية الأمريكي الأسبق: إن سعود الفيصل لوبي سعودي يعادل اللوبي الصهيوني.

وفي القصيدة التي منحت الديوان اسمه «بلقع» تحاول أن تفسر معنى المفردة شعرًا، فتقول:

«قلت البلقع يا سائلتي
قلب غادر الأحباب
كان لهم وطنًا
فأقاموا
ثم اصطحبوا النبض وغابوا»(ص٥٤).

ويظل الهمُّ العام يسيطر على الديوان، فتقوم الشاعرة بالتناص مع لوحة «حمامة السلام» للفنان العالمي بيكاسو في قصيدة «عفوًا بيكاسو»، لكن حمامة السلام هنا هي حمامة مفخخة تلقي القنابل على الأمة، ولا تحمل بين منقاريها أعواد الزيتون، إنما تحمل القنابل والرصاص:

«حمامة السلام
يا كذبة تمردت على خطوط الوهم والحقيقة
يا صورة ما جاوزت إطارها لريشة أنيقة
هل كان بيكاسو على علم بما اعتراك في سمائنا الرؤوم
ولم تزل باريس في عطرها تعوم
وأنت والغصن الصغير والرصاص
في لظى سديمنا
حيث الدخان يكنس الحمام والغيوم»
(ص٨٣).

كما لا يغيب خطاب رفض الإرهاب باسم الدين عن النصوص، سواء الإرهاب الذي فجّر بُرجَي التجارة العالمي وجَلَب الخراب على أمة العرب، أم الإرهاب الذي يتم تفجيره في جزيرة العرب، ففي قصيدة «من قلب المدينة» تكتب قصة الإرهابي الذي فجر نفسه في المدينة المنورة في يوليو ٢٠١٦م، حيث فجر منفذ الهجوم نفسه وقت آذان المغرب وسط قوات الطوارئ بجوار المسجد النبوي الشريف، ولم يراع حرمة المكان المقدس، كما لم يراع حرمة الشهر الكريم، تقول:



«يجتاحني الإرهاب يشعل ناره
في مرفئي الغافي وروضي المعشب

من أين جئتم يا مراسيل الدجى
والنور من قلبي مداد الكوكب

***

أفزغتم الشهر الذي أودعته
أملي ووعد هلاله لم يغرب» (ص١٢٦)

كما تتناص الكاتبة مع الواقع اليومي، تقريبًا لا يفوتها خبر اجتماعي أو سياسي إلا وتكتب فيه قصيدة، حتى خبر طفل حديث الولادة، قرأت عنه في الجريدة إنه وجد في مغسلة الموتى، تستنطقه وتقول على لسانه»:

عمتم مساء أيها الأموات.. إني أعتذر
أزعجتكم! أنا آسف
أنا لم أخطط للقدوم أحبتي
أنا مجهدٌ تاه عن أولى محطات السفر
قد جئت لا أدري أكانت صدفة
أم موعد بين احتفالات الحياة وأبجديات الضجر» (ص١٤٦).

ورغم أن الكاتبة طوّفت بنا شرقًا وغربًا ما بين حديث مواجع النفس وفقدان الأمل، والإحباط واليأس، والصداقة والهجر، والسياسة وأمة العرب، إلا إنها لم تقارب الهمَّ النسوي بخطاب معرفي قوي، كما هو متوقع من شاعرة عربية في مجتمع ذكوري، فقط في قصيدة «قصائد خائفة»، حاولت أن تجادل الثقافة الذكورية التي تحاكم المرأة الكاتبة، وتفتش في خطابها الشعري وتفرض القيود عليه»:

مرعوبة قصائد الغرام في دفاتري
موءودة براعم الحنين
في كل حرف هزة أرضية
وخلف كل آهة كمين
أميتها في كل بيت مرة
وخوف أن يفتشوا رفاتها
أدس ما استطعت من مبادئ اليقين..
قصائدي تخافهم لأنها من خيمة الحريم
ونونها عارٌ وهمسٌ عطرها جحيم
ووجهها مُخبأ وبوحها عقيم» (ص٩٧).

وتكتب ذات الخطاب على استحياء في قصيدة «إلى متى»، وتكتب في هامشها الانتظار أثمر، وسُمح للمرأة بقيادة السيارة.

---

* كاتبة - مصر.
(١) تيري إيجلتون: الماركسية والنقد الأدبي ترجمة جابر عصفور- ط٢- ص ٣٨.
(٢) الطاهر لبيب- سوسيولوجيا الثقافة - ص ٤٦.
(٣) المرجع السابق،ص٤٥.
(٤) البنيوية التكوينية والنقد الأدبي - للمجموعة - ص ١٩.



جمالياتُ الانزياح

قراءةٌ في ديوان «أردت أن أقول لأمي» لشاعرة المدينة هند النزاري

■ د. سميرة بنت ضيف الله الكناني الزهراني*

يعد الانزياح من بين الموضوعات البارزة التي أشغلت الباحثين والدارسين في مجال الأدب والنقد، على المستويين الغربي والعربي، فإن كان المفهوم في تداوله وشهرته، وتشكيله؛ هو مصطلح حداثي غربي؛ فإن جذوره العربية تضرب عميقًا في الدراسات النقدية القديمة تحت مسميات عديدة، على غرار: العدول والإزاحة والانحراف والخلاف وغيرها من المصطلحات التي تشير إلى معنى مخالفة القاعدة، والخروج عن الشكل المعهود، أو المتوقع إلى شكل مغاير غير متوقع.

فالانزياح في أساسه هو «الخروج المتعمد على الأصول اللغوية، وإعادة بنائها بصورة جديدة، من أجل استكشاف عوالم جديدة مليئة بالمتعة والغرابة والمفاجئة»[١]؛ وبصورة أخرى مختصرة هو «انحراف الكلام عن نسقه المألوف.. خاضع لمبدأ الاختيار»[٢]. والمقصد من كونه خاضع لمبدأ الاختيار، فهذا؛ لأن الخروج عن النسق إلى نسق آخر، واستبدال كلمة غير متوقعة مكان ما كان من المتوقع دلاليًا أو تركيبيًا أن تكون هنا؛ يعود إلى مبدأ الاختيار من بين الكلمات والألفاظ والتراكيب اللغوية الممكنة.

وتعبر فريدة مولى عن مبدأ الاختيار بشاعرية بالغة بقولها: «عندما نحس بالكلمة بما هي كلمة، لا بديلًا لشيء أو تفجير الانفعال، عندما لا تقتصر الكلمات بتراكيبها ودلالاتها على كونها علامات مطابقة للحقيقة بل تكتسب



وزنها الخاص وقيمتها الخاصة[٦]؛ إذًا، فإن هذا الخروج أو الانزياح أو الانحراف عن القاعدة اللغوية والأصول والضوابط والمتوقع والمعهود أيًا كان؛ يتم من خلال اختيار تمليه المشاعر والتجربة الشعورية التي تحكم الكاتب أو المبدع في كتاباته المختلفة، وتجعله ينظم هذا الشكل الجديد كونه يعبر عن حالة خاصة به؛ ليس اختيارًا عبثيًا إنه اختيار فيه انفجار أكبر للدلالة والمعاني، وصدقًا تعبيرًا يلامس جوهر الأحاسيس التي تسكن المبدع وقت التعبير.

ولمّا كان الانزياح يحمل كل هذه الدلالات الإيحائية والرمزية، ويشبع الرغبات الشعورية والأحاسيس التي تئن في صدر الشاعر؛ كانت تحمل إلى جانب الفنية الجمالية؛ إبداعًا دلاليًا خالصًا، يدعو إلى تتبُّعِه في الكتابات والنصوص والخطابات الأدبية.

يخترق هذا الفيض الجمالي في الشعر على وجه الخصوص المشاعر، لما يتمتع به من شفافية ودقة وانسيابية؛ فكيف وإن كان الانزياح بُعدًا من أبعادها، وهذا نلمسه بقوة في الشعر العربي الذي يعتمد الكثير من الخصائص والسمات اللغوية والتصاوير الجمالية البلاغية والمحسِّنات البديعية، وهذا ما لمسته في ديوان (أردت أن أقول لأمي) للشاعرة هند النزاري، بعدما لاحظت الشكل الجمالي المغدق من الانزياح في ديوان الشاعرة الذي يشي بجمالية مميزة، ودلالات عميقة، ومشاعر فائضة ينبئ بها العنوان؛ وعليه، آثرت أن أركز في هذه القراءة على جماليات الانزياح في ديوان



«أردت أن أقول لأمي» لهند النزاري وبه عنونتها.

والشاعرة هند النزاري ولدت في الرياض، ونشأت في المدينة المنورة، تعمل معلمة، وقد حصدت المركز الأول في مسابقة ملتقى شعراء المدينة لوزارة التعليم؛ ما يجعلها مستحقة لتلقيبها بشاعرة المدينة، وهي تكتب الشعر الفصيح، كما تكتب النثر، وقد شاركت في العديد من الأمسيات الشعرية التي نظمت في المدينة ومكة وينبع والعيص وغيرها من المدن السعودية، كما شاركت في مناسبات عدة تابعة لإدارة التعليم؛ لها ديوان مطبوع بعنوان (أشياء في جعبة بحار) وديوان (أردت أن أقول لأمي) محل الدراسة،

كما لها مجموعة مقالات ومنشورات متفرقة على مواقع التواصل الاجتماعي والمنتديات الأدبية والثقافية.

أما ديوانها (أردت أن أقول لأمي) شعر منساب في نحو مائة صفحة، من دون فواصل أو عناوين، فكأننا أمام قصيدة واحدة، ومشاعر تتفجر من قلب العنوان الذي تعتلي فيه الأم جوهر الشعور، فتجعل من الشعر أمنيات، ومن الحالة الشعورية حالة خاصة تموج بكل المشاعر والدلالات في أرض توالت عليها التجارب، وخاضت الكثير، فجاء الديوان ليعبر عن الكثير من الأمور والموضوعات والتجارب في خضم إطار واحد كامل متكامل.

وعلى الرغم من توافر جميع مستويات الانزياح المعروفة: تركيبية، وصوتية، ودلالية؛ إلا إن تركيزي سيكون على الجانب التركيبي، والذي أظهر قدرة الشاعرة وتمكنها مما تكتب.

بداية أقول: إن الانزياح التركيبي هو ذلك الجانب الذي يتعلق بالقواعد النحوية، ونظم الكلام وترتيبه في الجمل، و«تتجلى فيه الانزياحات من خلال ظواهر لغوية مختلفة، فيحدث أن تتبادل بعض العوامل المواقع فيما بينها؛ كالتقديم والتأخير، أو حذف في عناصر الجملة، أو الالتفاف إلى أمر ما»[٤] وغيرها من الموضوعات الأخرى التي تتفاوت حضورًا عند الشعراء، لكن أكثرها حضورًا ودلالة: الحذف والتقديم والتأخير وسأتناولها هنا: مبرزة الجانب الجمالي للانزياح في اختيارات الشاعرة له في هذا الديوان.

أولًا: الحذف

يعرّف عبدالقاهر الجرجاني ظاهرة الحذف في اللغة بقوله: «واعلم أن ليس النظم أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجها، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تبخل بشيء منها»[٥].

وفي المنظور الحداثي يعد الانزياح ركنًا أساسًا وظاهرة من ظواهر الانزياح في الخطابات والنصوص الأدبية، ويعرف على أنه «انزياح وعدول عن المألوف... الحديثة، ويعني الخروج عن أصول اللغة وإعطاء الكلمات أبعادًا دلالية غير متوقعة»[٦].

وهذا الخروج عن المألوف من الكلام، والموضوع من قواعد اللغة والمتفق عليه لا يأتي عبثًا، أو عفو الخاطر، يقول الجرجاني مبرزًا ذلك، ومؤكدًا الجماليات والفوائد العائدة من توظيفه في الكلام: «باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للفائدة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تبن»[٧].

وعلى صعيد الدراسات البنيوية، يعد الحذف من أهم الموضوعات التي تشغل الباحثين في شعرية اللغة على المستوى البنيوي، ويرى هؤلاء الباحثون أنه «عادة، علاقة قبلية. والحذف كعلاقة اتساق لا يختلف عن الاستبدال إلا بِكوْن الحذف



استبدالًا بالصفر، أي أن العلاقة الاستبدالية تترك أثرا، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تخلف أثرًا؛ ولهذا، فإن المستبدل يبقى مؤشرا يسترشد به القارئ للبحث عن العنصر المفترض، ما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلقه الاستبدال. بينما الأمر على خلاف هذا في الحذف، إذ لا يحل محل المحذوف أي شيء، ومن ثم نجد في الجملة الثانية فراغا بنيويا»(٨).

ومن نماذج الحذف في شعر الشاعرة هند النزاري قولها:

عن بؤسنا
وخوفنا
وتيهنا في لعبة الزمان
أوهمتهم بأنني الأميرة السعيدة
وأن ما نعيشه قصيدة

فالشاعرة حذفت حرف الجر (عن) ولم تكرره في السطر الثاني، لأن الدلالة عليه موجودة، وقدمت عوضًا عن ذلك العطف ما بين الكلمتين، وكذلك حذفته في السطر الثالث وارتبطت الأسطر الثلاثة بحرف جر واحد، وكان في الحذف انسيابية وانسجام مميز أثرى موسيقى النص.

وعلى النمط السابق تقول أيضًا:

أردت أن أقدم اعتذاري
عن خيبة الآمال
والعثار
عن غاية تجاوزت مداري

فالشاعرة لم تكرر جملة (أردت أن أقدم اعتذاري) في الأسطر الثلاثة الموالية، وجعلت دلالتها تنساب على مدار الأسطر، جامعة بين كل هذه الأمور دون فواصل بينها، أو تجاوز عن أي منها.

وكذلك في قولها:

فخفت من أمر خطير
من متاهات
ومن غواية
ومن يد تحوم حول طلعة بليدة

فالشاعرة استغنت عن الذكر والتكرار لجملة (خفت) ولم تكررها على مدار الأسطر اللاحقة، واكتفت بالجملة الأولى ليتكرر المعنى وينساب على ما بعده؛ وفي الذكر هنا تأكيد وإثراء لإيقاع القصيدة، من خلال التركيز على تكرار أصوات بعينها بسرعة في النص.

ومن الحذف عندها أيضًا قولها:

جاهدته حتى يجس النار في ظلاله
حتى يرى العذاب قيد قبضة مجنونة المخالب

فالأصل أن تكرر الشاعرة في مستهل السطر الشعري الثاني الجملة الفعلية من الفعل والفاعل والمفعول به (جاهدته)، فتقول: (وجاهدته حتى يرى العذاب...)؛ لكنها فضلت الحذف في هذا المقام، لأن هناك كلام موجود يدل على المحذوف، كما أنه الأنسب للوزن الشعري وللصياغة الفنية، فكان الحذف أجمل وأكثر دلالة من الذكر.

ثانيًا: التقديم والتأخير

يُعد موضوع التقديم والتأخير من بين



أهم أبواب النحو العربي التي تحتاج إلى دقة ودراسة عميقة له، ولأسبابه، وحالاته التي تتباين بين الجواز والوجوب، وتتعدد على أكثر من ركن من أركان الجملة، فتشمل المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية، كما تشمل الألفاظ التي لها حق الصدارة والجار والمجرور والظروف، كما تشمل الفعل والفاعل في الجملة الفعلية. وعلى ذلك يحد الجرجاني هذا الباب بقوله: «باب التقديم والتأخير «باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد في الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سببَ أن راقك ولطف عندك، أن قدّم فيه شيء، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان» (٩). ومن هنا فإن دراسة الانزياح ثرية الدلالة والجمال في هذا الباب الذي يمسُّ ترتيب الجملة العربية، ويخضع في جوانب كبيرة منه إلى الاختيار الذي يفرضه المبدع لتوصيل أفكاره ودلالاته ومشاعره.

ويؤكد د. عبدالعزيز عتيق أهمية موضوع التقديم والتأخير بقوله: «من المسلَّم به أن الكلام يتألف من كلمات أو أجزاء، وليس من الممكن النطق بأجزاء أي كلام دفعة واحدة. من أجل ذلك، كان لا بد عند النطق بالكلام من تقديم بعضه وتأخير بعضه الآخر. وليس شيء من أجزاء الكلام في حد ذاته أولى بالتقدم من الآخر، لأن جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ تشترك في درجة الاعتبار، هذا بعد مراعاة ما تجب له الصدارة كألفاظ الشرط والاستفهام»(١٠).

ومن فائدة التقديم والتأخير وجماليته الجوهرية أنَّ في التأخير تمام المعنى والتشويق إلى المتأخر(١١).

ومن أمثلة التقديم والتأخير في شعر النزاري قولها:

لن أزال آسفة
على ضياع رحلة طويلة
على خطى
وئيدة وخائفة
على دموع أفلتت مني
على تنهيدة تسربت من أضلعي

فالشاعرة تعمد إلى تقديم الجار ومتعلقه (على+ الاسم المجرور) على مدى الأسطر الشعرية لتبرز ما تأسف عليه من أمور، فتجعل كل منها تتصدر السطر الشعري، لتظهر العيان، ويظهر مدى أسفه على ضياع وخسارة هذه الأمور.

ومنه أيضًا قولها:

قد كنت يومًا خلفها

يقدم الشاعر ظرف الزمان (يوما) الذي حقه التأخير على ظرف الزمان والمضاف إليه (خلفها)، ليركز على القيمة الزمانية لهذا المكان الذي كان أولى.

أخيرًا

يمكننا القول إن الشاعرة هندا النزاري تتميز بقلم يفيض جمالًا، وتفيض قصائدها بالمشاعر والأحاسيس المتقدة بالعاطفة الصادقة تجاه كل الأمور من حولها، وكل ما تعيشه في حياتها منذ الصغر وحتى الآن، وتبرز الأم في عنوان ديوانها كحضن



واسع تبوح إليه بكل ما تشعر به بانسيابية وصدق، ما يجعل من شعرها حالة خاصة من الاعتراف والبوح الذي لا تحده العناوين، فهو لا يحتاج إلى عناوين فرعية؛ إنها حياتها ومشاعرها تسطرها على الورق بصدق شفيف دون أي حواجز.

وضمن هذه الجماليات يبرز الانزياح كسمة جمالية بازخة تغدق بها على معانيها وتفيض بها، ويبرز الانزياح بأنواعه المتعددة، وتبرز الظواهر الفنية والموضوعية مغايرة عن المألوف، خارجة عن المعهود؛ لتفاجئ القارئ بعلاقات جديدة بين ألفاظ اللغة، وتقدم له المعاني مسطرة في أثواب جديدة غير مباشرة، تحتاج من الشاعر أن يعمل ذهنه فيها.

فيبرز التقديم والتأخير والحذف على الجانب التركيبي، ليقدم دلالات الشاعرة المتقدة بالمعاني التي تقترب معبرة عن حالتها ومشاعرها، وتنفخ في هذه اللغة الحياة، وتجعل إيقاع القصيدة متوهجًا بكل هذا الصدق العارم. كما تتفجر الصور وتتجلى في أسمى الأشكال عبر المجاز والكناية والاستعارة، إذ تتآلف الألفاظ في شكل جديد، وتتآزر مقدمة صورًا جديدة تسمو بالمعاني والدلالات بصورة مميزة لتقدم شعرها ومعانيها في شاعرية مفرطة من الجمال البديع، وربما يكون هذا النوع من الانزياح موضوع قراءة جديدة لهذا الديوان المميز لشاعرة ثرية هي شاعرة المدينة الأولى، بلا منافس.

---

* باحثة دكتوراه جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

(١) حمد، عبدالله خضر (٢٠١٧م). مناهج النقد الأدبي، السياقية والنسقية، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت- لبنان، ص ٢٦١.

(٢) السد، نور (٢٠١٠م). الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث (الأسلوبية والأسلوب). دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر، ج١/ص٢٤.

(٣) انظر: مولى، فريدة. (٢٠٠٣م). شعرية الخطاب الأدبي. جامعة قاصدي مرباح. ورقلة، الملتقى الدولي الأول في تحليل الخطاب١١-١٣.

(٤) بن زايد، عمار (٢٠١٥م). أسلوب الانزياح في ديوان «رصاص وزنابق». رسالة ماجستير [غير منشورة]. جامعة الجيلاني بونعامة خميس مليانة. الجزائر، ص ٤٦.

(٥) الجرجاني، عبدالقاهر (٢٠٠٤م). دلائل الإعجاز (ط.٥). تحقيق: محمود محمد شاكر. مكتبة الخانجي. القاهرة- مصر، ص ٨١.

(٦) هتهات، نورة (٢٠١٧م). ظاهرة الحذف في القرآن الكريم -سورة يس- أنموذجًا. رسالة ماجستير [غير منشورة]. جامعة قاصدي مرباح. -ورقلة- الجزائر، ص ٩.

(٧) الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز، ص ١٤٦.

(٨) بوهادي، عابد. (٢٠١٣م). أثر النحو في تماسك النص. دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٤٠ (١)، ص ٦٠.

(٩) الجرجاني، عبدالقاهر. دلائل الإعجاز، ص ١٠٦.

(١٠) عتيق، عبدالعزيز. (د.ت). في البلاغة العربية علم المعاني- البيان- البديع. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت- لبنان، ص١٣٣.

(١١) يُنظر: الهاشمي، أحمد (٢٠١٠م). جواهر البلاغة (ط.٣). دار المعرفة. بيروت- لبنان، ص ٩٠.



الشاعرة هند النزاري:

القراءة هي المادة الخام للكتابة
وأكاديميات الشعر مهمة لتطوير الموهوبين



شاعرة سعودية من المدينة المنورة، تفتقت فيّ براعم الشعر مبكرًا، بدأت كتابة الشعر للشعر منذ نحو عشر سنوات. وكان الدعم العائلي لها الوقود الذي حرك فيها جذوة الشعر، وما تزال تتقد به حتى الآن. وقد تميزت قصائدها بالطول والرصانة اللغوية وقوة اللغة.

■ حاورها: المحرر الثقافي

- **الشاعرة هند النزاري، بماذا تعرفين نفسك لقراء الجوبة؟**

■ هند النزاري.. شاعرة سعودية من المدينة المنورة.

- **كيف أصبحت هند النزاري هذه الشخصية الشعرية المميزة اليوم؟**

■ أولا: شكرا جزيلا لأنكم ترونني كذلك!

ثانيا: إن كنت قد أصبحت مميزة بالفعل فالفضل لله أولًا وأخيرًا، وإن كان لي دور صغير في هذا فهو اعتنائي بالشعر واحترامي لبلاطه، فما أنشر مما أكتب إلا الذي أكون قد أشبعته مراجعة، وأجريت عليه التعديل بعد التعديل حتى أرتاح ولو قليلًا إلى كونه يستحق أن يسمى شعرًا

- **كيف كانت البدايات الشعرية؟ وما هو تأثير محيطك العائلي على موهبتك؟**

■ تفتقت فيّ براعم الشعر مبكرًا في المرحلة الدراسية المتوسطة تقريبًا، ولكني وأدتها في أكمامها، وتجاهلتها



تماما، ثم عدت لكتابة الشعر الوظيفي للمناسبات والبرامج التي يتطلبها عملي في التعليم، وما بدأت كتابة الشعر للشعر إلا منذ نحو عشر سنوات.

أما عن الدعم العائلي، فهو الوقود الذي حرك فيّ جذوة الشعر، وما تزال تتقد به حتى الآن.

- **هل هناك توجيه أو أستاذ كان له تأثير على تفتق موهبتك الشعرية؟**

■ لا، فأنا كنت أحرص على إخفاء هذه الموهبة على طول مراحل التعليم، ولا أدري لماذا!

إلا إن الدكتور محمد العيد الخطراوي، رحمه الله، حين درسني مادة العروض، كان يتعمدني بتوجيهات خاصة، فيقول: لو كتبت الشعر يوما فافعلي كذا، ولا تفعلي كذا؛ رغم أني لم أعرض عليه بيتًا واحدًا، ولم أقل له إني أستطيع كتابة بيت، لكن يبدو أنه تنبأ لي بشيء من ذلك، وما تزال توجيهاته نصب عينيّ حتى الآن.

- **هل ترين أنه يمكن تعلم الشعر؟ وهل يمكن إنشاء أكاديميات لتعليمه؟**

■ تعليمه.. لا، أما تطوير الموهوب فيه فأمر ممكن، ولو أنشئت أكاديميات لهذا الغرض، فالمفترض فيها أن تتولى أصحاب المواهب الحقيقية بالصقل والتشجيع والمتابعة، حتى يضعوا أقدامهم على أول الطريق، وهم سوف يستغنون بمواهبهم فيما بعد عن كل أحد، أما الذين لا يملكون الموهبة من الأساس، فلا تستطيع أكاديميات الدنيا جعلهم شعراء بالتعليم، وحتى لو تعلموا أساسات الوزن والقافية، وتعلموا سرد الأفكار بطريقة منظومة، فسوف يكتبون شعرا؛ ولكنه شعر (مغسول) كما أطلق بعض النقاد على النظم الذي يخلو من الشعر.

- **ما هو أثر نهمك لقراءة الكتب وسعة الاطلاع عليها على كتابتك الشعرية؟**

■ القراءة هي المادة الخام للكتابة؛ ليس كتابة الشعر بالتحديد، وإنما كل أنواع الكتابة، على مَن يريد أن يكون له شأن مع القلم أن يقرأ أولا ما خطته أقلام الآخرين، ليقرأ أضعاف أضعاف ما يكتب، ثم لِيَنسَ كل ما قرأه، ويرجع إلى ذاته ويكتب، وكأنه فاقدٌ للذاكرة، حتى لا يقع في فخ التقليد، وسوف يصبح كاتبًا مجيدًا كلما كان قارئًا نهمًا.

- **تميزت قصائد هند النزاري بالمطولات والرصانة اللغوية وقوة اللغة، كيف وصلت إلى هذا المستوى العالي من الإبداع الشعري؟**

■ كما قلت في إجابة على سؤال سابق، أنا أعتني بالشعر وأحترمه، وربما كتبت قصيدة كاملة، وتركتها فترة، ثم عدت إليها فوجدتها لا تستحق أن تنضم لديوان الشعر العربي المجيد، فلم أتردد لحظة واحدة في حذفها ضنًا بالحبر والورق الذي كانت ستستهلكه دون استحقاق.

أما عن الإطالة، فالذي يحدث هو أنني



أسترسل مع حالة الكتابة التي تأخذني دون أن أتعمد عدد الأبيات، ولا أدري إن كان ذلك حسنًا أم سيئًا، إلا إنني أستمر في فعله كلما دخلت تلك الحالة ولم أستطع أن أخرج منها إلا وقد سودت دفتري بخمسين أو ستين بيتًا.. وربما أكثر.

• **ما هي أطول قصيدة كتبتها؟ وما هي أقصر قصيدة؟ ومامناسبتهما؟**

■ أطول قصيدة هي قصيدة (أردت أن أقول لأمي)، وهي على تفعيلة الرجز وقد جاءت في مئة واثنتي عشرة صفحة، تكرم نادي المدينة المنورة الأدبي بطباعتها في ديوان مستقل ليس فيه سوى قصيدة واحدة.

أما الأقصر، فأنا لا أجيد كتابة القصائد القصيرة غالبا، ومع ذلك فقد كتبت بعض المقطوعات التي لم تزد عن خمسة أبيات أو ستة، وكتبت نتفة من بيتين فقط!

• **هل لديك وقت مفضل لكتابة القصيدة؟**

■ الصباح الباكر هو أفضل وقت للكتابة بالنسبة لي، ولكنه الوقت الأفضل لكل الأعمال أيضا، ومع ذلك فإنه نادرًا ما يتسنى لي أن أغتنمه للكتابة، فأضطر غالبًا إلى الرضا بأي سانحة فراغ تخلي بيني وبين القلم.

• **كيف بدأت فكرة إصدار ديوانك الأول؟**

■ لم تكن فكرة، بل كانت رغبة ناتجة عن فضول حول ما إذا كنت أستطيع فعلا أن أصدر ديوانًا!

ولو فكرت..

• **ما هي أهم الأغراض الشعرية التي ترين أن الشعراء قد غفلوا عنها اليوم ؟**

ربما الهجاء! ونحمد الله على ذلك؛ فالشعر دونه أرقى بكثير.

• **حدثينا عن مصادر قصائدك؟**

لا مصادر للقصائد يا سيدي ، يبدو لي الأمر وكأن غيمة مثقلة تتغشاك ، لا تدري أي ريحٍ ساقتها إليك ، ترعد وتبرق ثم تهطل قطرًا فانهمارا، ثم ترتوي قريحتك فتنبت القصيدة.

• **يرى بعضهم أن قصيدة النثر قد تكرست بديلًا أكثر منها خيارًا ، ما هي رؤيتك لذلك؟**

■ أرجو أن تتسامحوا معي لو قلت إني لا أعترف بشيء اسمه قصيدة النثر؛ ليتها ظلت مقصورة على الشعر المترجم كما كان الأمر بداية؛ لأنه لا سبيل إلى إلزامه بالوزن والقافية ، ولكن أن ننشئ قطعة نثرية بالعربية الفصحى ثم نسميها قصيدة، فهذا أمرٌ لم أستسغه يومًا، وليعذرني أنصار هذا التوجه، فهو رأيي الشخصي وحسب..

• **هل يضيف عليك التزامك بالقصيدة العمودية أية أعباء؟**

■ أنا لم ألتزم بالقصيدة العمودية أبدا، كتبت قصائد عمودية، وكتبت على التفعيلة، وذلك لأني أترك للقصيدة اختيار الصورة

لأنني أريد أن تنتهي إليها، ولم يحدث أبدا أن بدأت الكتابة ولديّ قرار مسبق حول ما أريد أن أكتبه، أنا أكتب وحسب..



- **في قصيدتك (ابكِ يا عمران) في ديوانك (بلقع) إحساسٌ عالٍ بمشاركة الشعب السوري مأساته، كيف ترين أهمية مشاركة الشاعر في قضايا الأمة الإسلامية؟**

- بالتأكيد.. الهمُّ القومي واحد، وآلام الأمة العربية الإسلامية تعصر قلوب كل من ينتمي إليها، وكأنه يعيشها حتى وإن كان على الطرف الآخر من الكرة الأرضية، وللشاعر بالألم علاقة معقدة، فأجمل القصائد ما كان عن ألم حقيقي، وقد سأل أحدهم أعرابيًا: ما بال المراثي أجود أشعاركم؟ فقال الأعرابي: لأنّنا نقولها وأكبادنا تحترق!.

وقد كتبت عن الهمّ السوري قصائد عديدة، وكتبت عن فلسطين واليمن والعراق وغيرها من بلادنا العربية الإسلامية، وكأنني إحدى مواطنيها، وهذا ما علمني إياه وطني الحبيب منذ زرع في ذهني أن لدي وطنًا أكبر أحمله في قلبي، وأنشغل بأحداثه، وأتبنى قضاياه.

- **في ديوان (أردت أن أقول لأمي) في عيدك الماضي كتبت بضع أغنيات، هل تأخر البوح للأم، أم إنها الأم التي لا تغيب مهما طال الغياب؟**

- للأسف تأخر البوح، والأمهات يغبن كما تغيب الشموس، ولكن إلى غير رجعة، وحين تدرك أن نورها قد انسحب من حياتك، فلن تبقى لك سوى ظلمات الحسرة، تظل تتخبط فيها ما حييت، لذلك كتبت في مقدمة الديوان: قولوا لأمهاتكم ما تريدون قوله.. الآن.

- **ولماذا (أردت أن أقدم اعتذاري - عن خيبة الآمال والعثار) هل علينا الاعتذار لأمهاتنا؟**

- إذا خيبنا آمالهن، إذا قصرت همتنا عن الأهداف التي حددنها لنا، إذا لم ننجح في تحقيق طموحاتهن ولم نكن على قدر توقعاتهن؛ علينا أن نعتذر، لأننا نكون قد كسرنا قلوبهن عند تخييبنا لآمالهن!

ثيمّةُ الظلِّ

في قصص (محمد مدخلي) القصيرة جدًا

■ خلف سرحان القرشي*

يوظف القاص محمد مدخلي في بعض قصصه القصيرة جدًا موضوعة (ثيمّة) الظّل، ويستدعي ما يرتبط بها من سمات فنيَّة وجماليَّة، مستثمرًا كل ما يسعفه في التعبير، ويخدم غرضه من دلالاتٍ مختلفةٍ لهذه الثيمَّة، وما ارتبطت به من معانٍ في سِفْرِ المعرفة الإنسانيَّة منذ فجر التاريخ على مستوى المعنيين المادي والمجازي.

ونظرا للحضور المكثّف لهذه الثيمة في الأعمال القصصية لمحمد مدخلي، فقد ارتأيت أن أتناول في هذا المقال، بعضًا من ملامح هذا الحضور وتجلياته في المجموعة القصصية: (كان له أملٌ).

وأبدأ بقصة (زبد):

«ارتدى ملابسه في العَتمة؛ أضاء شمعة بالقرب من رقعة الشطرنج.

حاور ظلّه: إن لم تقتلني سأقتلك.

لمعت بباله فكرة. ابتسم؛ بلع ريقه؛ حرّك بيدقه الأسود ميمنة الملك الأبيض، سَبقه ظله إلى الزِناد...».

نجد القاص هنا يؤنسن الظلَّ من خلال تحاور بطل القصَّة معه أولًا، وثانيًا من خلال قيام ذلك الظلّ بمسابقة البطل إلى الزناد يبغي قتله، فالظِّلُ التابع غالبًا للجسم أو الشكل الفيزيائي، لا يرى -لا سيما في الليل- إلَّا عندما يكون ثمَّة بعض عتمةٍ وقليل ضوءٍ، والمتحرك تبعًا لحركة صاحبه، يخرج هنا عن طبيعته، ويتجاوزها، بل





القاص محمد مدخلي

ويتمرد عليها. يوحي إلينا القاص بأنَّ ذلك ردّة فعلٍ على ما تعرض له من تهديدٍ بالقتل من صاحبه.

ظلالُ الناس تقتلهم حقًّا عندما تصبح قيودًا تحدُّ من تحركاتهم، وأساورَ تمنعهم من التصرف كما يريدون في حدود المباح والمتاح، كما أن طموح الإنسان قد يقتله، كما قال المتنبي:

«وإذا كانت النفوس كبارًا
تعِبَتْ في مُرادِها الأجسام»

وما الظِّل إلا انعكاس للجسد، وتجلٍّ لما يحجب الضوء.

وكذلك الأعراف الجائرة والتقاليد الاجتماعية البالية والشهرة الزائفة والهياط المقيت.. كلُّها ظلال.. تلقي بظلالها، إن صحَّ التعبير، على حياة بعضٍ منا، وعندما يحاول المبتلون بها مقاومتها، والتخلص منها تدمرهم نفسيًا واجتماعيًا لأنها تغلغلت كثيرًا فيهم، وامتلكت بذلك قوتها وسلطتها.

هي ظلالٌ لأنَّ لا ضرورة لها، ولكنَّها تتلبس بلبوسٍ واهيةٍ لتصبح مرتبطةً بمعتنقيها ارتباط الأساور بالمعاصم، والظلال بالأشكال، فلا مفرَّ منها.

يقول الناقد أيمن دراوشة عن توظيف القاص لثيمة الظلِّ في هذه القصَّة:

«... يصنع بطل القصة شخصيَّةً وهميَّةً هي ظلُّه، ويتخذه خليلًا له؛ وفي الوقت نفسه العدو، وقد أعلن التحدِّي لظلِّه في لعبة الشطرنج مَن يقتل ملك الخصم الأول.. أثناء اللعب لاحت للبطل فرصة قتل ملك الظلِّ، فحرك بيدقه إيذانًا بالفوز.. وهذا سر الابتسامة، لمعت في باله فكرة: ابتسم، فما كان من ظلِّه إلا إن سبقه إلى زناد المسدس الموضوع على الطاولة: «حرَّك بيدقه الأسود ميمنة الملك الأبيض. سَبقه ظلُّه إلى الزِّناد...»، لتكون النهاية الصادمة مقتل البطل على يد ظلِّه».

ويضيف الناقد أيمن دراوشة: «... لقد نجح الكاتب محمد علي مدخلي في تقديم قصَّة ومضةٍ على غايةٍ من الإيجاز والفائدة، والمتعة الرائقة وكذلك الانسياب اللُّغوي البسيط، والبراعة في تصوير الصراع بين البطل وظلِّه مع توافق ما يسمى بالوهم المرئي وتصوير الجانب الإخفاقي في حياة البطل».

أتفق مع ما قاله الأستاذ دراوشة أعلاه، وأضيف إليه التساؤل الآتي:

«أليس كثيرٌ من النّاس هم من يصنع من بعض العادات والتقاليد أوهامًا وأصنامًا، وإذا ما أرادوا التخلص منها تأبى عليهم ذلك، فيظلون مقتولين رمزيًا من قبلها؟ لعلّ هذا ملمحٌ يمكن أن تؤول دلالة الظلّ هنا باتجاهه، ولعل جمالية هذه القصة تكمن في انفتاح الدلالة على جملة من التأويلات، والتفسيرات، وذلك حسب كل متلق وطبيعة تجاربه وخبراته في الحياة، فالظل قد يراد به الإنسان نفسه، عدوه الذي بين جنبيه، وهو التقاليد البالية، وهو الطموح المدمر، إنه الصراع الأبدي الذي يعيشه الإنسان، ولا انفكاك عنه.



في قصّة (متبوعٌ) يأخذ الظلُّ بُعدًا آخر، إذ يمثل هويّةً لصاحبه، ولكنّها هويّةٌ غير مرغوبٍ فيها، رغم كونها قدريّةٌ لا حول ولا قوّة للإنسان فيها.

«نسي بُرهةً أنّه رقيق، ألقى أوامره على ظِلّه».

بطل القصّة هنا فاقدٌ للحريّة ينسى، وفي الغالب يتناسى، هذه الحقيقة المُرّة؛ لأنّه لا يريد الإقرار بها، ولهذا يمارس سلوك الأحرار في إلقاء الأوامر وإصدارها. وتأتي المفارقة من كون البطل رقيقًا/ فاقدًا للحريّة، لذا لا يجد من يلقي عليه الأوامر سوى ظلّه!

الظلُّ الذي -كما ذكرت آنفًا- قلّما يرى ليلًا، بشكله الفيزيائي إلا مع وجود بعض عتمةٍ وقليل ضوءٍ، نراه يتجلى هنا مجازًا بين لحظتين فارقتين هما: العتمة والنور؛ فالنور يتمثل في نسيان البطل لهويّته لوهلةٍ واستعادة حريته، والحرية أصلٌ في بني آدم، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟»؛ واللحظة الثانية هي العتمة المقيم فيها البطل جراء كونه رقيقًا: عبدًا مملوكًا لا يقدر على اتخاذ القرار. ويستثمر البطل لحظة النور تلك بوعيٍ منه أو من غير وعيٍ ليسترجع أصله/حريته فيلقي الأوامر على ظلّه الذي هو ليس سوى عبوديته.

في قصته (مُنْشَق): ابتداءً من العنوان يُغَيِّرُ القاص بقصدٍ من طبيعة الظلّ الأزلية وهي محاكاته لصاحبه، ويمنحه قوةً للتمرد على تلك الطبيعة، وهكذا هو المبدع يعيد تشكيل الأشياء وفق ما يقتضيه الفن:

«لَمَحَتْ أنَّ ظلّها لا يحاكيها! تراجعت ذعرًا، فاصطدمت بحائطٍ. أفاقت سليمةً، وهو معصوب الرأس»!

ثيمَّة الظلِّ في هذه القصَّة تختلف عنها في القصتين السابقتين في كونه متسببًا لحدثٍ من قِبَلِ بطل القصة، بينما هو في القصة الأولى (زبد) يقوم بردّة فعل تجاه فعل بطل القصة، وفي القصة الثانية (متبوعٌ) نجده هناك ساكنًا مستسلمًا بلا إرادةٍ البتّة.

بطلة القصة خافت من ظلِّها بعد أن رأته أو توهمت أنَّها رأته لا يحاكيها. يا لبؤس الإنسان عندما يتملكه الخوف من كل ما حوله حتى من ظلِّه!

وكما غَيَّرَ المبدع طبيعة الظل، فإنَّه غَيَّرَ كذلك من النتائج الحادثة لتأتي على خلاف المتوقع؛ فالبطلة اصطدمت بالحائط عند تراجعها ذعرًا، والنتيجة الطبيعية أن يصاب رأسها جراء ارتطامه بالحائط، لكن القاص يخرجها سليمةً، ويجعل ظِلَّها هو المصاب.

وأحسب القاص من خلال هذه المفارقة المصطنعة يعزز أثر الخوف؛ فخوف البطَّلة جعلها تتوهم ابتداءً أنَّ ظلَّها لا يحاكيها، كما جعلها أيضًا بعد أن أفاقت ترى نفسها سليمةً، وترى ظلَّها مصابًا معصوب الرأس. وهنا يتناص القاص معنويًا مع قوله تعالى: **﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى. قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى. فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى. قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى. وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾**.

ويتناص أيضًا مع المقولة الشعبية: «من الخوف.. ماشي تحت ظلّ (الحيط)، وأخاف أن يطيح (الحيط) عليّ»! وما أكثر مخاوف الإنسان لا سيما في عصرنا الحاضر، والتي تهدد وجوده وهويَّته، كما تهدد منجزاته وممتلكاته.

يستدعي القاص الظلَّ في قصته المعنوَّنة بـ(توق) ضمن مجموعة مكونات ليعبر بها عن رغبة زوجةٍ في لقاء زوجها أو عشيقةٍ في لقاء عشيقها الغائب، ولم يقل لنا القاص لماذا هو غائبٌ.. هل هو ميتٌ أم مسافرٌ أم مُطَلِّقٌ أم غير ذلك ليبقي الباب مشرعًا لاحتمالاتٍ تزيد من نصِّه عمقًا وقوةً، من خلال ما يضفيه عليه خيال كلِّ متلقٍ له من توقعٍ. لنتأمل أكثر في نص القصّة:

«نجمة الليل تومض عبر النافذة الصغيرة. والشارع يكتنفه الصمت. شعره الفحمي الطويل يسقط شعثًا على كتفيه. تخبو شمعته كلما زفر تنهيدة سعاله المزمن. بأنامل مرتجفة تناول شريط علاجه. بدا مستسلمًا لحضورها، حرك قدميه المنملتين، طوى تحت قلبه يدين هادئتين. لمح ظلّها بالرواق. حرك كرسيه للعتبة. عانقها، همّ بتقبيلها.. فزعت من نومها تبحث عنه. فلم تجد سوى



كرسي قابع بالركن المظلم عفّره الغبار يعلوه بيت عنكبوت».

وعلى الرغم من أنَّ قراءتي هذه معنيّة بثيمّة الظلّ، ألَّا إنَّه من الصعب تجليّة أثرها الفني بمعزلٍ عن محاولة قراءة جوانب أخرى في هذه القصّة المضطربة بقصد ونيَّة من القاص. والاضطراب يكمن في أنَّ بطل القصَّة الرئيس قد يكون هو المرأة التي تحلم -يقظةَ أو منامًا- أو تتوهم لحظات اتصالٍ ووصلٍ لم تكتمل لسببٍ أو لآخرٍ مع شريكها. وقد يكون بطل القصّة هو الرجل نفسه الذي لم تسعفه ظروفه الصحيَّة نتيجة المرض أو العجز أو الشيخوخة ونحو ذلك من إتمام لحظات الاتصال تلك. تحريكه للكرسيِّ نحو العتبة قد ينبئ عن إعاقةٍ أو إصابةٍ يعاني منها الرجل جعلته أسير ذلك الكرسي، يعزز ذلك أنَّ هناك شريطَ علاجٍ، وتنهيدةً وسعالًا مزمنًا.

الظلُّ حضر لمحةً هنا، وبعده مباشرةً كانت هناك لحظة عناقٍ حقيقةً أو تخيلًا. فهل كان ذلك العناق للمرأة أم للظلِّ؟ القصّة لم تفصح عن ذلك، لكن ثمّة توظيفٌ إيحائيٌّ لثيمَّة الظلِّ تتسق وغموض القصّة واضطرابها على مستوى الشخوص والحدث وكذلك المفارقة.. ناهيك عن العنوان اللافت.

أخيرًا، إنَّ القاص (مدخلي) قد كان موفقًا في استثمار ثيمّة الظلِّ لتخدم فنِّه؛ (القصة القصيرة جدًا) التي تعتمد على التكثيف والإيجاز، وثيمَّة الظلِّ واحدةٌ من أهمِّ وأبرز الثيمات الفعَّالة والنافذةِّ في هذا الجانب؛ نظرًا لما شُحِنَتْ به من دلالاتٍ، وبما أفعمت به من معانٍ في المتون الدينية والفلسفية والأدبية، وبما تنطوي عليه من تعالقٍ وتقاطعٍ مع الخبرات والمعارف الإنسانية، إلى درجة أنَّ العالم الصوفي ابن عطاء الله السكندري وهو أحد شيوخ الصوفيَّة الكبار قال في حكمته الشهيرة: «الأصل في الأشياء الظل»، كما نقل ذلك عنه جمال الغيطاني في المرجع الثالث المذكور في ذيل هذا المقال.

المراجع

(١)(كان له أملٌ)، مجموعة قصص قصيرة جدًا للقاص السعودي (محمد علي مدخلي)، صدرت عام ٢٠١٩م عن (دار السكريَّة للنشر والتوزيع) بالقاهرة.

(٢)كتاب (الظل أساطيره وامتداداته المعرفية والإبداعية) للدكتورة فاطمة الوهيبي الطبعة الثانية صدر عن دار (أروقة للدراسات)، عام ٢٠١٤م.

(٣)مقالة الغيطاني عن كتاب (الظل أساطيره وامتداداته المعرفية والإبداعية)، للدكتورة فاطمة الوهيبي، المشار إليه في المرجع السابق. http:// dr-fatimaalwohaibi.website/sayings

* كاتب سعودي.

عودةُ ألم

■ عبدالكريم بن محمد النملة*

لا تبتئس! الليل طويل موحش، المطر ينهمر وأصوات الرعد تصخب السماء ويرق يلوح ويغيب، والنهارات تتعاقب بسرعة خاطفة. لا تنتظر، ألمٌ يستيقظ في قلبك شوق لطفولتك؟ حين حملك وقبّلك، ومسح دمعتك الصغيرة التي سحّت على خدك الناعم.

ليل حالك الظلام، وقلب غاص في النكران أربعين شهرًا أو تزيد، تائه في غمرات اللهو والشقاء، لاح وجهه طيفًا يتهادى في خيالك، منذ تلك الليلة البائسة!

أعياك المسير، وأكلت الطرق قدميك، الآفاق البعيدة تلتمع بخيوط البرق الخاطفة، عدت من العالم المشروخ.

الآن تؤلمك ذكرى تلك الليلة، تتذكّرها، تعود إليها بحضور كل مشاعرك، الآن تعود إليه آسفًا منكسرًا، تتقدم خطوة نحو البيت ثم تقف خوفًا وهيبة من لقاء مؤجل، تحوم حول البيت، يهطل الحنين بين جوانحك، يا لبؤسك، الآن، وبعد كل هذه الشهور تشتاق له!

***

هل سيفتح لك الباب؟

....

هل سيطردك ثانية؟

....

هـل عُـدتَ تـوّاقًـا

لتحصد حصّتك في ميـراث تـراه قريبًا؟

....

شـيء خفـيٌّ يشـدّك

إلى العودة إليه!

تشعر أن روحك هشّة، هائمة، تريد أن تسندها بعودتك هذه!

....

أنت الآن أمام الباب، تسمع أصواتًا مختلفة، ربما صوت إخوانك، أخواتك.. ربما!

هل تاقت نفسك إلى الاغتسال من أدرانك الماضية؟

....

أمام الباب، تحسّ أن رجليك شُلّتا، ناجيت نفسك أن هذا الوقت يكون أبي في صالة البيت، تطرق الباب، يفتح الباب أخوك الصغير، لا يرحّب بك، تسير خلفه وأنت تتفرّى من الغيظ، تسأل عن والدك، لا يجيبك، تدخل متدثّرًا بخزيك وجفوتك وعنادك، يجللك الخوف الوقور، تراه جالسًا، تشعر بركبتيك متخاذلتين، تراه مبتسمًا، تبهج، تلمح أنه فاغر الفم ضامر البطن، تقترب منه تغمُره قُبلًا، تطمئن عليه، تسأله، يجيبك بابتسامة، تعيد عليه السؤال، يبتسم لك أكثر!

تختلط الصور، كست عينيك غشاوة رقيقة من الدموع، أحاطك اليأس من كل جانب.

ترنو بعينيك نحو شقيقك الأصغر، تسأله عن والدك! يحني رأسه بحزن ويقول لك: فقد الذاكرة.. لن يعرفك!

* كاتب سعودي.

رِباطُ طاقةِ الورد

■ دينا بدر علاء الدين*

آه.. آه.. ما أقساكِ أيّتها الوردة، لن أقطفَ منكِ الكثير؛ فكفاكِ بُخلًا. الليلة سأحتفي بعيد ميلاد زوجي، وسأضعكِ إكليلًا على جبينه الوضّاء.

«حبيبتي» قال، «اقتربي أكثر، إنّ شذا رائحتكِ يغمرني، وكأنّي في زجاجة عطر باريسيّة، ما هذا؟ مَن الذي تجرّأ، وجرح براءة يديكِ؟ طبطبَ بشفتيه على يديها فأثار عواصف حبِّها وجنونه.

استفاقَ على قُبُلاتها النّديّة، وقبْل أن يصافح الصّباح، طلب منها طاقة الورد؛ لتكون نفحة من روحها تزيّن مكتبه. بحث عن خيط يربط به الطاقة، فناولته ضاحكة: هاكَ، ولكن أعِده إليّ؛ فما يزال جديدًا.

ابتسم مستغربًا: أبهذا سأربط طاقة الورد؟

وقبل الغروب لمحتْ صديقتها تعتمر قُبّعة خمريّة، وتسير في الشارع مسرعة، وهي تُطلق ابتسامة صفراء، أنعمَت النظر فيها، وكالنّسر أطبقَتْ على يدَيها قائلة: مُبارك عليكِ زوجي، وطاقة الورد، ولكن أعيدي إليّ رباطَ حذاء طفلي.

بائعُ الخُردةِ

أطلّتْ من نافذتها بشَعرها الأشقر المنكوش، تتلألأ يداها ناصعتين رغم اتّساخهما، وبصوتها المخمليّ نادتْ بائع الخُردةِ؛ فانصاع للجَمال مُلبّيًا. وقال لعمّها الذي يتوسّد فَقْره: سأشتري ما في حوزتك من خُردةٍ ومعها سندريلا أحلامي، صاحبة الشّعر الأشقر.

تناهى صوتها مُناديًا: عَمّاه، بالباب صاحب البيت يطلب الأجرة.

ابتسم بطَوق نجاته: مُبارك عليك الشّقراءُ والخُردة.

وبينما يَقبض العمُّ ثمن صفقة العبوديّة، هوى جسم من الأعلى، فخرج الاثنان على صوتٍ اغتال سفَر أحلامهما، كان جسمًا رأسُه كسنابل القمح الحُبلى بخيبات الحياة، ارتطم بأرضٍ لوّثتها أفعال البشر، توقّف قلب الشّقراء عن النبض، ذاك القلب الذي كان موبوءًا بداء النّقاء.

حول مأدبة الفداء، كانت نساء الحيّ كلٌّ ينهش في الجسد المُسجّى: علّها أحبّت فتًى وغرّر بها! ربّما شوهدَتْ وهي تقوم بفعلتها! كأنّ ثيابها ممزّقة؟ كأنّ؟.. لعلّ؟

---

* كاتبة - الأردن.



العريش

■ طاهر الزارعي*

شاريه الكبير الذي يحتفظ به دليلًا على رجولته لم يساعده في أن يتخطى الخوف الذي لاحقه في مزرعته؛ فقبل حلول الليل بساعة واحدة، كان يسمع أصواتًا تصدر من «العريش» الذي أعده من سعف النخيل، يبتعد قليلا ثم يعاود التفاتة خاطفة لمصدر الصوت.

كان يحدثّ نفسه: بسم الله، يا الله تسكنهم في مساكنهم. اتجه نحو «بَرادة الماء»، رفعها إلى حدود رأسه، ضغط على صنبور الماء وشرب حتى امتلأت معدته، جلس جانبًا، وبجانبه مخرف وكر، كان يلامس «الدمّل» الذي نبت في ساقه، وكاد أن ينخره، نصحه أصدقاؤه بأن يذهب إلى المستوصف الحكومي القريب من قريته؛ لكنه كان يرد عليهم: «هالمستوصف مثل الخرابة ولا راح أروح له». كان يتأمل النخيل كثيرًا، يعدها يوميًا، واحدة.. اثنتان.. ثلاث.. حتى يصل إلى المئتي نخلة، كان حريصا على ألا تنقص من مزرعته نخلة واحدة!

«آه يا يمة ليتك ماجبتيني».. يردد هذه العبارة يوميًا، فالحياة التي يعيشها «أبو ناصر» جافة وخانقة، كان يقشر فقره، ويحاول أن يسدل عليه ستار الكرامة، لا يمد يده لأحدٍ رغم فاقته.. ورغم عمره.. ورغم إعالته لأبنائه الخمسة.. هكذا وجد نفسه عاريًا من جمال الحياة، غائبًا عن الفرح.

أراد أن يصعد النخلة المجاورة له، أمسك بالكر والمخرف، تذكر أباه، وأحس برغبة عارمة في البكاء، لم ينس تلك

اللحظات التي أخبر فيها أن أباه صدمته سيارة في الحي ومات في حينه. آه يا زمن! ردد العبارة مرتين، نهض من جلسته.. استعد لصعود النخلة، صوت صادر من العريش.. كان الصوت ضخما ومخيفا: تعال.. تعال يا بو ناصر.. أخذ يمسح بعينيه المسافة بين النخلة التي ينوي صعودها وبين مكان الصوت، ارتهب من الصوت، الظلام يستعد للهبوط على مزرعته.. تعال يا بو ناصر.. تعال.. دون أن يشعر، اجتذب لمصدر الصوت، خطا خطوتين.. ثلاث خطوات، خرج قِطٌّ أسود مثل الفحم، ارتعد.. تسمّر مكانه.. تأمل القط الذي ما يزال يصدر مواءً طويلًا، وكان يحملق في «أبو ناصر»، تذكر ما قال له أبوه ذات ليلة: القط الأسود لا تدانيه؛ لأنه شيطان من الجن.

أعوذ بالله من هالقط.. كان يحدث نفسه، حاول أن يطرده.. لم يتمكن، أشعل نارًا في «سعفة يابسة»، رأى القط النار وأخذ يموء طويلًا، ويكثِّفُ نظراته لـ «أبو ناصر» استعد القط للهرب.. قلب في الهواء مرتين وصعد نخلة طويلة. اتجه إليه، «أبو ناصر» مشط بعينيه تلك النخلة؛ لكنه لم يلتقط له أثرًا.

استراح على المسناة القريبة منه، تناول فنجان قهوة تفوح منها رائحة الهيل، لا يشرب القهوة إلا في مزرعته.. بعيدًا عن أعين الناس، فقد اتهموه ذات يوم بأن سلاحه يربض كثيرًا بفعل القهوة، وكان يواجههم: سلاحي صناعة أمريكية ما تقدر القهوة تثبيطه. اتجه إلى العريش»، كان ساكنًا.. ثوبه ما يزال معلقًا.. نعاله جانبًا.. صرة من بذور الريحان بمحاذاة ثوبه.. ذبابٌ يحوم حول الخبز الذي جلبه من البقالة المجاورة لبيته.

خرج من العريش وذاكرته تتجشأ الخوف.. مسح شاربه وأطلق ضحكة في السماء. تذكر بعدها أن عليه أن يصعد النخلة ويخرف الرطب، فالليلة لديه موعد مع الجمعية الخيرية التي بدورها ستعطيه بعض المستلزمات الشهرية من الرز، ومعجون الطماطم، والسكر، والزيت، والصابون، كان فرحًا بذلك، فبيته يكاد يكون خاليًا من تلك المواد. لم يقاوم فرحته ورقص على أغنية سميرة توفيق:

(بين العصر والمغرب.. مرت لمّة خيّالة
مرت لمّة خيّالة
وعرفت فرس وليفي.. لأنها شقرا وميّالة
لانها شقرا وميّالة)

كان يتمايل بجسده وإصبعه على خده الأيمن، وابتسامة كبيرة تتسلل إلى شاربه الذي خالطه الشيب، لفَّ الجزء الأول من الكر على ظهره، ولف الآخر على النخلة، وعلق المخرف بحبل صغير في الكر. وضع رجله الأولى على كرب النخلة ثم أتبعها بالثانية، تسلق خطوة.. خطوتين.. حتى وصل إلى الأعلى.. الذباب ما يزال يحوم على الخبز.. الأولاد جياع.. جياع.. المنزل يكاد يخلو من كل شيء.. الثوب المعلق داخل العريش يسقط على الأرض، ذاكرة «أبو ناصر» في هذه اللحظة تتقيأ خبر موت أبيه، ينظر إلى أسفل، يعاين المسناة، يتحرك يمينًا.. ينفك حزام الكر! ينطلق صوت المؤذن من المسجد القريب لمزرعته: الله أكبر.. الله أكبر.

يرجع القط الأسود ويرمق «أبو ناصر» بنظرة طويلة!

---

* كاتب سعودي.



نصوصٌ قصيرةٌ

■ هشام بن الشاوي*

حنين

نظرتك..

فلاح يرمي، كل صباح، بذرة أسى، ويمضي لاهيًا.. غير عابئ أو مسكون - مثلي- بترقب غيمة شوق، تمطر شجنًا في حديقة القلب دومًا..

وأحصد عواصف بكاء، زرعتها عيناك في حقول الدم.. مدجّجًا بوحدتي!

قراءة

سألني في تعالٍ مقيت: «أستاذ، ما هو آخر كتاب قرأته»؟

أجبته في سخرية:

حاليًا، أقرأ كتاب الحياة.. بتمعن شديد!

غربة

تسايرهم..

تفاجأ بأنك غير قادر على التأقلم مع القطيع؛ مواهبك الفقيرة في مواصلة هذا الموت المجاني، بكل أكاذيبه الكبيرة لا تسعفك.. تلوذ بحصن صمتك السامق، وتتفيأ ظلال شجرة أحزان سرمدية..

سأم

قهوة أخرى..

لعلها الخامسة في هذا اليوم المتلكئ.

في الأعماق مشاعر تشبه ضباعًا جائعةً تحوم حول جيفة هذا الوقت.

تزفر: «متى ينتهي عمال هذا الضجر الكسول من ترميم شرخ هذا اليوم في أعماقي»؟

ضحكة الملائكة

عشرة أيام قضيتها، بعيدا عن السماء الأولى..

رغم رفاهية منتجع «قصر السراب»، لم أكن سعيدًا، كأنما نسيت نبض القلب في تلك الغرفة، التي نادرًا ما تزورها الشمس. عندما التقت نظراتنا، تزلزل كياني.. توقفت ابنتي، ذات الشهرين، عن الرضاعة برهة، رشقتني بنظرة ضاحكة لم أستطع نسيانها..

لم أحتمل ضياء تهطل في قلبي،

وجدتني على شفير النشيج..

وخجلت من مقايضة الضحكة النورانية ببكاء طفولي!

شيخوخة الروح

على طاولة الطعام، التفت إلي ابني، الذي لم يتجاوز ربيعه الخامس، قال ضاحكا بنبرة مَن يهتف في مظاهرة: «عندك الشيب في لحيتك»!

شعيرات متفرقة تشهر وجودها، كلما تقاعست عن حلاقة هذا الشوك. نهرته أمه، ابتسمت في صمت، ثم أجبته بود: «أعرف كيف أخفيه».

وهمس صوت خفي: «وماذا عن الشيب الذي خط الروح»؟

رثاء مبكر

منذ سنوات، أتساءل، كل شتاء: «كيف يتحمّل الموتى كل هذا الصقيع الشتوي؟! هل يبدون مثل أطفال يلهون تحت المطر، غير عابئين بمشاعر الآباء؟ أم أن التراب يحتضنهم بكل حنو الأصل»؟!

طفرت من عيني دمعتان، لم أعرف إن كانتا رثاءً مبكرًا للأنا، أم شفقةً عليها من ذلك النسيان الذي ينتظرنا هناك..

---

* كاتب - المغرب.



صلاةُ النورِ

▪ هيفاء الجبري*

أتلكَ الصَّحارى إذ غدوتُ بها صُبحا   ومن ذا الذي استسقى بأقدامه جُرْحا
يكادُ مَسيلُ الرملِ من وطأةِ الخُطا   يُحَمِّلُها سرًا وقد حُمِّلَتْ بوحا
إذا عبرَ العشّاقُ لم يجِدوا سوى   دماءٍ على آثارهِمْ آلمتْ شرحا
وما سَكَنوا في العشقِ غيرَ قُلُوبهم   فتلك قلوبُ القومِ ما فتِئتْ نزحا
بكل مقامٍ ثمَّ للعشقِ مهبطٌ   يقولُ: «ارتحلْ، إن الهوى لغةٌ فُصحى
فحيثُ وجَدتَ النورَ قِف تلكَ آيةٌ   على أنكَ الإنسانُ يا أيها المُوحى»
تباركتَ من روحٍ ألَمَّ بها الهوى   فلاذتْ بربِّ الروحِ تسألهُ صفْحا
وإذْ يتباهى كلُّ عبدٍ بربِّه   بك الرّبُّ قد باهى ملائِكهُ فَرْحا
يصلي صلاةَ النورِ أنْ لاذَ عبدهُ   به جلّ من صلّى على عبدهِ مدحا
هنالكَ قال الكونُ «يا طيرُ سبِّحي»   فدوحٌ بهذي الأرضِ ماثلةٌ نُصحا
ويا بحرُ لو لم تدركِ الأرضَ آخذًا   نصيبًا لها آتتكَ حكمتها مِلحا
ويا أرضُ ما المبكى؟! وقد «وُلِدَ الهدى»؟   وكان دعاءُ الأرضِ من قبلهِ نَوحا
مُحَمِّلُها حَمْدًا ومُشهِدُها تقى   ومُلبِسُها رفقًا ومُلْحِقُها صُلحا
وإن تذبحي يا أرضُ قربانَ شاكرٍ   لهَالَكِ أن النجمَ خَرَّ لهُ ذِبْحا
وإنكِ إذ آثرتِ حملَ محمدٍ   لأنتِ من الأجرامِ أبلغُها سَطْحا
وما ضرَّ إن لمْ يَسقِ نبتَكِ هاطلٌ   فمَهْطلُهُ يسقي مرابعكِ الفيحا
أتحترقينَ الآن؟! «لا» إن رُوحَهُ   لتَبلُغَ أن النارَ تَندى لها قَدْحا
فصلّي على المختارِ حيًا وميّتًا   صلاة نعيمٍ كنتِ أولى به مَنْحا
نبيٌّ رحيمٌ جلَّ قدرًا من الورى   فأنعم به روحا وأنعم بهِ رَوحا
وربَّ نبيٍّ قال للأرضِ: «ابسطي   ثماركِ للجوعى» فقالتْ لهُ: «مرحى»
سلامًا وبردًا للحيارى كأنّهُ   إذا مسّ قلبا كفَّ آلامهُ لفحا
وقد جَاء مِلء القلبِ للقلبِ فاتحًا   فسُلِّمَ من لبّى وسَلَّمَهُ فَتحا
مدينٌ له يا بحرُ يا رملُ يا ندى   ويا سنبلًا أدّى مناسكهُ قَمحا
ويا جبلًا آويتَ فيضَ محمدٍ   وكنتَ لَتُروي نبعَ أقدامهِ سَفحا
ويا كونُ بحْ، ما بينَ طيّكِ هديُهُ   فحيثُ خَطتْ رجلاهُ كنتَ له لَوحا
وتلك هي الأكوانُ لو كان خطوها   على غير ذي هدي لآخذها المنحى
فيا خيرَ من أضحى وددتُ لو أنني   زرعتُ يدي حتى تَفيَّأها دَوحا
ويا خيرَ من أسكنتُ صدري ذِكرَهُ   فما سلَّ صدرٌ عند ذاكرهِ رُمحا
أُصلّي، وبي شوقٌ يمدُّ جذورهُ   لئلا يُرى كم عاشَ في تُربهِ كدْحا
صلاةَ مُحبٍ كان يكتمُ شوقَهُ   ولكنهُ من فرطِ كتمانهِ بُحّا

* شاعرة سعودية.



ارتحال

▪ ملاك الخالدي*

قلب ناقص

يرتحلون ويتركون قلوبنا للرماد
نفقد أجزاءً من قلوبنا كلما سقطت نجمة
ماذا يعني أن تعيش بقية عمرك بقلبٍ ناقص؟!
لقد اتسع الفقد في صدورنا..

لغة

الفقد لغة الملامح الذابلة
لغة تُفرغ الحياة من الدهشة
لم يعد الشغف ملء العين
و لم تعد الأيام ذات بريق.
لقد أفقدنا الفقد بهجة اللحظات.

هزيمة

هزائمنا أمام الحزن انتصار..
ننتصر للذكريات الشفيفة، للوجوه الغائبة.
ننتصر للإنسان الرهيف داخلنا..
فنُصابُ بالهزيمة أمام الحزن الجليل!

قلق

اللهُ يعلمُ ما أُخفيهِ من ألمي
وما بقلبي من الأحزانِ والأرقِ
لكنّ جرحي خفيٌّ لا تُلاحِظُهُ
عينٌ ولا أشتكي إلا إلى ورقي
للناسِ حولي ابتساماتٌ أُبعثِرُها
لهمْ منَ البوحِ ما يحلو، ولي قلقي

غياب العيد

العيدُ عادَ ولم يعُد أحبابي
هزموا فؤادي، أثقلوا أهدابي
ما العيدُ، ما وجهُ الصباح إذا أتى؟!
قد أصبحَ الأحبابُ بين ترابِ

---

* شاعرة وقاصة سعودية.



مَعْزُوفَةُ النَّهْرِ المَالِح..

▪ حامد أبوطلعة*

خَــلْــفَ ذَاكَ الــنَّــهْــرِ لا تُــوجَــدُ ضِـفَّــةْ
إِنَّـــمَـــا تُــوجَـــدُ مِـــثْـــلُ الـــنَّـــارِ خَـلْـفَـهْ

يـــا أَخَـــا الــــزَّوْرَقِ فـــي كَـــفِّـــكَ خُـــبْـــزٌ
أَكَـــلَ الـــزَّوْرَقُ لَـــمَّـــا جَـــاعَ نِـصْـفَـهْ

فَـــاسْـــتَـــدِرْ لِـــلـــشَّـــوْقِ فـــي رُوحِـــكَ سَـيْـفٌ
إِنَّ جَـــيْـــشَ الـــشَّـــوْقِ قَـــدْ وَحَّـــدَ صَـفَّـهْ

وَارْفَـــعِ الـــكَـــفَّ إِلَـــى الـــمَـــوْلَـــى تُـــنَـــاجِـــي
قَـــبْـــلَ أن يَـــرْفَـــعَ مِـــجْـــدَافُـــكَ كَـفَّـهْ

لا تَـــلُـــمْ هِـــجْـــرَةَ مـــا يُـــبْـــقِـــيـــكَ سِـــرًّا
طَـــالَـــمَـــا يُـــجْـــرِي عَـــلَـــيْـــكَ الله لُـطْـفَـهْ

لا تَـــخَـــفْ مِـــنْ هَـــدْأَةِ الـــلَّـــيْـــلِ سَـيَـأْتِـي
بَـــعْـــدَهُ صُـــبْـــحٌ وَيَـــمْـــحُـــو مِـــنْـــكَ خَـوْفَـهْ

فَـــإِذَا مـــا قُـــمْـــتَ ظَـــمْـــآنًـــا فَـــتَـــمْـــتِـــمْ
وَاغْـــتَـــرِفْ مِـــنْ مَـــائِـــكَ الـــمَـــالِـــحِ غُـرْفَـةْ

وَاسْـــتَـــمِـــعْ لِـــلـــنَّـــايِ فـــي قَـــلْـــبِـــكَ نَـــزْفٌ
وَعَـــلَـــى وَجْـــهِـــكَ كَـــالـــمُـــحْـــرُومِ لَـهْـفَـةْ

قُـــلْ لَـــهُ دَعْ عَـــنْـــكَ لَـــحْـــنَ الـــهَـــمْـــسِ جَـهـرًا
حَـــيْـــثُ أَنَّ الـــنَّـــايَ لا يُـــتْـــقِـــنُ عَـزْفَـهْ

وَامْـــسَـــحِ الـــلَّـــهْـــفَـــةَ مِـــنْ وَجْـــهِـــكَ وَاخْـــرُجْ
خَـــافِـــقًـــا ضِـــمَّـــدَ عِـــنْـــدَ الـــفَـــجْـــرِ نَـزْفَـهْ

وَابْـــقَ فـــي زَوْرَقِـــكَ الـــمَـــخْـــرُومِ
حَـــتَّـــى يَـــجِـــدَ الـــصُّـــبْـــحُ لِـــهَـــذَا الـــنَّـــهْـــرِ ضِـفَّـةْ

---

* شاعر سعودي.



النّضالُ نِضالي

▪ نورة آل بهيكل*

ارْشَحْ جبيني فالحياةُ عصيةٌ
لن تبلغَ الآمال دون قتالِ

وابدأ بنفسي دون أيٍّ ترددٍ
فهي التي تُرديكَ في الأوحالِ

عش عاليًا متجدِّدًا بِتفردٍ
في سبر غور الكون بالأعمالِ

فالسبرُ رُغمَ العمق من معزوفهِ
يُحيي معاني الكون بالترحالِ

غورٌ يسوق إلى التَّغيُّرِ هاتِهِ
يا نفسُ لا تقفي على الأطلالِ

فارقتُ غابات الأسود فصدتهم
واليوم قوسي فارقَتهُ نبالي

نهجي على سفح الحقيقة قائمٌ
أرسى جبال الحق في أدغالي

الماء يجري في عروق عزيمتي
لن أُثْلِجَ الأفكارَ في أكحالي

اجري على عُقدِ الزمان وفككي
ما كان معقودًا إلى الإحلالِ

ياسنةً للكون عند تكوُّنٍ
لم تُنظِري شيخا على الأشبالِ

ارشح جبيني منك غيثًا ماطرًا
وانظر إلى الآياتِ والأمثالِ



لـــكَ مـــا تـــشـــا فـــي الأمـــــر إن بـــتـــقـــدمٍ

أبـــــدعـــــتَ أو بـــتـــــأخـــرِ الأحـــــــوالِ

إن دق نـــاقـــوس اخـــتـــنـــاق الـــكـــون قـم

وانـــهـــج إلـــى الـــتـــغـــيـــر دون جـــدالِ

حـــاســـب رداء الـــنـــفـــس عـــنـــد لـبـاسـه

لا تـــــرضَ كَـــــلاً ظـــلَّ كـــالـــتـــمـــثـــالِ

لا تـــكـــثـــرنَّ مـــــن الـــتـــأفـــف وانـــتـــشِ

واشـــكـــرعـــظـــيـــم الـــمـــنِّ بـــالإفـــضـــالِ

لا تـــبـــطـــرنَّ كـــمـــن تـــبـــطّـــر ســـابـــقًـــا

ســـبـــأٌ بـــرغـــم الـــخـــيـــر فـــي الأنـــــذالِ

غـــيِّـــر ســـلـــوكَـــك لاتـــكُـــن مـــتـــأمـــلاً

أنّ الـــزمـــــانَ مُـــغـــيِّـــرٌ فـــي الـــحـــالِ

اجـــعـــل فِـــعـــالـــك كـــالـــمُـــفـــاعِـــلِ نَـــوُّهـــا

مـــعْ نـــيَّـــةِ الإصـــــلاح لا لـــمـــقـــالِ

مـــا فـــاتَ مـــن أمـــر الـــحـــيـــاةِ مـــفـــوّتٌ

فـــالـــخـــيـــر بـــيـــن يـــديـــك قـــم بِـــفـــعـــالِ

لـــو لـــم يـــكـــن فـــي الـــعـــمـــر إلا ســـاعـــةٌ

فـــاغـــرِسْ فَـــســـيـــلـــةَ غـــرســـةِ الآمـــــالِ

كـــن ســـابـــرًا لـــلـــكـــون واصـــبـــر وارتـــقِ

فـــالـــروح روحـــي والـــنـــضـــال نـــضـــالـــي

---

* شاعرة سعودية.

غَرَقْ

▪ هند النزاري*

إِلَــى مَــنْ مَـــدَدْتَ الْـحَـبْـلَ يَـا رَاجِــفَ الْـيَـدِ؟
وَفِــي أَيِّ عُـمْـقٍ تَـرْتَـجِـي طَـيْـفَـهَـا الـنَّـدِي؟

هِــيَ امْــــرَأَةٌ مِــنْ بَــعْــدِ مَـلْـيُـونَ سَـقْـطَـةٍ
تَــنَــاهَــتْ خُــطَــاهَــا لِــلـضَّـيَـاعِ الْـمُـخَـلَّـدِ

تَــهَــاوَتْ عَـمِـيـقًـا وَارْتَــمَــى فَـــوْقَ جِـرْمِـهَـا
زَمَـــانٌ شَـدِيـدُ الْـبَــأْسِ نَـــزْرُ الـــتَّـوَدُّدِ

تُـــرَى هَـــلْ سَــأَلْــتَ الأَمْــــسَ فِــي أَيِّ هُــوَّةٍ
رَمَــاهَــا أَوِ اسْــتَـعْـلَـمْـتَ عَـــنْ نِـيَّـةِ الْـغَـدِ

وَهَـــلْ سَـاقَـهَـا لِـلْـقَـاعِ عَـــزْمٌ عَـلَـى الْـبِـلَـى
أَمِ الْــحَــظُّ أَلْــقَــى حَـبْـلَـهَـا عَـــنْ تَـمَــرُّدِ

أَمْ الـــنَّـــاسُ كَـانُـوا فِـي سَـفِـيـنٍ فَـسَـاهَـمُـوا
فَـــأَوْفَـــى عَـلَـيْـهَـا وَقْـــعُ سَـهْـمٍ مُـسَـدَّدِ

وَلَـــمْ يَـحْـوِهَـا حُـوتٌ وَلَا ظِـــلُّ نَـبْـتَـةٍ
فَـطَـافَـتْ عَـلَـى الْـقِـيـعَـانِ تَـكْـبُـو وَتَـهْـتَـدِي

وَلَـمَّـا اسْـتَـقَـرَّتْ حَـيْـثُ أَلْـقَـى بِـهَـا الـــرَّدَى
تَــلاَشَــتْ وَلَـــمْ تُـفْـلِـحْ فُـنُـونُ الـتَّـجَـلُّـدِ

وَمَـــزَّقَـــهَـا بَــــرْدُ الْـمَــسَــاحَــاتِ حَـوْلَـهَـا
فَـــمَـــدَّتْ نَـوَاحِـيـهَـا رَجَـــاءَ الــــتَّـزَوُّدِ



فَمِنْ رَدَهَاتِ الصَّمْتِ تَجْتَرُّ نَبْضَهَا
وَمِنْ طَبَقَاتِ اللَّيْلِ تَنْضُو وَتَرْتَدِي

وَفِي ثَنَيَاتِ الصَّبْرِ تَخْبُو طُيُوفُهَا
وَمَا حَوْلَهَا غَيْرُ الْخُوَاءِ الْمُعَرْبِدِ

وَيُدْرَجُهَا التَّهْوِيمُ فِي مُفْرَدَاتِهِ
لِتَغْدُو مَدَارًا فِي فَضَاءٍ مُمَرَّدِ

وَجِئْتَ تُنَادِيهَا وَقَدْ غَابَ صَوْتُهَا
وَمَا مِنْ وُجُودٍ لِلْكِيَانِ الْمُجَرَّدِ

تُطَالِبُهَا بِالطَّفْوِ وَالْكَوْنُ فَوْقَهَا
وَأَنْ تَجْمَعَ الأَشْلاَءَ مِنْ أَلْفِ مَرْقَدِ

وَأَنْ تَسْتَعِيدَ الرُّوحَ مِنْ بَعْدِ هَجْعَةٍ
وَتُوقِظَ أَطْبَاقَ الزَّمَانِ الْمُمَدَّدِ

كَثِيرٌ عَلَيْهَا سَيِّدِي مَا طَلَبْتَهُ
فَبَيِّنْ لَهَا إِنْ شِئْتَ مِنْ أَيْنَ تَبْتَدِي

---

* شاعرة سعودية.

وَهجُ الشِّفاء

▪ رشيد سوسان*

هَا قَدْ وَصَلْنَا مُسْرِعِينْ

وَالْخَوْفُ قَد نَشَرَ الظِّلالَ بِوجْهِهِ،

وَبَدَا كَطِفلٍ واجِلٍ مُتَرقِّبٍ:

مَا الخَطبُ لَوْ؟..

مَاذَا إذا؟..

أَتُرَى؟.. وَهَلْ؟..

فَأَشَحْتُ بِالْبَصرِ الكَسِيرِ إلى البِنايَةِ قَائِلًا:

اُنظُرْ أخِي: فَيْضُ الْعَدالةِ قَدْ نَمَا،

وَبِهِ انْتَشَى قَصْرُ الْعَدالَةِ وَارْتَوَى.

اُنظُر أخِي: هَذِي البِنَايَةُ فَاخِرَهْ.

وَبِها الْعَدالَةُ زَاخِرَهْ...

قَصْرُ الْعَدالَةِ بَابُهُ مَوْصُودٌ،

وَبِطَرْفِهَا السِّرِّيِّ تَبْتَلِعُ الْجُمُوعْ.

قَال الطَّبِيبُ بِحِكْمَةٍ:

إنّا هُنا بَيْنَ الْجُموعِ كَقَابِسٍ مُتَنَوِّرٍ،

زَارَ الأَنَامَ عَلى ضِفافِ النَّهرِ

فِي أَرْضِ الْجَفَافْ،

وَيَبُثُّ أَنْسامَ الْحَياةِ بِكلِّ سَهْلٍ مُسْتَكِينْ.

وَيَمُدُّ أَزْهارَ النُّخاعِ بِكُلِّ شِرْيانِ الرَّبِيعْ.

قَالَ الطَّبِيبُ بِحضْرَةِ الْجَمْعِ الْحَكِيمْ:

وَقِّعْ هُنا يَا أَيُّها الرَّجُلُ الْوَدِيعْ.

وَقَّعْتُ.. وَقَّعْنَا.. عَلَى أَوْتَارِ مَا يُبْقِي

ظِلالًا مِنْ حَيَاهْ.

قَاضِي الْعَدالَةِ وَاقِفٌ، وَعَلَى مُحَيَّاهُ تُرَى

آثَارُ خَوْفٍ خَائِفٍ:

أَتُرَى سَتَكْتَمِلُ الْبُنُودْ؟

أَيَعُودُ لِلْغُصْنِ الْكَسِيرِ بَرِيقُهُ؟

أَتُذِيقُهُ زَهْرَ الْحَيَاهْ؟

قَاضِي العَدالَةِ عَادِلٌ في ثَوْبِهِ، فِي وَجْهِهِ،

فِي نُطْقِهِ، فِي سَمْعِهِ، فِي بَذْلِهِ..

قَاضِي الْعَدالَةِ وَاقِفٌ فِي عَدْلِهِ،

وَأَنا عَلى تِلْكَ الأَرِيكَةِ دُونَ عَدْلٍ جَالِسٌ.

وَيُسَلِّمُ الأَوْراقَ لِي فِي عَدْلِهَا مُتَوَدِّدًا،

وَأَنَا أُوَقِّعُ بَاسِمًا مُتَبَخْتِرًا،

هَوْنًا كَمَا يَهْوَى الأَمِيرْ.

***

هَا قَدْ خَرَجْنَا بَاسِمِينْ..

وَجَبِينُهُ الْوَضَّاءُ يَلْمَعُ رَاسِمًا:

وَهجَ الشِّفاءِ، وَيَجْتَبِي أَلَقَ الْحَيَاهْ.

---

* شاعر - المغرب.



ذاكرة محترقة

■ فريد النمر*

قلبي..
أتصطادُ السماءَ
بأبجديات السكارى.. وامتعاضات الشموس الماكرة
ما جمرنا غير احتراق شهية تحدو احتراقَ الذاكرة
أسهو فتتبع شهقتي مقل الشوارع..
تنثر الضوء المشرد باتساعٍ عابثٍ يجلو الخطاتِ الحائرة
والبئر عين حقيقة
كالذات تبحث عنْ ضياع الأمهاتِ
بلظى الجنايا الغائرة..
ورصاصةُ الحبّ التي سكنتْ فؤادَ المُولعين..
رصاصةٌ في قلب آدم غادرة
فلربّما تحتالُ في رسمِ المآذنِ من جديدِ..
تتسكعُ الجدرانُ..
تقتسمُ الفراغَ محاصرَة.
كل المساءات التي قد رتّبت أفكارَها بحدائقِ العشقِ القديم..
ما يزال يقطرها المنى
لغةٌ تؤجلُ لوحةَ المعنى..
وغيماتِ الصهيلِ الماطرة

***

لا تسأليني أين خلّفني الرمادُ..
وما تبقى من دروبي في المرايا القاصرة
الكل يشرب غربةَ الوجع اللقيط.. ويمارسُ الأحلامَ في
ألوان عزلة روحه..
كما الحكايا العابرة.
نستنجدُ الطللَ المبرقع بالضجيج..
فنغازلُ الوقتَ المجففَ بالأماني الخاسرة
يا غربةَ الأنفاس ما بين الجهاتِ توقفي..
فالريح نحوك طائرة
لا تسرقي ورقَ الحقيقة
كالرماد المستبدّ بفكرةٍ حمقاء
تغزلُ حزنها كسجينة متآمرة.
كل الحقول مشاعةٌ في هذه الصحراء..
يا رملًا تعشّقَ عصره ويد الليالي ماكرة
لا شيء يخنقنا سوى جرس الظلام
وجرح قابلة قديم يبتاع من وهج المرايا الجائرة.
تلك المعاول لوحةٌ زيتيةٌ كسرتْ على حدّ النوايا النافرة
فارسم بفرشاة الحقيقة رعشةً
تمتدّ في كل التعابير، الصباحِ، سنابلًا
وامنح هواك فهارساً
تلمّ من أشذائها بعض البقايا العاثرة

---

* شاعر سعودي.



قصيدتان

▪ منى حسن*

(١) قُربانُ

فرحٌ صغيرٌ لم يَمُتْ..

مَا زَالَ يُزهرُ في دُرُوبِ العمرِ

يَرسمُ بالبَقاءِ وَفَاءَهُ

والشَّمسُ تحْرُسُ ظلَّهُ

تَرْقِيه كُلَّ تَوهُّجٍ

تسقيهِ من أشواقنا دفئًا

يحنُّ لهُ

ووعدًا يشتهيهْ

فرحٌ صغيرٌ لم يمتْ

ما زال يرقُبُ أن نضئ سَماءَهُ

أن نهزِمَ الأحزان كيما نلتقيهْ

ما زال يأملُ أن نلملمهُ

وأن نبني لهُ بقلوبنا مأوىً

وقد أشقاهُ تيهْ

فرحٌ صغيرُ لم يمتْ

أيموتُ من نَهبُ الحُروفَ حياتَنا

قربانَ قُربىً للمُنَى

كَيْ نشتريهْ؟

(٢) مثل الأطفال

حين يُظللُ غيمُ الدمعِ رؤاي

أتمنى لو أنسى مثل الأطفالْ

لو أقفز عن قاطرةِ الحُزنِ

أفتشُ عن معناي

لو أنسى وجعًا يمضغُ قلبي

يبتزُّ دماي

لو أمحو صورة ذئبٍ

من ذاكرةِ الطفلِ المنسيِّ

بظلمةِ جبْ

لو أمسح دمعة غدرٍ

عن أجفانِ القلبْ

أرممُ قصر الآمالْ

أتمنى صدقًا لو أنسى

مثل الأطفالْ

لكنِّي عاجزةٌ من دونك يا أبتي

والليلُ الموحشُ أرهقني

ما عميت عيناك لفقدي

وقميصي مسروقٌ يا أبتي

والعوْدُ مُحالْ

---

* شاعرة - السودان.



قارئة الفنجان

▪ نادية أحمد محمد محمود*

قالت رأيتك ها هنا | تتصارعين مع النوى
والليل حولك أينما | سارت خطاك قد استوى
وصراخ قلبك يكتوى | منه الطريق كما اكتوى

***

أبعدت فنجان العذاب | وقلت تبًا للهوى
فنجان قهوتك الكذوب | عن الحقيقة قد هوى
أنا ما عرفت من الحياة | سوى المرارة والجوى
بعض الفراق معيشتي | والبعض بالقلب انطوى

***

ذاك الفراق هو الذي | من ماء عينيّ ارتوى
ذاك الفراق هو الذي | فوق الخرائب قد عوى
ذاك الفراق هو العراء | يضم قلبًا قد غوى

***

قالت رويدك وانظري | فنجان قهوتك احتوى
بعض الهناء كما أرى | خلف الدموع قد انزوى
فضحكت من زيف الرؤى | مما رآه وما روى
تبًا لفنجان رأى | نبضًا بقلبٍ قد خوى

---

* شاعرة - مصر.



أمير الحنايا

▪ جمانة سليم الطراونة*

يا مَنْ على وَقْعِ الجراح تسيرُ ... بيني وبينكَ جنّةٌ وسعيرُ

ما زلتَ مُذْ زمنٍ تُعيّرُ بالهوى ... قلبي الصغيرَ أفي الغرام صغيرُ؟

سأُقرُّ بين يديكَ أنّ تماسُكي ... كَذِبٌ وأنّ صلابتي تزويرُ

وأُقرُّ أنّي رغم كلّ فصاحتي ... طفلٌ لديكَ يخونُهُ التعبيرُ!

تتسابقُ الأزهارُ إن صفّقتُها ... شوقًا إليكَ ومن يديَّ تطيرُ

ويعمُّ أرجاءَ المكانِ إذا على ... بالي خطرتَ - وأنتَ فيهِ- عبيرُ

طاغٍ هدوؤكَ! كيف من عصبيّتي ... لم تنزعجْ أبدًا وأنتَ أميرُ؟!

والآن لا أدري وقد روّضتني ... إن كان يُسعفُ خيبتي التبريرُ!

سأخرُّ مغشيًا عليّ إذا أتى ... يومٌ بوجهي فيه سوف تثورُ

فأنا أفرُّ مِنَ القساوةِ مثلما ... خوفًا يفرُّ مِن الردى العصفورُ

أبكي لأجل حمامةٍ مذعورةٍ ... حُبستْ لأنّ جناحَها مكسورُ

أدري: مبالِغةٌ بخوفي إنّما ... ولهي الذي أخفيهِ عنكَ كثيرُ

وصغيرةٌ جدًا فلا تعتبْ على ... قلقي إذًا ما دمتُ أنتَ كبيرُ

ابْيضّتا عيناي يا قدَري وما ... حملَ القميصَ إليّ -بعدُ- بشيرُ

وانا أمامكَ طفلةٌ بضفائرٍ ... تجري وفستاني الـ تُحبُّ قصيرُ

الله ما أقساكَ كيف رميتني ... وأنا كفيفُ المُقلتينِ ضريرًا!

وأسرتني وأنا على حكم الهوى ... رهْنُ القيودِ مُكبّلٌ مأسورُ

أحرقتَ أعصابي بكلِّ برودةٍ ... مستمتعًا وكأنّهنّ بخورُ

وغلاكَ لنْ أُثنيكَ فاللهُ الّذي ... ولّاكَ أمري بالقلوبِ خبيرُ

* شاعرة – الأردن.



البحرُ في عينيكِ

▪ علي بن حَسين الصميلي*

البحر في عينيك بسمة عاشق
وشغاف عاشقة ورشفة صادي

البحر في شفتيك حلم قصيدة
يشدو بها السمار شدو الشادي

والموج في كفيك ينثر لونه
كرديمة تزهو ونغمٍ هادي

والموج في كفيك رجع صبابة
وأنا بكفك لحظة الميلادي

والشمس ترسل من أشعة لونها
شفقا على الخدين لونًا بادي

والشمس تغرب في شفاهك خلسةً
وأنا بثغرك ضوؤها الردادي

والسحب تمطر في عيونك مزنها
وعلى الجبين خريرها المتهادي

والأمنيات كأنها أرجوحة
والأغنيات مذيبةٌ لفؤادي

وأنا وأنت تضمنا أحلامنا
قلبان في قلب وفي الأكباد

تتشابك الأيدي كشهقة عاشقٍ
أو رعشةِ العُبّاد في الأوراد

والتمتمات على الشفاه كأنها
أهزوجة العشاق في الميعادي

وأنا وأنت جدائل الفل التي
رقصت لها الأرواح في الأعياد

وانا المحلق بالقوافي راسمًا
خفقات قلبي كانطلاق جيادي

---

* شاعر سعودي.



أحلامُ المومياء

▪ أحمد نمر الخطيب*

أنتظر الآن يدي
من أجلِ زبانيةٍ يأتون لنقطفَ آخر أحلام المومياءْ
أتعثّرُ بزجاجٍ خفَّ وشفَّ، رأيتُ أمامي امرأةً عذراءْ
قلتُ أجادِلُها
هل أنتِ شهدتِ غزارةَ هذا الموتِ على باب حديقتنا
أمْ أنزلتِ غشاوة عينيكِ وأنسنتِ الصحراءْ؟!

***

الشارعُ مطويٌّ في هيئةِ أغنيةٍ
يتسترُ خلفَ أنينِ رؤاها ولدٌ لم يعثر بعدُ على هيئتهِ
ظنَّ الشارعَ خلوَ يدٍ عابرةٍ
والناسُ يمرونَ، وفي نيّتهِ أنْ يلمحَ أمزجةَ الشعراءْ

***

مرّوا من بابِ المعرضِ/ كانت تتأنسنُ بالريح، وهيَ تطاردُ أعينَهم،
مرّوا، قال حفيدُ الشاعرِ للبائع: هل يلزم عقدٌ لحضور القوس على شرفتها، أم يلزمها أسورةٌ لتعيش معي
مرّوا من باب المعرض،
قال ابنُ النجارِ معي أشجارُ البلوط، فهل يلزمها ثمر الإيقاع لكي تختزلَ الشارعَ والبابَ معًا
مرّوا من باب المعرض، قال سعيدُ بن أبيهِ
أيامٌ معدوداتٌ، وتضجُّ الساحةُ بالأطفال
فقلتُ إذنْ، نتشاور، مَنْ يحكمُ قبضتهُ ويواري الناس عن الأنواءْ
مرّوا/ مكتنزينَ صلابة روح
أفقدها الحزنُ كثيرًا من دهشتها
مرّوا، إذْ لمحَ البرقَ حضوري

لكنَّ الشاعر قال هنا مرّوا غرباءْ

وترٌ لي

ولهم جائحةُ الريح

إذا نَفَقَ الحرفُ على سُررٍ من ماءْ!

كنّا نصطادُ من البريةِ ما يشبهُ ألحان البسطاءْ!

قالت: أتعودونَ كذلكَ

قلتُ: إذا بسطتْ أذرعها الرؤيا

يجمعنا الموتُ ، وتلهينا الصحراءْ!

قالت: تتفرّقُ عند ضفاف البحر دواليبُ الأزمةِ، فاجتمعوا

قلتُ: إذا صبروا نفقوا،همْ في الأزمةِ، مردوا

هل كان الشاعرُ معنيًا بمخاض الأحداثِ وقد أسدلتِ الساعةُ عقربها

أم كان يشدُّ رحال قصائدهِ نحو المعلومِ من الأحياءْ!

هل كان وفيًا لسؤالِ الحكمةِ حين ترجّلَ عن رئةِ الأشياءْ

أم كان يحاولُ تعريَةَ الريح،

تعالوا، نستفسرُ عن خلخال الزينةِ، ابنُ الصائغ

حتَّ كثيرًا معدنهُ من صدأ المعنى

والرملُ رفيقُ الماءْ!

ابن الصائغِ طفلٌ تتكوَّرُ خلف يديهِ هوامشُ بيضاءْ

هل كان الشاعرُ معنيًا بحمام الساحةِ وهوَ يلملِمُ آخرَ ما أدركَهُ الحكماءْ!

---

* شاعر - الأردن.

العُزلة

▪ أحمد اللاوندي*

في عُزلتي..
لا شيءَ أفعلُهُ؛
فَقَطْ: أسْلَمتُ نفسيَ للفراغِ،
لذكرياتِ الأمسِ، للتَّأويلِ، للسَّفَرِ الطَّويلِ، وللرُّؤى.
في عُزلتي..
لا شيءَ أفعلُهُ..
فلا جدْوَى إذًا، مِنْ طَرْحِ أسئلةٍ عليَّ لأنَّني..
لا أنْوِي تَصْدِيقَ أيِّ إجابةٍ أُخْرَى..
تُسَكِّنُ..
ما بحَلْقِي مِنْ ألَمْ.
في عُزلتي..
لا شيءَ أفعلُهُ..
سِوَى ذِكْرِ العَدَمْ
فهوَ القريبُ وليسَ مِنْ أحَدٍ يُلوِّحُ..
لا أراني، لا أرى في الأفْقِ طيرًا صاعِدًا،
أوْ عائدًا
يا أيُّها الملكوتُ قُلْ لي: مَنْ أنا؟!
أينَ العَصَافيرُ الَّتي سَكَنَتْ نوافذَنا،
وغنَّتْ في حِمَانا..
مِنْ زمنْ؟!
هَا قَدْ تَضاءلَ ضوءُ قَلْبي
أسْتَعِدُّ لِصَمتيَ الآتي،
هُنَا؛
أوْ قُلْ لِمَوْعِدِيَ المُعَدِّ..
كما يَليقُ بشاعرٍ مُتمرِّسٍ في الحُزنِ..
مُنْذُ وُصُولِه
-أنا يا اصفرارَ الوَرْدِ- رهْنُ إشارتِكْ
أرجوكَ لا تُبْطِئْ قِطَافِي واختطفني كالنُّسُورِ..
أنا اليتيمُ،
أنا ابنُ بؤسٍ
ليسَ مِنْ زادٍ لَدَيَّ، ولا عَشيرةَ، لا ضيَاعْ
يا أصدقاءُ: وُلِدْتُ بالمَنْفَى وخَلْفِي كُلُّ مَجْهُولٍ يُطَاعْ.
تُركَتْ وَرَائِي خَيْبَةٌ كُبْرَى وتاريخٌ مِنَ الفَوْضَى
وأطفالٌ صِغَارْ.
نَزَلَ السِّتَارْ
إنِّي المُطارَدُ أيْنَمَا ولَّيْتُ وَجْهِي
وِجْهَتِي الصَّحراءُ كَرْهًا
مَنْ يُدافِعُ عَنْ خَرَائبَ لازمَتْني؟!
مَنْ يَرُدُّ إلى أبي عُمرًا بأكملِهِ تَسَرَّبَ في الشَّقاءِ؟!
هِيَ القصيدةُ آيتي..
لكنَّها وئِدَتْ كأحلامِي (البسيطةِ)،
واللَّقيطةِ..
مَنْ أنا؟!
يا مَوْتُ خُذْنِي
كُنْ سَرِيعًا..
أنتَ تَعْرِفُ أنَّني ما زِلْتُ أرْعَنَ
قَدْ كُنْتُ أفعلُ كُلَّ شيءٍ في الحياةِ على عَجَلٍ!
أطْلِقْ سِهَامَكَ كُلَّها مِنْ دونَ أيِّ مُقدِّماتٍ..
ذاكَ مِنْ حُسْنِ الخِتَامْ
في عُزلتي..
لا شيءَ أفعلُهُ.. وأخشَى أنْ أنامْ!

---

* شاعر - مصر.

توربان

■ لينا فيصل المفلح*

مِنْ حَقِّهِمْ
أنْ يَعرفوا كُلَّ الحكاياتِ
التي لا تنتهي وعليكِ ألا تغضَبي..
مَثَلاً :
إذا وَضَعوكِ في رأسِ القَضايا شَوْكةً في الحَلقِ
ثُورِي واكفُري بالمَذهَبِ
وَ ضَعي المسافاتِ الطّويلةَ، واخلعي ثوبَ القَصيدةِ
عنْ شَهِيِّ حُضورِها بِبَساطةِ التّأويلِ مِن زمنٍ وقولي يا مَشاعِرُ أوِّبي
مِن حَقّهِمْ
أنْ يَكتُبوكِ و يقرؤوكِ و يلبَسوكِ ويَشرَبوكَ بِكأسِهِمْ والحُمقُ ألا تَشربي
لا تُفْلِتي مِن قبضةِ اللّيلِ الأنيقِ تَعطّري، فقصيدةٌ أخرى سَتُشعِلُ ثورةَ القلبِ النّبيْ
لمْ يَنتزِعْ مِن ثَغرِكِ التّعبيرَ عن طعمِ الشّفاهِ المُرِّ بلْ حَازَ اهتمامَكِ وانْتهى دَوْرٌ لديهِ فحاوِلي أنْ تَكتُبي
فالنّطقُ
مِن حَلْقِ الشّعورِ كما البراءةِ حينَ يَخلَعُها الصَّبيْ
أنتِ الحَقيقةُ والمَجازُ، وكلُّ مَن عَبَروا خِلالَكِ أسرَفوا .. وَتَغَيَّرَ القانونُ هلْ قَرَّرْتِ ألّا تَلعبي؟
ماذا؟ على المَعنى الجَديدِ، وَهَلْ هنالِكَ مِن رؤىً؟
لتُعيدَ ثورتَكِ المَجيدةَ طفلةً أو نكتفي بالقولِ: حرفُكِ يَنبغي ألا يكونَ مُشارِكًا في حَملةٍ تَدعو لِتَغْييرِ القَواعِدِ، لا سقوطِ نِظامِها المُستغرَبِ.
فَتَظاهُراتُ الرّافضينَ تَغَيَّرَتْ، والمَشهَدُ المَحصورُ في عُنُقِ الزّجاجةِ رافِضٌ أنْ تَذهَبي
مَحمولَةٌ هذي الضّفائرُ فوقَ أكتافِ الذينَ سَيرفُضونَ تَمَرُّدَ العينينِ في وَجهِ غَبيْ

---

* شاعرة - سوريا.



أين الجيد..؟

■ إبراهيم بن يحيى جعفري*

إن قلت يا شمس غار النجم والقمر ... أو قلت يا بدر هذي الشمس تستعرُ

إذن فأنت صباحٌ يرتدي قمرًا ... عقدٌ على الجيد.. أم جيدٌ به القمرُ

تنفس الحسن من عينيك مبتهجًا ... وغرد الفجر لحنًا صاغه البصر

يا ضحكة العين كم أذكيت قافيتي ... فهل بغيرك يحلو الشعر والسهرُ

غفوتُ والعقدُ في كفي أسامرهُ ... يا غفلة العين أين الليل والسمرُ

سحابة الوصل تسقي الأرض واهبةً ... لها الحياةَ ولكن يغضب الحجرُ

ذكرى الليالي تسلي الروح مانحةً ... لها الأمان ولكن يشتكي النظرُ

يا رقة الشوق كُفّي عن معاتبتي ... بذرت وصلك لكن خانني المطرُ

لمّا بذرتُ قوافي الشوقِ عاهدني ... أين العهود؟ وهذا الفعل والخبر!

نسير في لجج الآلامِ نجهلها ... في كل خطوة شوقٍ يلمع الخطر

ما كنت أشعر بالأيام من زمنٍ ... واليوم تتلفني الأيام والصورُ

إن الزمان بدا في وجهها فرحًا ... واليوم وجه زماني كلّه حذر

فالشمس تشرق لكن دون بسمتها ... حتى ظننت بأن الشمس تعتذرُ!

والبدر يبدو حزينًا واجمًا خجلًا ... وحُق للبدر لا صوتٌ ولا أثرُ

والبحر أرسل أمواجًا تعاتبها ... يا رقة الشوق إن الموج ينكسرُ

غفوتُ والعقدُ في كفي أسامرهُ ... بكى المساء فلا ليلٌ ولا سمر

أفقتُ والعقد يبكي فقد صاحبه ... وعدتُ أسأل أين الجيد يا قمرُ

---

* شاعر سعودي.



الشاعرة الأمريكية لويز غلوك:
«الكتابةُ نفقٌ لا مهربَ منه»



بالنظر إلى حصولك على جائزة نوبل للآداب لعام ٢٠٢٠م، وبما أنك كنت تحلمين «بالحياة بعد موتك» هل تنظرين إلى جائزة نوبل كضامن خلود؟

أقر إنها كانت مفاجأة كبرى! كيف للمرء أن يتخيل أنها ستتوج امرأة بيضاء، وأمريكية، وفوق ذلك شاعرة لا يتعلق عملها بالسياسة إطلاقا؟ كانت بلادنا تبدو جاحدة للغاية منذ سنوات حكم ترامب، لدرجة بدا ذلك بعيد الاحتمال. إنه شرف عظيم بالنسبة لي، لكنني لم أشعر بأي فرح؛ لأنّ في ذلك تعقيد لحياتي. وبما أنني منعزلة، فأنا لا أحب لعب دور شخصية عامة. ومع ذلك، فهذا الاعتراف الهائل يعني أن عملي سيتم صونه لفترة من الوقت.

■ حوار كيرين القايم
ترجمة عبدالرحيم نور الدين

- **إذا كنا «نحن الفنانون مجرد أطفال في أثناء ألعابنا»، فكيف شكلتك الطفولة؟**

■ أيتها السماء! كل رواة كتبي هم قطعة مني. الطفولة مهمة جدًا لدرجة أنها مؤسسة بالنسبة لمعظم الكتاب. عملي راسخ فيها، لكن يصعب عليّ التحدث عنها، لأن جميع شهود تلك الفترة ماتوا. ليس من السهل استجواب الطفل الكامن بداخلي.. كل ما أعرفه هو أنني كنت طفلة جميلة أرادت التحكم في حياتها. كما كنت قلقة واستبدادية، الشيء الذي جعلني غير مرتاحة لحالي. وفي مرحلة المراهقة، شعرت بأنني مختلفة تمامًا عن الآخرين. وبعد تعلمي للقراءة والكتابة في وقت مبكر جدًا، حلمت بأن أصبح كاتبة.

- **بأي معنى توجد الأسرة في قلب منجزك؟**

يتعلق كل حديث عن الطفولة بالأسرة. تعد بعض العلاقات (مثل صورة الأم) حاسمة لأنها تعكس حياتنا كبالغين. كان خط القرابة من جهة الأم، يضم إضافة إلى أم -متطلِّبة جدا- جدة محبة، وست بنات خؤولة. ولدت سنة ١٩٤٣م، ونشأت في عائلة يهودية من الطبقة المتوسطة. لقد تأثرت كثيرا بقراءة آن فرانك، لكنني لم أكن على علم بالهولوكوست، إذ كان والداي يعيشان في أمريكا. لم يكن لليهودية حضور يذكر. قيل لي إن قصائدي مستوحاة من الكتاب المقدس، لكني أفضل القول إنها مأهولة بكائنات سماوية تغذيها الأساطير اليونانية.

- **كتبتِ: «في نهاية ألمي كان هناك باب». أي باب انفتح فيك بعد تناولك القلم للكتابة؟**

■ لم ينفتح أي باب، الكتابة شبيهة بالألم، وبنفق لا أحد يهرب منه. رغم أن الكتابة ضرورية لحياتي، إلا إنها تعذبني عندما لا أكتب. ومع ذلك فإنها تتعالى على وجودي. ساعدتني القراءة في إيجاد طريقي، والشعر هو امتداد له. بدا عالمي الأدبي منعشًا أكثر من الحياة الحقيقية. لقد شعرت بالغربة لفترة طويلة. كشف لي معسكر موسيقي، عندما كنت مراهقة، أن هناك أشخاصًا مثلي، أي فنانين لديهم شغف أو موهبة. وفجأة، شهدت حياتي الحميمة ازدهار مجال من الممكنات.

- **يبدو الصمت حاضرًا في كل صفحات كتبك، هل تكتبين ضده؟**

لن أقول ذلك، رغم أنه يشغل حيزًا كبيرًا في قصائدي التي لا تحتاج إلى شرح، إنها تكفي ذاتها. عندما تكون اللغة حاضرة بداخلي، أنتظر انبثاق جملة ما. في معظم الأحيان، لا أكتب.. يا له من قلق! تمثل قصائدي انتقامًا لما تضمنته حياتي من خسائر، وسوء حظ، وظروف مؤلمة وظلم. وبهذا الشكل يقدم لي سحر الكتابة نوعًا من الفداء.

- **هل يوجد في قلب الطبيعة التي تغذي «عالم خيالك»؟**

■ لا يجسد الشعر حديقة ما. ومع ذلك، فإن العالم الطبيعي هو مصدر مهم للحياة والبقاء والتجديد. أرى أن هذا التجدد ملهم. ليس الشتاء سوى دمار، لكن عندما يحل الربيع، نشعر بالانبهار. يمنح هذا الرجوع إلى الحياة الأمل للبشر، لأن ذلك يعني أننا أيضًا نستطيع تجديد أنفسنا. وهل هناك شيء آخر جدير بالاستكشاف غير الحياة والموت؟ ضمن هذا اللغز الشاسع، يمثل كل كتاب من كتبي كونًا في حد ذاته. لدي مصدر مغذي آخر هو التدريس. أحب كثيرًا هذه الوظيفة لأنها تتيح لي التقاسم مع شبان موهوبين. أليس من الرائع أن تتعلم منهم أشياء كثيرة؟

L'HISTOIRE de la semaine

Des dons pour Proust et pour Saint-Samson

EN MARGE Littéraire

EXCLUSIF
Seizième femme récompensée par le prix Nobel, la poétesse américaine, inconnue en France, se confie à l'occasion de la traduction de deux de ses recueils.

Louise Glück: « L'écriture est un tunnel dont on ne s'évade pas »

• هل تُبقين على حريتك بفضل الكتابة؟

■ لا يوجد شخص حر، وبخاصة في هذه الأوقات المميزة بكوفيد. ومع ذلك، أود أن أكون كذلك.. عندما أكتب، أشعر كأنني مستكشفة لأماكن لم أزرها من قبل! يمنحني ذلك وهّم السعادة، وعندما لا أكتب فأنا أتألم! الكتابة مهرب من الحياة؛ إنها تجعلنا في مواجهة مع حدود أنفسنا، لكنها تبقى في النهاية أمرًا بالغ الأهمية بالنسبة لي.

• هل كوفيد شبيه بـ "شيء يأتي إلى العالم، دون أن يكون مدعوًا، ويحدث الفوضى"؟

■ أنت ترى "راهنية" في هذه القصيدة القديمة، لكن ما يتكرر هو ظاهرة الاضطراب والانقطاع هذه. إنها تظهر في وجودنا الجماعي والفردي. يمثل كوفيد تجربة أحدثت لي دَوارًا في حياتي! من قبل، كنت استطيع الإحساس بتغيير هذه الأخيرة لي، لكن العالم المحيط كان يظل ثابتا. لذلك كان في إمكاني أن أعود إليه، بينما هو هنا قد اختفى وصرت أفتقده بشدة. في عصر الوباء المربك الحالي، تمكنت مع ذلك من إكمال ديوان جديد. إنها معجزة!

• إذا كان يجب على «البشر أن يتعلموا حب الصمت والدياجير»، فكيف لك أن تعثري على النور؟

■ هذه الجملة كتبت قبل ثلاثين عامًا (تضحك). في هذه القصيدة، أتفحص العديد من الكائنات السماوية. كائن يقدر الظلام، بينما الكائن الآخر يفضل الضوء والمتعة. أحب الاحتفال بالناس أو بالطبيعة. من الواضح أنني لا أرغب في الموت. مثل جميع الكُتاب، لدي استيهام ترك بصمة بعد مماتي. آمل أن يساعد نوبل والترجمات في ذلك، لكن ربما أن الفيروسات هي التي ستبقى بعد فنائنا. يستحيل اختيار كلمة تحدد هويتي، لكني أحب كثيرا اسمي، Glück، الذي يعني السعادة.

---

* المصدر: لوفيغارو ١١ مارس ٢٠٢١م.

تيسير أبو عودة

فيروس كوفيد -١٩ يشبه فتح صندوق باندورا الذي ترجم كل أنواع الشرور في هذا العالم



يقول د. تيسير أبو عودة، الباحث والمترجم الأردني، وأستاذ النقد والأدب الإنجليزي في حديثه مع (الجوبة) عما يشهده العالم من تحوّل جذري بفعل فيروس كورونا والعزلة التي فرضها على الناس: "لا أميل بطبيعتي الفلسفية للانجرار وراء طوفان الكتابة المرهونة بتراجيديا الراهن الزمكاني، أو الركض وراء جاذبية السرد بوصفها مرآة الواقع، أو صورة نرجس قبل الكارثة وبعدها. ربما يكون الوقت مبكرًا للانقضاض على سؤال ما بعد كورونا؛ لأنني ما أزال مشدوهًا بتفاصيل الكارثة وسحرها الميتافيزيفي - حسب وصف ديريدا، وإيقاعها وتناقضات الواقع المتخيل، أو المتخيل الواقعي بين غرائبية مدينة أوهان ومركزية مدينة نيويورك؛ ففيروس كوفيد-١٩ يشبه فتح صندوق باندورا الذي ترجم كل أنواع الشرور في هذا العالم، فخرجت منه صيرورة الفقر والجوع، والسلطة، والعنصرية، والإسلاموفوبيا، والغريزة المدمرة في صورة الرأسمالية والليبرالية الجديدة، وبقيت في الصندوق غريزة الأمل، التي نلوذ بها في المأساة والملهاة وفي النص والممكن"!

■ حاوره: محمد نجيم

وأضاف د. تيسير أبو عودة قائلا:

ربما يكون ديلوز مُحقًا في زعمه أن الكاتب رديف وجودي للفيسلوف في محاولاته المتكررة لنحت المفاهيم وإعادة تأثيث معجم الواقعك؛ لكن الكتابة تقيم في التاريخ، وتسكن ضمير العالم الواقعي والمتخيل، وتقدم النص لمحاكمة أخلاقية وجمالية أمام مقصلة المحو والنسيان. وهنا تكمن معضلتي مع قلق الكتابة قبل الكوروناوبعدها: كيف للجمالي أن يطل على المذبحة دون التدخل في وظيفة المؤرخ؟

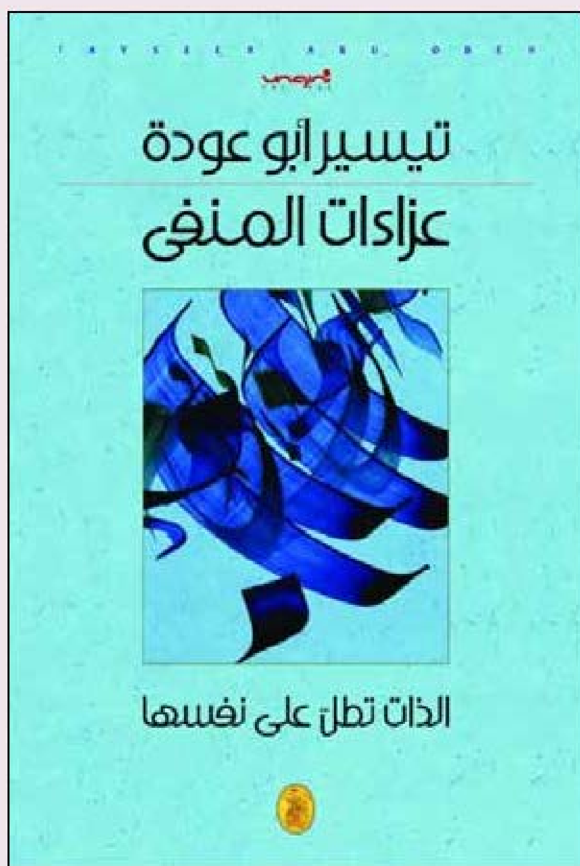
وكيف للشخصي أن ينأى بنفسه عن وحل الجمعي؟

- وهل كان أي أم فورستر محقًا في زعمه عندما قال: «لا تثق بالراوي.. ثق بالنص»؟ ربما تكون الإجابة عن هذه الأسئلة اختبارًا أخلاقيًا وسرديًا لكل مَن يحاول الكتابة قبل كوفيد-١٩ وبعدها، لأن العزلة القسرية التي فرضتها الحكومات لمقاومة انتشار الفيروس، هي تجربة درامية تشبه الدخول في جحيم سوريالي لفلم من أفلام هيتشكوك.

في كل مرة أحاول فيها كتابة نص جديد أسقط في مونولوج مسرحي مع ذاتي الكاتبة، وأغيب رغم أنفي في هيستيريا الكتابة المؤجلة: أحدق طويلًا، وألوذ بصمتي، ألوذ بجهلي، ألوذ بهشاشتي القديمة، وأميل لفكرة التأمل في حاضري. أحدق في مستقبلي وأكتفي بوصايا الطبيعة العميقة ومسؤوليتي الأخلاقية تجاه الشجيرات الصديقات خلف شباك بيتنا. ما أحوجنا للصمت طويلا، والتأمل كثيرا؛ فالنص الذي يحمله فيروس كورونا نص مبهم ويستغلق على الفهم المتسرع. وأنا أنصت واجمًا في شاشة التلفاز، والمذيع يصدح بخبر موت آلاف الإيطاليين والإسبانيين يوميًا، والأرقام تصعد بصورة هستيرية يومًا تلو الآخر في الولايات المتحدة وبريطانيا وإيران والعالم العربي، أسترجع مشهد حفّار القبور في مسرحية هاملت، وأتذكر مشهد الموت على لسان حفار القبور:

«جثث مهربة من فجر بعيد، جثث

النص الذي يحمله فيروس كورونا نص مبهم ويستغلق على الفهم المتسرع



تغسل التراب والمعاني تتدحرج بينها..
فتحت عيوني على هذه الحشود فلم
أنم منذ زمن بعيد».

ويتابع د. تيسير أبو عودة قائلا
لـ(الجوبة):

ربما تكون نظرية أثر الفراشة أو
الفوضى للفيزيائي إدوارد لورينز
مختبرًا معرفيًا لخوارزميات الوباء
منذ البداية؛ فخروج الفيروس من
الصين (رغم عدم دقة الخبر) في
صورته الساذجة والبدهية، تحوّل إلى
حدث عالميّ زلزل الكرة الأرضية،
وفرض على معظم دول العالم شرقًا
وغربًا نظامًا عالميًا حتميًا جديدًا؛ في
الاقتصاد والسياسة والحياة اليومية
والافتراضية أيضا. ولعل محمود
درويش أدرك عمق هذه التحولات بين
نقطة الصفر ونقطة اللامنتهى فيما
يحدث داخل الزمن من فوضى لا نرى
سوى آثارها المحسوسة، لكننا لا نعي
كنه حقيقتها:

أثر الفراشة لا يُرى، أثر الفراشة لا يزولُ، هو جاذبيّةُ غامض يستدرج المعنى ويرحلُ حين يتّضحُ السبيلُ.

لا شك أننا محاصرون بعقدة التأويل
منذ بداية الحدث؛ لأننا في واقع الأمر
مصابون بمرض المعنى، ونسعى دومًا
للوصول لمعبد الصورة وليس الحقيقة.
نحاول ما استطعنا إليه سبيلا تحويل
هذا الألم الغامض لنصوص سردية
على طريقة أبي العلاء المعري، لأن
البصيرة جلاء المعنى الذي يجر
اليقين بِرَسَن الشك. لكن سؤال الكتابة
يتكيء على عكاز الثنائيات وما وراء
الثنائيات التي تغربل الحاضر المبهم
وتتنبأ بالمستقبل الممكن والمستحيل.

الشاعر أحمد القيسي

الشعر العربي تعرّض في تاريخه لتغيرات جعلت المسافة بين القصيدة الحديثة والجاهلية والعباسية بعيدة جدًا!



يعشق التجريب، يسعى لأن يكون لنصه حضور متميز في الساحة الشعرية. الشاعر أحمد يحيى القيسي، من مواليد جازان ١٩٨٢م، أهدى المكتبة الشعرية أربع مجموعات. منذ مجموعته الأولى «أرتب فوضى سكوني»، وهو يلزم القارئ بأن يتوقع المفاجأة..! وهو من الأسماء الشابة التي تضيء سماء قصيدة النثر التي تليق بعشقه ومغامراته.. وإجابته عن سؤالي أن قصيدة النثر ترتبط بالذائقة الأجنبية والتراث الأجنبي، وليست نابعة من التراث العربي. قال: «.. الشعر العربي تعرض على امتداد تاريخه لتغيرات وتطورات جعلت المسافة بين القصيدة الحديثة والقصيدة الجاهلية أو العباسية بعيدة جدًا. فالتطور والتغير سُنّة كونية ليست في الشعر وحده، والمتتبع لمسيرة الشعر العربي يلحظ التغيرات الطارئة على ملامح القصيدة في كل عصر، وكان أغلب المتلقين راضين تمامًا بتلك التغيرات التي تلائم سمات حياتهم، وينطبق حديثي هذا على قصيدة النثر التي ارتدت ثوبًا عربيًا، وشاركت الأجناس الأخرى في التعبير عن حياة العربي وهمومه اليومية بطريقتها..»، شاعرنا قال الكثير والمدهش في هذا الحوار..

■ حاوره: عمر بوقاسم*

التنقل من بيئة شعرية لأخرى..!

- «أرتب فوضى سكوني» دار طوى للثقافة والنشر ٢٠١١م، « لست هنا.. هل رآني أحد؟» دار أروقة للترجمة والنشر- القاهرة ٢٠١٧م، «تسريب» دار ميلاد ٢٠٢٠م، «هل تتساءل عن الطرقات: نصوص العزلة ٢٠٢٠م، هذه الإصدارات للشاعر أحمد

القيسي التي صافح بها الساحة الشعرية حتى الآن، وهي توثّق مشوار شاعرنا، الذي يعتمد على خلق الصورة الشعرية من تجربته المعاشة والخاصة والتجريب والمغامرة. القيسي ماذا يقول في اتجاه تجربته الشعرية؟

■ يُحمَدُ لتجربتي في الكتابة أنها لا تؤمن بالثبات والاستقرار على حالٍ واحدة، فكان من البديهي أن تكون بداياتي تقليدية، تطرق أول الأنواع الشعرية ظهورًا وأقدمها، وهي القصيدة الشطرية إلى جانب قصيدة التفعيلة، ثم تتجه بعد ذلك إلى أقرب الأشكال الإبداعية إلى قلبي وذائقتي والمتمثلة في «قصيدة النثر»، فقد وجدتُ قلمي رهين هذا التيار لسنوات، خرجتُ منها بأربعة إصدارات هي التي ذكرتَها في المقدمة، علمًا بأنني لم أهجر الأشكال السابقة، أما هذه الأيام فقد نحوت إلى أحدث التجارب التي بدأت تثبت حضورها في الأدب العربي وهي قصيدة الهايكو، إلى جانب كتابة الومضات الشعرية والشذرات. وأرى أن هذا التنقل من بيئة شعرية لأخرى يثري التجربة ويؤثر إيجابًا على أسلوب الشاعر؛ ما يجعله متجددًا لا يكرر ذاته.

التنوّع التضاريسي والبيئي للمنطقة أشبه ما يكون بقصيدة، كما أن العمق التاريخي لجازان منح الشعر فرصة الحضور ليكون موثقًا لكل المراحل والحوادث..!

الشعر العربي تعرض على امتداد تاريخه لتغيرات وتطورات جعلت المسافة بين القصيدة الحديثة والقصيدة الجاهلية أو العباسية بعيدة جدًا..!

الأنواع الأدبية بصفة عامة عابرة للثقافات والحدود..!

● **«قصيدة النثر ترتبط بالذائقة الأجنبية والتراث الأجنبي، وليست نابعة من التراث العربي»، هذه العبارة تحمل تصور بعضهم. ماذا تقول، وأنت تنتمي لشعراء قصيدة النثر؟**

■ من المؤسف أن تظل هذه النظرة مسيطرة على تفكير بعض المتلقين لهذه القصيدة، لتقف حائلًا بينهم وبين اكتشاف جمالياتها وسحرها، فلو تأملنا الأمر من زاوية أبعد، لرأينا أن الأجناس والأنواع الأدبية بصفة عامة عابرة للثقافات والحدود؛ فالقصة القصيرة والرواية فنون غربية دون شك، إذ انتقلت إلينا بهيئتها التي ألفناها من آداب أخرى، وأصبحت منافسة للفنون العربية، إن لم تحتل الصدارة. كما أن الشعر العربي تعرض على امتداد تاريخه لتغيرات وتطورات جعلت المسافة بين القصيدة الحديثة والقصيدة الجاهلية أو العباسية بعيدة جدًا. فالتطور والتغير سُنّة كونية ليست في الشعر وحده، والمتتبع لمسيرة الشعر العربي يلحظ التغيرات الطارئة على ملامح القصيدة في كل عصر، وكان أغلب المتلقين راضين تمامًا بتلك التغيرات التي تلائم سمات حياتهم، وينطبق حديثي هذا على قصيدة النثر التي ارتدت ثوبًا عربيًا وشاركت الأجناس الأخرى في التعبير عن حياة العربي وهمومه اليومية بطريقتها.

وجد الشعر مكانة عزيزة في هذه البيئة..!

- **معروف عن أبناء جازان عامة، عشقهم لمدينتهم وطبيعتها، هل أسهمت مدينة جازان في دفعك نحو الشعر؟**

■ بالتأكيد، فالتنوع التضاريسي والبيئي للمنطقة أشبه ما يكون بقصيدة، كما أن العمق التاريخي لجازان منح الشعر فرصة الحضور ليكون موثّقًا لكل المراحل والحوادث، أضف إلى ذلك التباين الثقافي بين الأقاليم (الجبلية والسهلية والساحلية) رغم تقاربها، والذي يلمسُ فيه المتأمل أبعادًا جمالية، ويبصر لوحة بديعة لا تملّ العين رؤيتها، فكل تلك.. مؤثرات تدفع المرء لكتابة الشعر، أو قراءته على أقل تقدير؛ لذا، لا غرابة إن وجد الشعر مكانة عزيزة في هذه البيئة.

تقفز به إعلاميًا..!

- **وأنا أقرأ سيرتك الذاتية هناك ما يشير، لحصدك جائزة شاعر شباب سوق عكاظ عام ٢٠٠٩م، ما أثر حصدك لهذه الجائزة على المستوى الشخصي والشعري؟**

■ بعيدًا عن القيمة المادية التي يحصدها الأديب، يمكنني أن أحدثك عن أثرين يبرزان جدوى الجوائز الأدبية بصفة عامة. الأول، يتجلى في تقديم الشاعر والتعريف به في الأوساط الثقافية، فهي تقفز به إعلاميًا إلى نقطة لا يمكن الوصول إليها في الحالات العادية إلا بعد أعوام من الجهد ومحاولة الظهور؛ أما الثاني، فهي تضعه في تحدٍّ جديد مع إبداعه، يجعله رافضًا لكل نص يخرج دون المستوى الذي ظهر به.

٢٠٣٠ يقود سفينتها صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان، فليس مستغربًا أن نلمس من ولاة الأمر هذه العناية بالثقافة والمثقفين..

تابعت العديد من الفعاليات في تلك المرحلة وما زلت حتى هذه الأيام أحرص على حضورها، وأرى أنها نجحت وخالفت توقعات من تنبأ بفشلها..!

نظرة ثاقبة من القيادة..

- **اهتمام كبير من القيادة بجميع القطاعات الثقافية، وبرعاية مباشرة من سمو الأمير محمد بن سلمان، ووزير الثقافة،سمو الأمير بدر بن عبدالله آل سعود، كما نلمس هذا من خلال الأنشطة والفعاليات والتواصل المباشر مع المثقفين والمبدعين وحثهم على التجديد والتميز؛ كيف تقرأ هذا التوجه وهذا البناء؟**

■ نظرة ثاقبة من القيادة في اهتمامها بقطاع الثقافة، فالبلدان والأمم إنما تتقدم بأفكار مثقفيها، وقيادتنا تدرك بحنكتها مدى أهمية هذه القطاعات في تحقيق الرؤية الطموحة للمملكة ٢٠٣٠ التي يقود سفينتها صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان، حفظه الله، كما تدرك الدور الحقيقي للمثقف في إنجاز هذه الرؤية، فليس مستغربًا أن نلمس من ولاة الأمر هذه العناية بالثقافة والمثقفين.

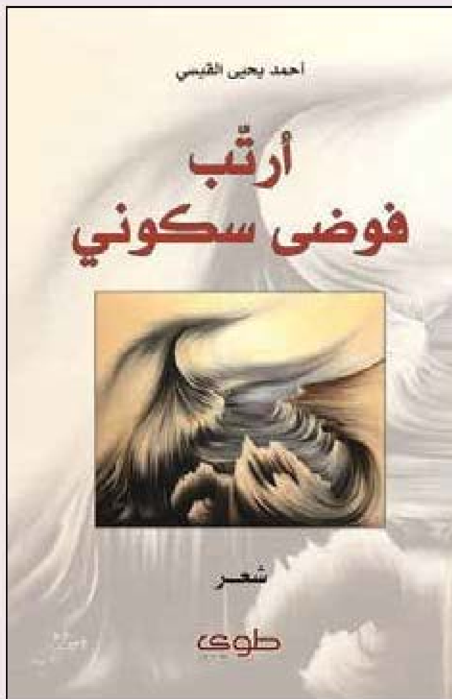
يغفل عنها من هم خارج أسوار الجامعة..!

- **وأنت حاصل على درجة الماجستير في الأدب والنقد، وتُحضر لنيل درجة الدكتوراه، هذا التوجه الثقافي الأكاديمي، ألن يترك أثرًا على الشاعر أحمد القيسي على المستوى الإبداعي؟**

- يحسب للدراسة الأكاديمية في مجالات الأدب والنقد أنها تنظم طريقة التلقي للإبداع، وتعرف الدارس بنظريات الأدب وقضاياه، ومدارسه ومناهجه، كما تسلط له الأضواء على تجارب يغفل عنها من هم خارج أسوار الجامعة، وتلقي له الضوء على خفايا داخل هذه العوالم كان يجهلها في السابق؛ فهي تثري رصيده الثقافي والمعرفي في مجالي الأدب والنقد. أما على مستوى الإبداع فلا أظن أن للدراسة الأكاديمية أثرًا يُذكر فيما يكتبه الأديب، فثمة فرق بين المعرفة بالأدب وتاريخه ونقده وبين العملية الإبداعية، ليس هذا رأيي أنا فحسب، بل بشهادة كثير من الأدباء الأكاديميين.

الفعاليات الافتراضية..

- **هناك قبول من نقاد وشعراء ومن مثقفين وأيضا من الجمهور للفعاليات الافتراضية التي نظمتها الأندية الأدبية وبعض المنصات الإلكترونية، وأنت أحد الشعراء الذين خاضوا هذه التجربة الافتراضية، خلال فترة الحجر المنزلي، وفي رصيدك عدد من المشاركات في أمسيات شعرية في متوارك الإبداعي على المستوى المحلي والخليجي، ما تقييمك لهذه التجربة الافتراضية؟**



- كان لفكرة (الفعاليات الافتراضية) دور ملحوظ في مواجهة الفراغ في فترة العزل الوقائي من جائحة كورونا، أبرزت لنا قدرة القطاعات الثقافية على الاستغلال الأمثل للتقنية، وقد تابعت العديد من الفعاليات في تلك المرحلة وما أزال حتى هذه الأيام أحرص على حضورها، وأرى أنها نجحت وخالفت توقعات من تنبأ بفشلها، أضف إلى ذلك أنها فتحت أفقًا جديدًا لإقامة الملتقيات يوفر الجهد على المنظمين، ويفتح نافذة للمهتمين من كل مكان لحضور هذه الفعاليات من منازلهم دون جهد، وربما لاحظتَ أن الإقبال عليها من الجمهور كان أكبر بكثير من المتوقع، ولا أخفيك إعجابي بهذا النمط من التنظيم، ولي تجربة مشاركة في إحدى أمسيات نادي عبقر الافتراضية، فاق عدد

المحاضرين فيها توقعاتي، وأتاح للأصدقاء من مناطق عديدة داخل المملكة وخارجها فرصة المتابعة. وآمل من المؤسسات الثقافية وغير الثقافية أن تواصل مسيرتها في إقامة اللقاءات والدورات والندوات بهذا النمط التقني.

مصطلح «العزلة»..!

- **برأيك، ما الأثر الذي قد تتركه جائحة كورونا على الخطاب الإبداعي؟**

■ يكفي أنها أضافت إلى قواميس الأدباء مصطلح (العزلة) وكل الأفكار المتعلقة به، ووجهت موضوعات النصوص بأجناسها المختلفة إلى هذا الحقل الإبداعي، فطرَقَ معظم المبدعين أساليبَ تعبيرية كانوا أبعد ما يكونون عن الخوض فيها، وتعرّف كثير من المهتمين بالإبداع الأدبي على اتجاه جديد قديم في الوقت نفسه،





الشاعر محمد خضر

وهو ما اصطُلح على تسميته بأدب العزلة، ولا أظن أن الخطاب الذي اغتسل وتبلل داخل هذا الحقل مدة من الزمن سيجف سريعًا، بل سيبقى أثره لسنوات قادمة. وأود التنويه إلى أن لي تجربة خاصة بتلك المرحلة، فقد وثقت النصوص التي كتبتها أيام الحجر المنزلي وضممتها في كتاب، أصدرته بعد ذلك تحت مسمى «هل تتساءل عنا الطرقات؟»، وهو متاح للتحميل مجانًا لمن أراد قراءته إلكترونيًا.

تجربتي تحت أضواء الدارسين..!

- **كيف ترى قراءة النقاد لتجربتك؟**

■ في البداية، أود أن أعرج إلى أمر مهم، وهو أنني لم أسعَ في يوم من الأيام لعرض نصوصي وكتبي على ناقد من أجل النقد، وإن كنتُ كغيري من الأدباء أطمح لأن تكون تجربتي تحت أضواء الدارسين. حظي كتابي الأول (أرتب فوضى سكوني) بدراسة علمية من قبل د. محمد مصطفى



حسانين، وكذلك مقالتين نقديتين من الشاعرين محمد الفوز ومحمد خضر، وقد كانت جميعها مشجعة لي، وبخاصة أنها كانت تجربتي الأولى في الكتابة. وبذات القدر من التشجيع حَظِيَ كتابي الثاني (لست هنا.. هل رآني أحد؟) بمقالة نقدية من الدكتورة الأديبة/ زكية العتيبي، أما بقية الكتب فلم تقع بعد تحت مشرط النقد، إذ لم يمض على صدورها إلا عدة أشهر، ولعلها تجد في المستقبل من يلقي عليها الضوء.

المبدع يلتقط الفكرة..!

- **بعض الشعراء والمبدعين يلتزمون بطقوس معينة أثناء الكتابة، القيسي كيف ومتى يكتب؟**

- في الحقيقة، أنا لا أتقيد بطقوس بعينها أثناء الكتابة، فالإبداع موهبة وملكة قبل كل شيء، والكتابة إلهام؛ فالمبدع يلتقط الفكرة، ولا يقر له قرار حتى يخرجها بالصورة التي تليق به وبها.

ربما يفضل المبدع ما يساعده على التركيز أثناء الكتابة، كحرصي على الجلوس في مكان هادئ بعيدًا عن الصخب وكل ما يشتت التركيز، وكذلك الاستماع للمقطوعات الموسيقية العالمية، دون أن يكون ذلك التزامًا.

ولا أنفي بما قلته فكرة الطقوس، فكثير من الأدباء تحدثوا عن طقوس تخصهم، ولا يجدون أنفسهم بدونها..

يود اقتناء كتبي ولا يجدها..!

- **دائمًا هناك شكوى من الشعراء بخصوص النشر والتوزيع..! هل واجهتَ مثل هذه المشكلة؟**

- للأسف هذه هي الحقيقة المرة، توجهتُ لدور النشر الخارجية فلم أجد كتبي حاضرة على رفوف مكتباتنا المحلية، وكُنتُ أواجه حرجًا ممن يود اقتناء كتبي ولا يجدها، فالناشر الخارجي يهيئ لك الفرصة للطباعة، وربما ينشر كتابك في كل مكان إلا هنا. والناشر المحلي يُعجزك بشروطه ومتطلباته، وكان يمكن للمؤسسات الثقافية أن تحمل هذا العبء عن الأديب خاصة أنها تلقى دعمًا نظير ذلك من قبل وزارة الثقافة، لكن معظمها للأسف لم يقم بالمسؤولية كما يجب.

متابعًا للكتب التي توثق الحركة الأدبية..!

- **غالبًا أسأل هذا السؤال فهو يضيء للقارئ الخصوصية الثقافية لدى ضيف «الجوبة».. هل لنا أن نتعرف على**

محتويات مكتبتك؟

- لا أخفيك في البداية أنني قارئ نهم، فلا عجب إن وجدت مكتبتي ممتلئة بالكتب المتنوعة، فقد حرصت منذ البداية على ابتياع كتب تاريخ الشعر؛ لأنها تمدُّ القارئ بصور متعددة عن المجتمعات التي عاش فيها الأدباء على مرّ العصور، والمكانة التي يحظى بها الأديب في مجتمعه، وأبرز القضايا الأدبية والحوادث السياسية التي يكون للأديب موقف فيها؛ لذلك، أعود إلى هذا الرف بين حين وآخر، كما لا تفوتني قراءة كتب الأخبار الأدبية بين وقت وآخر لما تحمله من طرافة ومتعة في الوقت نفسه. وفي مجال الشعر العربي، كنت وما أزال توّاقًا لاقتناء دواوين الشعراء بمختلف عصورهم، وأكثر ما استوقفني في الشعر القديم دواوين الشعراء العباسيين، أو القصائد المدونة في بطون كتب الأخبار أو كتب المصادر؛ وكانت لي وقفة في البحث عن شعراء مغمورين في تلك الحقبة. أما النثر القديم فأكثر ما شدني لقراءة كتب المقامات. أضف إلى ذلك بعض كتب نقد الشعر القديم.

في العصر الحديث، كنت وما أزال متابعًا للكتب التي توثق الحركة الأدبية لكونها جزءًا من تاريخ الأدب، وكذلك حرصت على قراءة أهم دواوين الرواد ومقالاتهم في هذه المرحلة بمختلف مدارسهم واتجاهاتهم الفكرية، وكذلك كنت مولعًا بالاطلاع على القصص والروايات التي تمثل نشأة هذه الفنون في الأدب العربي، وكذلك بالأعمال القصصية والروائية التي تشكل مرحلة النضج الفني لهذه الفنون.. ولا أخفيك إعجابي بالروايات العالمية، وحرصي بين حين وآخر على البحث عن ترجمات مناسبة لأشهر الأعمال العالمية، ولأنني مولع بقصيدة النثر، فقد كنت شغوفًا بقراءة المجموعات الشعرية لأبرز شعراء قصيدة النثر العربية من كل الأقطار، ومن كل الأجيال، وكذلك ترجمات قصائد لأبرز شعرائها العالميين.



الشاعر أحمد يحيى القيسي

الكتب التي اقتنيتها مؤخرا تهتم بمجالين، الأول قصيدة الهايكو بحكم اهتمامي هذه الأيام بها، فاقتنيت عددًا من الكتب المترجمة التي تتناول خصائص هذا الفن، وكذلك دواوين هايكو مترجمة لشعرائها الرواد اليابانيين وبعدهم الأوربيون، إضافة لمن نبغوا فيها من العرب.

أما المجال الثاني، فهو علم الفلسفة الذي أرى أنني أهملته سابقًا، وتظهر بين حين وآخر حاجتي إليه، فكان له جزء في مكتبتي، وآمل أن ألم به، لأنه علم مهم جدا وله أثره في تكوين المثقف..

جاك أتالي:

«لا بد من تفكيك عمالقة الفضاء الرقمي»



في كتابه الجديد: «تاريخ وسائط الإعلام: من إشارات الدخان. إلى شبكات التواصل الاجتماعي وما بعدها»، الصادر عن دار فايار بفرنسا، يدعو جاك أتالي إلى إنهاء دور عمالقة الويب، قبل فوات الأوان.

إن تلخيص (٥٠٠٠) عام من تاريخ وسائط الإعلام في (٥٠٠) صفحة، هو التحدي الذي رفعه عالم الاقتصاد الفرنسي «جاك أتالي» في كتابه الجديد.
ثمة حقيقة مثبتة فرضت نفسها على مرِّ القرون: هي أن السادة هم أولئك الذين يمتلكون المعلومات. ويوضح أتالي-بهذا الصدد- كيف أن الولوج إلى المعلومات يشكل عنصرًا أساسًا في الاستيلاء على السلطة أو الحفاظ عليها. أما في ما يخص وسائط الإعلام الحديثة، أي الحرة، فتعود جذورها إلى الرسائل السرية «avvisi» التي كان تجار البندقية يبيعونها لمشتركيهم في أوروبا.

ويتسم كتاب جاك أتالي بنظرته الاستشرافية. كما أنه يحذرنا من السلطة المفرطة لعمالقة الويب «الغافا»Gafas Les، ويقدّم بعض الاقتراحات لترويض هذه الوحوش الرقمية.

■ أجرى الحوار: جون-بول بومبير
ترجمة: د. فيصل أبو الطفيل*

- **جون-بول بومبير: كيف تبقي نفسك على اطلاع بالمستجدات؟**

- أعتمد في ذلك، وبصورة رئيسة على تويتر، كما أنني أقرأ الكثير من الصحف، وأتلقى موجزًا لأخبار الصحافة كل صباح.

- **أما يزال هناك مستقبل للصحيفة المطبوعة ورقيا؟**

- لا أعتقد أنها ستظل قائمة بعد عشر سنوات من الآن. الصحف الورقية الوحيدة التي ستصمد لوقت ما ستكون عناوين لمجلات متخصصة؛ مجلات موجهة لجمهور معين، سَتُولِّدُ لديهم شعورًا بالانتماء إلى فئة خاصة. وهناك وسيط إعلامي آخر سيستمر في التطور، مع أنه كان دائمًا موجودًا منذ رسائل «avvisi» في القرن السادس عشر، ويتعلق الأمر بالرسائل الرقمية السرية، والمخصصة لعدد من الزبائن أو المشتركين. والمعلومات التي تتضمنها تلك الرسائل سيظل لها تأثير كبير في القرارات المالية والسياسية. كما أن الطابع غير المجاني لتلك الرسائل سيتيح لهذه الوسائط الاستمرار دون الحاجة إلى ملايين المشاهدات.

- **أما تزال صحيفة نيويورك تايمز مرجعًا في مجال الصحافة المكتوبة؟**

- على الرغم من أن صحيفة نيويورك تايمز تتوافر على خمسة ملايين مشترك رقمي، وهي بذلك صحيفة مربحة، فإنها بدأت تفقد ريادتها، وبخاصة بسبب شعورها بالتفوق والانزلاقات الأخيرة للصحيفة. بإمكاننا أن نشهد في أوربا والهند وفي أماكن أخرى من العالم تطور طبعات دولية لصحف ذات جودة ممتازة وبمحتوى أقلّ تأثرًا بالإمبريالية، والنسبية وتمايز الجماعات المتعددة في أمريكا.

- **هل سنظل بحاجة إلى الصحافيين في المستقبل؟**

- إنها وظيفة مهددة بالزوال. فالتقنيات تتيح لكل فرد أن يصبح صحافيًا في ذاته، بلا حدود أو سيطرة على ما هو حقيقي، ليتحدث فقط عن نفسه إلى المجتمعات التي لا تملك مفاتيحها سوى شبكات التواصل الاجتماعي. ومع ذلك، فنحن نحتاج اليوم، أكثر من أي وقت مضى، إلى صحافيين، لتحليل الأمور، وقول الحقيقة، وتعقّب الأخبار الكاذبة، ومواجهة وجهات النظر المتضاربة.

- **أنتم تصفون شبكات التواصل الاجتماعي بأنها آليات لوأد الديمقراطية. هل كان الوضع أفضل سابقا، حينما كانت النخب تحتكر الخطاب العام؟**

- إن شبكات التواصل الاجتماعي شيء جيد، شريطة أن تكون قادرة على ضمان قدْر من الأمن على مستوى الحقيقة، وهو ما لا يحدث اليوم.

- **هل بإمكان الأخبار الكاذبة ونظرية المؤامرة أن تبررا ممارسة الرقابة؟**

- يتوجب علينا أن نُخضع للرقابة كل ما يدخل ضمن التشهير أو ينتهك الخصوصية وفقا لقواعد ثابتة ديمقراطيًا. وليس من خلال الأحكام التعسفية التي يمكن أن تصدر عن شبكة اجتماعية أو سلطة سياسية.

- **كيف نستطيع ترويض عمالقة الويب؟**

- أعتقد أنه يجب أن نبدأ بسحب ملكية البيانات الشخصية من عمالقة الويب

مقابل فرض رسوم تسمح بالحصول على خدمات مخفضة. فعلى سبيل المثال، يمكن أن يُطلب من غوغل أن يقدم لمستخدميه نسخة مدفوعة الأجر عن خدماته، دون إعلانات تجارية، أو جمع للبيانات، أو تعقُّب من أي نوع. ومع ذلك، يعتقد بعضهم أن هذه المسألة لن تكون فعالة، إذ سيفضل المستخدمون الاستمرار في استخدام النسخة المجانية الحالية والتخلي عن بياناتهم الشخصية لفائدة غوغل. وقد اتُّخِذَت خطوةٌ أولى في هذا الاتجاه في أوروبا مع النظام الأوروبي العام لحماية البيانات (RGPD)، والذي من المفترض أن يقوم بحماية ملكية البيانات الخاصة، ولكن لم يتم تطبيق ذلك على الإطلاق، كما أن عمالقة الويب شأنهم شأن العديد من الشركات الأخرى، يراوغون هذا النظام بأريحية.

- **بحسب رأيكم، يتمثل الحل الأساس لهذه المعضلة في الخوارزميات.**

- تطمح كل شبكة من شبكات التواصل الاجتماعي إلى أن تحافظ على انتباه الشخص الذي يدخل منصتها لأطول فترة ممكنة، بحيث يكون لديها ما يكفي من الوقت لجمع بياناته الشخصية واستخدامها لاحقًا لأغراض تسويقية مستهدفة، وتستند في ذلك إلى خوارزميات سرية يمثِّل تعقيدها أفضل حصن ضد الهيئات التنظيمية، ومن خلال اشتراط نشر هذه الخوارزميات، يمكننا إخضاعها للمراجعة، وذلك للحد من بعدها الإدماني، ومن حيويتها وقدرتها على توجيه المستهلكين، وسيكون علينا أن نفكر -وبشكل أعمق- في التطبيقات التي تسمح لكل واحد منا بالهروب من براثن شبكات التواصل الاجتماعي، ومن التحكم في الكون الرقمي الخاص به. وسيتطلب هذا الأمر تطبيقات شخصية مزودة بقوة عالية جدًا من الذكاء الاصطناعي، لها القدرة على التشويش على خوارزميات المنصات، وعلى التحرر منها. ونحن وإن كنا ما نزال بعيدين عن تحقيق ذلك، فإن التهديد التكنولوجي هو ما سيؤثر حتما في بقاء عمالقة الويب.

- **ذكرتْ جانيت يلين، وزيرة الخزانة الأميركية الجديدة، أنها قد وافقت على فرض ضرائب على عمالقة الويب.. هل هذه خطوة أولى في الاتجاه الصحيح؟**

- بطبيعة الحال، يجب فرض ضرائب على عمالقة الويب، ولكن لن يكون هذا كافيًا، طبعا لا. يمتلك عمالقة الويب الآن قوة نسبية أكبر بكثير من القوة التي كانت تملكها شركة ستاندرد أويل، أو شركة أي



تي أند تي عندما تم تفكيكهما في أيام قوانين مكافحة الاحتكار. إذ يسيطر عمالقة الويب ونظراؤهم الصينيون على أكثر من نصف سوق الإعلانات العالمية. إذ تمر من خلالهم معظم الأنشطة المسلّية والمعلومات. علينا، إذًا، أن نقوم بتفكيك عمالقة الويب، وفصلها إلى كيانات مختلفة.

- **ماذا عن الجانب الصيني؟**

■ لقد أدرك الحزب الشيوعي الصيني أن عمالقة الويب الصينيين يمثلون أعداء له. وقد بدأ بالفعل في الحدّ من هيمنتهم، حتى لو كان ذلك بطريقة مخزية إلى حد ما، بدءًا بشركة علي بابا التي أصبحت قوية جدًا.

- **من المستبعد أن يستجيب عمالقة الويب لهذا المطلب ما لم تستخدم معهم القوة كما هو الحال في الصين. أليست هذه معركة خاسرة منذ البداية؟**

■ إذا استمرينا على هذا النحو، فإن قوة الأمم ستتضاءل أكثر فأكثر إلى أن تصير سرابًا. ولا يمكن لأي بلد، ديمقراطيًا كان أم غير ديمقراطي، أن يسمح لمثل هذه القوى بالتعاظم دون إبداء رد فعل. يجب على الأميركيين والأوروبيين أن يتحركوا، سيّما وأن الفرصة الآن مواتية أمامهم. وبهذا الصدد يظل ما تقوم به المفوضية الأوروبية غير كافٍ. وفي ظل تحكّم عمالقة الويب بزمام السلطة القانونية والمالية، فإنهم سيعملون على ترك الأمور على حالها لمدة عشر سنوات فيما لن نتقدم خطوة واحدة إلى الأمام. ولذلك يتطلب الأمر إرادة سياسية حقيقية.



عالم الاقتصاد الفرنسي جاك أتالي.

- **بحسب رأيكم، ستكون الصور ثلاثية الأبعاد هي الخطوة التالية في هذا الانفجار المعلوماتي. ألا يُعدّ ذلك خطيرًا؟**

■ إن الأمر أشبه بكابوس مريع؛ فشبكات التواصل الاجتماعي أهوَن بكثيرٍ مما نحن مقبلون عليه. وسوف تسمح الصور ثلاثية الأبعاد بأن تَحُلّ الروبوتات مَحَلّ الصحافيين. وعلى شاشة التلفزيون، سيكون بإمكاننا استبدال مُقَدِّمي البرامج بالصور ثلاثية الأبعاد. وسنكون قادرين قريبًا، في غضون عشرين عامًا، على حضور مناسبة أو حدث ما دون أن نغادر البيت وذلك باستخدام الصور ثلاثية الأبعاد. ولن نعرف ما إذا كنا نحضر في مناسبة حقيقية أو أننا مجرد شخصيات في لعبة فيديو: ما سيمهد الطريق أمام جميع أنواع التلاعبات. وفي انتظار تحقق هذا الخيال المطلق، سوف يستمر الأقوياء في إنهاء الآخرين عن طريق جعلهم يعتقدون بأنهم يوفرون لهم المعلومات.

* مصدر الترجمة: نُشر هذا الحوار بموقع صحيفة L'Echo الفرنسية بتاريخ ٢٠٢١/٠١/٢٢م.

كنت في الغـــــاط

■ أ. د. محجوب محمد آدم*

عندما نزلت (الغاط) زائرًا، ظننت أني أعود لقريتي في شمالي السودان، وأني أطلُّ على باسقات نخلها، وطلعها النضيد، وأشرف من المرتفعات التي تحيط بها على دورها ومزارعها، فأيقظني مضيفي وهو يجوس بي خلال المدينة أرتاد معالمها، يقول مغاضبًا: إن أنت إلا في الغاط؛ فتنبّه.

إنه حرص المبهور ببهجة المدينة المدنية، واتساق معالم الحداثة فيها بذوق فريد، هكذا يريدني أن أنظر؛ فألفت نظره إلى عناق الأصالة بالتجديد، فبينما تكللت منتزهاتها ومزارع نخيلها خضرة وسموقًا، وشكلت واحة خضراء على سفح شاهقات تلالها التي أضفت عليها بهاءها وأناقتها.. تردك قريتها التراثية إلى عالم أسطوري ساحر، ويا عجبًا لأهلها وقد أبقوا قديمهم بكل أصالته وعبقه! وترى القوم بكل عزتهم وإبائهم، بكل شموخهم!

إنك لتندفع نحو ما أبقوه وراءهم، تكاد تتلمسهم، وهم أحياء دون أن ينالك فيهم ارتياب! ولا يعتريك حيالهم كآبة أو نفور.

نسعى خلال القرية معتبرين آنًا، ومنبهرين كثيرًا.. نقف أمام مشهدٍ، بما يستحق من الإجلال، فيدعوك غيره بما عليه من روعة الجمال، وما أكثر ما يلفت نظرك في المدينة ويحرك وجدانك، وما أكثر عناصرها الطبيعية الخلّابة، ممثلة في تراثها التليد، وأوديتها، ومزارعها، وجبالها، وتلالها، ورمالها.. حتى إذا انحدرنا إلى مركزها الثقافي، نرتاد مكتبة الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري ووقفنا على أبهاء المركز وطرازه النجدي الفائق الروعة، يدعونا أمين المكتبة وصحبه في ترحاب.. وما أن يكشف لنا



بمحبةٍ آثرًا، يقودنا إلى غيره جزلًا، وكأني به يعرض علينا سلعة عزيزة، يأخذنا من قسم إلى آخر يشرح لنا سر البرودة الطبيعية التي تنساب إلى قاعة المكتبة، وضخامة سمك حوائط بنائها، وسر الإضاءة الهادئة التي تنير جوانبها، بجانب ما أُعد لها من الإضاءة الكهربائية الحديثة، وغيرها مما وقفنا حياله في انبهار.

إنهم يلخصون كل ذلك بأن أبرز ما يميز مبنى دار الرحمانية التي يلحق بها المركز وجود المبنى في بيئة ريفية تحيط به، فأخذوا بمعطيات البيئة في تصميم المبنى، واستعملوا في بنائه مواد طبيعية، فأقاموا بنيانه بمكعبات التبن المحليّ وشيّدوا بها جدران أبراج التهوية، واستخدموا غطاء الطين وجريد النخيل والأخشاب في السقف، وحجر الغاط في تكسية أرضية المبنى؛ فرفعوا بذلك خواص العزل الحراري، وأكدوا أن الأصالة العربية تستحق الاعتماد عليها لإبراز شخصيتنا بين العالمين.

إنك إن أردت أن تتخذ لك مجلسًا في قاعة المكتبة فلك فيها متسع بين قاعتها العامة للمطالعة، أو قاعتها الخاصة، وإن شئت أن توفر لنفسك جوًا مستقلًا ومريحًا، وقد تنتقل منها إلى ركن تصفح الإنترنت، أو ركن الكتب والدوريات، أو ركن مطبوعات المركز الثقافي، أو ركن المجموعات الخاصة. وفي المكتبة قاعة للاجتماعات والدورات التدريبية المتنوعة.

ولعل مكتبة منيرة بنت محمد الملحم للنساء لا تقل إعدادًا وبهاءً عن مكتبة الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري الملاصقة لها.

وما كان اسم الغاط لتثيرني دلالته اللغوية؛ فقد ذكرت المجامع أن الاسم يطلق على المنخفض الواسع من الأرض، ومنه الغوط بالدلالة ذاتها، وذكروا أن الغُوطة هي اسم البساتين والمياه التي حول دمشق.

ويطلق أهل مصر الغيط على الحقل، ونقل لسان العرب عن أبي حنيفة أن كل ما انحدر في الأرض فقد غاط، وفيه أن الغائط هو المطمئن من الأرض الواسع، وهذه الدلالة متوافقة لما عليها مدينة الغاط في الطبيعة؛ إذ تراها حين تقدم عليها واحة خضراء في وادي الباطن على السفوح الغربية من حافة جبال طويق، ولكن الذين عرَّفوا بالمدينة ذكروا أن اسم الغاط يعود إلى لغط السيل، وهو ضجيجه واحتدامه، فإذا جادها الغيث، وكان غزيرًا وافرًا، اندفع سيلها مزمجرًا لاغطًا.. وقد أخذوا هذا التعريف مما ذكره عبدالله بن خميس في كتابه معجم اليمامة، مع أنه صدَّر تعريفه موهنًا بقوله: (يبدو أنه مأخوذ من لغط السيل...) ولم يجزم بتفسيره لدلالة الاسم.

وبأيٍّ أخذت دلالة الاسم فلا مشاحة، إذ أخذت الغاط علميتها من إطلاق الاسم عليها دون تبرير.

وحسبي منها أنها أثارتني..

* كاتب السوداني.

في مديح الحطب

■ محمد علي حسن الجفري*

هطلت الأمطار على جدة ذات عام، وبمساعدة الريح توجهت رشات غامرة إلى غرفة المكتبة في منزلي القديم، وغسلت عددا ثمينا من مجلة «العربي» يعود إلى العام ١٩٧٠م. وجدت أنه لا أشعة الشمس ولا القمر يمكن أن ينقذا صفحات هذا «العربي» الثمين النادر من التكلس لكي يعود إلى أصله القديم كما كان من قبل. أما أصله الأساس فهو ينتسب إلى إحدى أشجار الصين، أو ماليزيا، أو الولايات المتحدة، أو المكان الذي تم منه استيراد الخشب الخام لتحويله إلى ورق.

وإذ تعلّم العرب أن الشوكة إذا انغرزت في الجلد لا تخرج إلا بشوكة مثلها، فقد قررت إنقاذ نسختي هذه من «العربي» بورق آخر يطهرها من الماء قبل أن تتيبس. وحمدت الله على اختراع ورق المناديل الناعم، فجئت بصندوق صغير من هذا الاختراع، وله قصة خلاصتها أن شركة كمبرلي التي تنتج هذه المناديل رفعت شعارَ (لا تضع الزكام في جيبك) عام ١٩٣٠م. (مجلة موهبة/ سبتمبر ٢٠٠٥م)

الشاهد أني أخذت أُقلّبُ الأوراق المغسولة بالماء، وأضع منديلًا ورقيًا بين كل صفحة وأخرى من «العربي». وعدت إلى محبوبي بعد يومين، وأخذت أسحب المناديل رويدًا رويدًا. وقد تم إسعاف «العربي» بحمد الله، وعاد إلى الحياة معافى مقروءًا مريحًا!

الناس يشيدون دائما بالقلم وحق لهم ذلك، غير أنهم ينسون الورق وينسون بركات الخشب الذي يتحول إلى ورق للكتابة وللطباعة. بل إن القلم نفسه ظل ثلاثة آلاف عام أو أكثر مصنوعا من الخشب. وبالخشب هذا من أي نوع كان حفظت البشرية تقدمها وعلومها وتاريخها وأدبها وشعرها ودينها والكتب السماوية وحديثها.

لكن العالم أسرف في استهلاك الورق. جريدة الأهرام مثلا وصلت

إلى طبع مليون نسخة يوميًا في يونيو عام ١٩٩٨م، وعندما جاء عام ٢٠٠٠ م كانت تطبع مليونًا ومائتي ألف نسخة يوميا. أما عكاظ فقد أخبرني الثقة الأستاذ محمد بن عبدالله الحسون، مدير عام مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر الأسبق، (من١٩٩٢ حتى ١٩٩٧م) برسالة على الوتساب.. أنها كانت تستهلك بين ٤٠٠ إلى ٥٠٠ طن شهريا من الورق.. ولما كان عندنا في المملكة العربية السعودية عشر صحف يومية وعدة مجلات وكثرة كاثرة من المطبوعات الحكومية والتجارية، وكذلك الكتب، وبخاصة مع الإسهال الروائي، فيمكن القول بكل إنصاف إننا نستهلك في العام الواحد الآلاف وربما عشرات الآلاف من الأطنان من الورق.

والعالم ينتج نحو ٢٠٠ مليون طن سنويًا من الورق (مجلة القافلة الصادرة عن شركة أرامكو السعودية يوليو/ أغسطس ٢٠١٣م)، وقبل ذلك بعشر سنوات ذكرت (القافلة في مايو- يونيو٢٠٠٣م) أن العالم ينتج سنويًا نحو ٣٠٠ مليون طن من الورق لتلبية طلب أفواه المطابع، ثم قالت المجلة إن الإحصاءات تشير مؤخرًا إلى أن الولايات المتحدة بمفردها تطبع بليوني كتاب و٣٥ بليون صحيفة يومية سنويًا. وهذا يعني قطع آلاف الأشجار لمواكبة الطلب العالمي على الورق.

ولكن جاء الفيضان الضوئي، وحدث ما حدث من تطور عظيم في استخدام الرقمنة والشابكات، فلا نخطئ إذا قلنا إنها منحة ربانية للحفاظ على الثروة الخضراء من الإسراف في استخدام لحاء الشجر لإنتاج الورق. ونتيجة لذلك أصبحت الأهرام تطبع في عام ٢٠٢١م أقل من ٢٠٠,٠٠٠ نسخة يوميًا. ووقعت فيها المفارقة الطريفة، إذ أنها كلما طبعت أقل صارت خسارتها أقل. وكشف السر في ذلك الأستاذ عبدالمحسن سلامة رئيس مجلس إدارة الأهرام، إذ كتب في ١١ مارس ٢٠١٩م قائلا إن النسخة من جريدة الأهرام تكلف ثمانية جنيهات بينما تباع بجنيهين. وقال إنها لو بيعت بعشرة جنيهات فعندئذ يمكن تعويض الخسائر.

أذكر أنني كاتب هذه السطور قد أسرفت من ناحيتي. فقد كان في فناء داري شجيرة أخذت تكبر وتزدهر وتستجفر وتشب حتى تعملقت وأصبحت مصدرا للظلال والخضرة والجمال في الحارة والأوكسجين الشهي في النهار. وذات يوم أتيت لها بعمال باكستانيين بثلاثمائة ريال طرحوها أرضا ولم يبقوا منها سوى ثلاث قطع من الساق أجلس عليها وأتذكر أيامي معها. ولم يكن ذلك العمل البرمكي بلا سبب. بل أخبرني أكثر من نصيح أن هذه الشجرة الكبيرة على ما فيها من مميزات، فإن جذورها سوف تتمدد وتتمدد ولن يصمد أمامها جدار خزان الماء الأرضي. فصرت بالخيار. إما المحافظة على جمال المنظر مقابل البقاء بدون ماء عدة أسابيع إلى أن أتمكن من إصلاح الخزان المخروق بعشرات الألوف من الريالات. وإما قطع الشجرة. وعلى عكس الفروسية في استشهاد «العربي» الذي بثثت قصته، تمت التضحية



بالشجرة الغالية الغالية. ثم جئت بشيء من الزيت المحروق فسكبته محزونا على بقية الجذع. وفي اليوم التالي وفدت بعض الطيور كعادتها فانشدهت واندهشت وبكت على الشجرة الفقيدة. وقد جهدت في تعويض هذه الشجرة بزراعة نخيل في المنزل. لكن النخيل يحتاج إلى ثلاث سنوات من التربية مثله مثل الطفل!

إن الخشب غالٍ جدا وله دور عظيم في توفير الغطاء النباتي للأرض التي نعيش عليها، وله دور أساس في منع التصحر. وقد أصدرت وزارة البيئة والمياه والزراعة في المملكة عقوبات لمن يرتكب جناية الاحتطاب الجائر. والعقوبات تبدأ من ألف ريال إلى عشرين مليون ريال، وتشمل قطع الأشجار والشجيرات من أراضي الغطاء النباتي والمحميات. وقد تصل العقوبة إلى السجن مدة عشر سنوات (جريدة البلاد -تطبيق لائحة الاحتطاب- ٥ رجب ١٤٤٢هـ الموافق ١٧ فبراير ٢٠٢١م).

الخشب نعمة من نعم الله. قال تعالى: الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون. وتذكر كتب السيرة أن قريشًا لما انهمكت في بناء الكعبة المشرفة قبل البعثة النبوية الشريفة ما كان أسعد منهم حينما علموا أن البحر ألقى على ساحل جدة سفينة محطمة. فسارعوا إلى جدة، وكان عند السفينة النجار الرومي باقوم، فأخذوا الألواح منها التي تساعدهم على بناء البيت الحرام في مكة المكرمة، واستعانوا بالنجار باقوم. وذلك قبل البعثة النبوية ببضعة أعوام.



وأورد القرآن الكريم أن سيدنا موسى عليه السلام لما عاد من ميقات ربه ووجد قومه قد عبدوا العجل ألقى الألواح التي فيها من كل شيء موعظة وتفصيلا. قال بعض المفسرين إنها ألواح من شجر الجنة وأن الله شاققها.

وقد كان سيدنا نوح عليه السلام أشهر نجار في تاريخ البشرية. يقول بعض المفسرين أنه بنى السفينة الهائلة في عشرات السنين، بعضهم قال في أربعين سنة يزرع وفي أربعين سنة يجفف خشب الساج. وأوحيَ إليه أن يجعلها على هيئة عظام صدر الطائر. وكانت كما ذكر بعض المؤرخين من سبعة أدوار. فلا جرم إذا كانت سفينة نوح أكبر مركوب في تاريخ البشرية للإبقاء على العنصر الإنساني من الغرق.

وقد عثرتُ في تركة سيدي العم عبدالله حسن الجفري، رحمه الله، عددًا من مجلة الكويت يعطي فكرة عن بناء السفينة. ولو أن المجهود العصري لا يساوي واحدًا في الألف من مجهود سيدنا نوح. نشرت المجلة مقالًا بقلم د. يعقوب يوسف الحجي، قال فيه إن الحاج حمد الصقر كلف القلاف عبدالله بن راشد (والقلاف هو نجار يصنع السفن) بأن يصنع سفينة كبيرة من نوع البوم. واعترض القلاف بأنه لم يسبق له أن صنع سفينة بهذا الحجم، فشجعه الحاج الصقر وقال له عندي كمية وفيرة من الأخشاب فلا تتهيب..

فوافق. وجمع القلاليف (النجارين) ووضعوا قاعدة ضخمة من الخشب من جذعي شجرتين كبيرتين تم توصيلهما بإحكام حتى بلغ طولهما ٧٧ قدما. ثم وُضع عمود المقدمة والمؤخرة ورُبطا بالقاعدة بإحكام. وبدأت ألواح الجسد البانية للسفينة تأخذ وضعها الواحد فوق الآخر وبعناية فائقة حتى اكتمل بناء سبعة ألواح على كل جانب من جانبي السفينة. وهكذا بدأت أضلاع السفينة تأخذ وضعها فوق الألواح حتى غدت كأنها هيكل عظمي. وبعد أربعة أشهر كانت السفينة واقفة تنتظر إنزالها إلى البحر لأول مرة وكان ذلك في عام ١٩١٤م. (مجلة الكويت، جمادى الأولى ١٤٠٨هـ، الموافق يناير ١٩٨٨م).

وبما أن الشيء بالشيء يذكر فقد كان السلطان عبدالحميد العثماني أشهر النجارين في عصرنا. إذ إنه كانت التقاليد العثمانية تفرض على كل من يريد أن يتولى السلطنة لا بد له أن يتأهل في إتقان حرفة ما، ولا يكون شخص مؤهلا للسلطنة وهو بدون حرفة. وما تزال منقوشات من عمل يد السلطان عبدالحميد تحتل مكانا بارزا في أحد متاحف تركيا، حسبما أخبرني الصديق الأستاذ عمر باجخيف.

واستمرت فائدة الخشب قرونا متطاولة لإنتاج اللحاء الذي يصنع منه الورق أو لقطّ الأقلام التي كان أجدادنا يكتبون بها، وكذلك لصناعة المحاريب في المساجد والكنائس والمنابر وللأبواب والبوابات والسقوف والشبابيك وللركوب في البر رحال الجمال وشقادف (هوادج) النساء. وفي البحر القوارب والسواعي والسفن.

وغني عن القول أن الخشب مادة للتدفئة من البرد. سجل ذلك الذكر الحكيم في قصة سيدنا موسى عليه السلام عندما قال لأهله: ﴿**إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى**﴾. وقال تعالى: ﴿**أفرأيتم النار التي تورون، أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون**﴾.

كما كان الخشب سلعة تجارية مزدهرة. ذكر لي صديق جداوي أن الخشب مصدر معيشتهم. ولما طلبت منه المزيد أرسل إلي رسالة على الوثاب الذي اشتهر على ألسنة الناس بالواتساب. قال فيها:

أبي يرحمه الله كان يتاجر في الخشب القديم: السقوف والأبواب والشبابيك. كان يشتري البيت أو الأرض، يأخذ الخشب ويترك الأرض أو البيت. فالخشب كان تلك الأيام مصدرا للثروة، وليس العقار.

في الختام، يقول المثل الشعبي (شل على دربك حطبة). والحطبة هي العصا. ومهمتها كما قال سيدنا موسى: ﴿**هي عصاي أتوكأ عليها**﴾. وإذًا، فإن تمام المثل كما يلي: (شل على دربك حطبة تتوكأ عليها). إنها رمز القوة التي يمثلها الخشب في حياتنا.. الكتاب، والمجلة، والصحيفة، والسفينة، والحنطور، والعمود، والمحراب، والمنبر، والمنضدة، والباب، والشباك، والسقف، والعصا.

إنها الحطبة، وما أدراك ما الحطبة في التاريخ البشري!

---

* نائب مدير مركز معلومات عكاظ سابقًا - ومترجم.

حصة إبراهيم المنيف

مترجمة كتاب الرواية العربية وشقيقة عبدالرحمن منيف

■ محمد عبدالرزاق القشعمي*

سمعت بحصة بنت إبراهيم المنيف عندما كانت تعمل مترجمة في المستشفى التخصصي بالرياض عام ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م، إضافة لتدريسها اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بجامعة الملك سعود. وبعد تعرفي بعد ذلك بشقيقها الروائي عبدالرحمن، وزياراتي له بمنزله بحي المزة بدمشق، عرفت أنها تسكن بالدور الأول الذي يعلو سكن شقيقها، ولم يتسن لي اللقاء بها إلا بعد وفاة شقيقها عبدالرحمن (١٩٣٣-٢٠٠٣م)، وعند عودتها للمملكة عند بداية الحرب الأخيرة بسوريا قبل نحو عشر سنوات.

ولعلاقتي بابنَيّ أخيها عبدالله، د. إبراهيم، ود. ماجد، فقد عرفت منهما أن عمتهما حصة تسكن مع زوجها في شارع الجامعة، وكنت بصدد إعادة طبع كتابي (عبدالرحمن منيف في عيون مواطنيه)، فاقترحت الشاعرة الكويتية وابنة العم سعدية مفرح أن يقدم هذه الطبعة واحد من عائلة المنيف، فزرت الأستاذة حصة، وقدمت لها نسخة من كتابي في طبعته السابقة عن شقيقها عبدالرحمن، وطلبت أن تقدم للطبعة الرابعة بمناسبة مرور عشر سنوات على رحيله -يرحمه الله – وفعلًا وبعد أيام أرسلت لي مقالًا بعنوان: (لوعة الغياب من جديد)، افتتحته بقولها: «مرّ عقد من الزمن منذ غيابك. عشر سنوات مضت، عقد من السنوات العجاف، ولكنك لم تغب تمامًا، إذ تركت لنا زادًا. فكتاباتك ستبقى بين أيدينا، بل بين الأجيال القادمة. لقد كتبت نعيًا فيمن سبقوك في الرحيل من النوابغ والقريبين إلى قلبك من الأصدقاء في (لوعة الغياب). فهل يكفي ما كتب فيك حتى الآن؟

هل نغبطك لأنك رحلت قبل أن تحل هذه الأيام الكالحة والتي تكثفت فيها كل هذه الأوجاع؟ لطالما حزنت لأحوالنا منذ أن وعيت على هذه الدنيا..».

واستعرضت تاريخ العائلة ورحيل والدهم من قصيبا بالمملكة للشام، وتعرضه للأمراض، ومشاركته لخالها محمد السليمان الجمعان، ونسيرة والدتهم نوره وشقيقها عبدالرحمن وطفولته ومغامراته وبداياته مع القراءة، ثم بدايته الكتابة منذ المرحلة الثانوية، ومحاورته مع الشعر قبل أن يدخل عالم الرواية، وكتابته الأولى بمجلة (المنهل) التي كان يصدرها طلاب ثانوية الحسين بعمان، رغم أنه من طلاب الكلية الإسلامية.

واختتمت مقالها بقولها: «... لعلك وجدت في عالم الرواية، إذًا، ما يمكنه أن ينير أمامك الطريق، بل وأمام قرائك. فلم تكن من الأنانية بحيث تحتكر هذا الطريق وذلك الضوء لنفسك، وحسنًا فعلت.

هذا بعض ما يمكن لي قوله في هذه الأيام التي نشعر بأننا نحتاج فيها لفكرك أكثر من أي وقت مضى. فهل نجد من بعد مَن يجدر به أن يحمل الراية ويمضي بنا في الطريق التي يجدر بنا أن نمضي فيها، وتسمو على تلك التي ما نزال نسلكها حتى الآن؟

إن هي إلا كلمات قليلة تراءى لي أن أكتبها مقدمةً لهذا الكتاب الذي تكرم الأخ محمد القشعمي، الصديق الصدوق لعبدالرحمن بنشره في الذكرى الرابعة عشرة لغيابه عن عالمنا «حصة ابراهيم المنيف».

حرصت على أن أكتب عن الأستاذة حصة ضمن (أعلام في الظل) بعد عشر سنوات، فسألت عنها معالي د. ماجد المنيف، فعرفت أنها مع ابنها د. طارق الفوري بجامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية (كاوست) في ثول.

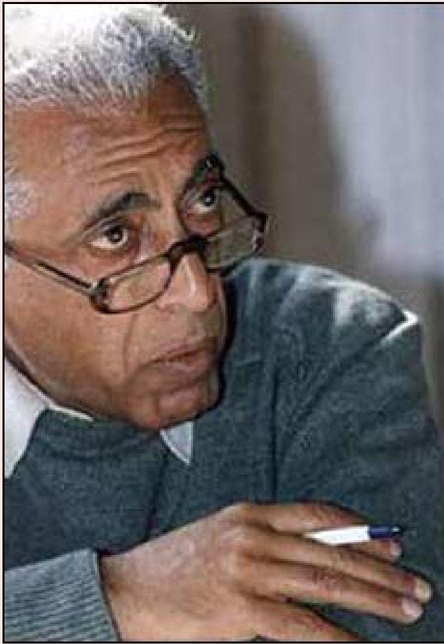


فاتصلت بها هاتفيًا، وبعد السلام والترحيب، أحالتني لابنها طارق، وذكرت له رغبتي. وبعد أيام حصلت على ما أرادت ذكره من المحطات المهمة لها ولعائلتها: «.. ولدت حصة ابراهيم علي المنيف عام ١٩٣٧م في مدينة عمان عاصمة ما كان يُعرف حينذاك بإمارة شرق الأردن، وكانت النقلة الأخيرة لإبراهيم المنيف ونورة سليمان الجمعان في محطة ترحاله الأخيرة عائدًا للاستقرار في المدينة المنورة. وكان والدها قد غادر مسقط رأسه «قصيباء» مع والدته إلى بلدتها «عيون الجواء» بعد تفشي وباء الكوليرا فيها ووفاة جميع إخوته في مراحل

مختلفة من أعمارهم. وفي سن الصبا غادر إبراهيم المنيف مع إحدى القوافل، شأنه شأن الكثيرين من العقيلات، إلى بلاد الشام.

وكما أشار (محمد القشعمي في كتابه «ترحال الطائر النبيل»)، بدأ إبراهيم المنيف تجارته في دمشق، وأصبح من التجار المرموقين. وتزوج «فاطمة العساف»، من العقيلات التي عاشت في منطقة دير الزور في سوريا، والتي أنجبت له ابنتين وأربعة أبناء، وتوفيت مبكرًا وكان معظم أبنائها في سن الطفولة. وتزوج بعدها أربع زوجات دمشقيات، أنجب اثنتان منهما ذرية. ووفقًا لرواية حصة، فإن والدتها « نورة الجمعان» من عقيلات عيون الجواء المقيمات في بغداد، وكانت تربط والدها بخالها محمد علاقة تجارة وأعمال. لذلك جاءت نورة إلى دمشق برفقة والدتها العراقية، سارة الأمين، وتزوجت من إبراهيم المنيف، وأنجبت منه عبدالرحمن، وخديجة، إضافة إلى حصة، التي لم تبلغ بعد الأربعين يومًا عندما توفي والدها، وكان عمر شقيقها آنذاك ثلاث سنوات.

وبفضل تجارته وثرائه كان إبراهيم المنيف قبيل وفاته يسكن في دار واسعة في «جبل عمان»، الذي كان حينها منطقة غير مأهولة. لذلك غدا العقيلات الساكنين في حي «رأس العين» حيث المياه الجارية وسوق الحلال، يتندرون بأن «ابن منيف ساكن بجبل تأكله الذئاب». ولكن، وبعد فترة وجيزة من وفاته، تولى الوصي على أبنائه تأجير سكن العائلة إلى جلوب باشا، القائد البريطاني



الكاتب عبدالرحمن منيف

للجيش الأردني حينها (هذا ولا يزال القصر قائمًا حتى الآن، ويطلق عليه اسم بيت جلوب). لذلك انتقلت نورة الجمعان مع أطفالها الثلاثة إلى منزل متواضع بغرفة واحدة، وأخذت تحيك الثياب لقاء مبالغ زهيدة لتتمكن من إعالة أسرة كانت في رغد من العيش وانتقلت إلى شظفه.

وعلى الرغم من أميتها، وقصر ذات اليد، كانت نورة الجمعان شديدة الحرص على تعليم ابنها عبدالرحمن وابنتيها خديجة وحصة التي أدخلتها والدتها المدرسة في سن الخامسة بعد أن احتالت على المسؤولين بشأن السن. وبعد أن أدركوا صغر سن حصة رفضوها؛ ما حمل أمها على تسجيلها في مدرسة ثانية. وعن ذكرياتها في تلك المدرسة تقول حصة: إنها كانت تستيقظ من الصباح

علماء يعلنون أن موقع الجمل بمدينة سكاكا أقدم موقع نحت في العالم

أظهرت دراسة قام بها فريق سعودي عالمي مشترك نتائج علمية جديدة حول تاريخ موقع الجمل بمدينة سكاكا بمنطقة الجوف، إذ كشفت الدراسة المنشورة في مجلة علوم الآثار (Journal of Archaeological Science) أن هذا الموقع الذي يضم ٢١ نحتًا مجسمًا (منها ١٧ نحتًا مجسمًا لجِمال، واثنان من فصيلة الخيليات، ونحت آخر لم تتضح هويته) قد يكون من أقدم المواقع في العالم لنحت الحيوانات المجسّمة بالحجم الطبيعي.

وأشارت النتائج العلمية إلى أن الموقع يعود لفترة العصر الحجري الحديث ما بين ٥٢٠٠ - ٥٦٠٠ سنة قبل الميلاد، ويتميز بمجموعة من مجسمات الجِمال وحيوانات من فصيلة الخيليات بالحجم الطبيعي، وتختلف في طريقة تنفيذها عن الفن الصخري الشائع في أنحاء المملكة، فهي بارزة بشكلٍ كبير عن الصخرة التي نُحتت منها ولها شكل مجسم، وأظهرت المجسمات الأثرية التي تم حفرها بالموقع وجود صناعة حجرية مميزة، وكذلك بقايا عظام حيوانية.

واستخدم الفريق العلمي المكون من باحثين من هيئة التراث وجامعة الملك سعود والمركز الفرنسي للأبحاث وجامعة برلين الحرة وجامعة أكسفورد وغيرها، العديد من الطرق العلمية بهدف معرفة تاريخ الموقع بدقة عالية، وذلك عبر تحليل الأدوات المستخدمة في النحت ودراسة آثار عوامل التعرية والتحلل الطبيعيين، إضافةً إلى جهاز التحليل المشع متعدد الأطياف وطريقة الوهج الحراري، إذ تُعد معرفة تاريخ الموقع من أكبر التحديات التي واجهها الفريق العلمي.

وأشارت النتائج العلمية إلى الجهود الكبيرة التي بُذلت في نحت هذه

الباكر قبل أشقائها، وكانت تمر بائعة حليب مع حمارها، فترجوها الوالدة لاصطحابها معها في طريقها، فتسير معها حتى منتصف الجبل، لتواصل النزول من الجزء الوعر من الجبل، للوصول إلى المدرسة النائية، إلى أن تمكنت والدتها من نقلها إلى المدرسة الأقرب إلى البيت.

وبعد أن أكملت حصة المراحل التعليمية اجتازت الثانوية بتفوق، حيث كان ترتيبها الثانية من بين فتيات الأردن بضفتيه الشرقية والغربية. ولم يتوقف طموح الأم وابنتيها عند ذلك، إذ ارتحلوا إلى بغداد، حيث كان عبدالرحمن قد سبقهما للدراسة في كلية الحقوق. وبعد أن درست الاقتصاد والاجتماع في جامعة بغداد، اضطرت الأسرة للانتقال إلى دمشق لمواصلة الابنتين دراستهما الجامعية، وتخرجت أختها خديجة من جامعة دمشق في تخصص التاريخ وتوفيت عام ١٩٦٥م بمرض عضال، وتخرجت حصة من الجامعة ذاتها في اللغة الإنجليزية وآدابها. وبعد وفاة والدتها وجدت حصة صعوبة في الحصول على وظيفة في سوريا بسبب جنسيتها السعودية، إلى أن قُبلت للعمل في الإذاعة السورية مترجمةً في القسمين العربي والإنجليزي. وأثناء ذلك تزوجت من أحد زملائها، ورزقت بابنة وولدين، عادت بعدها إلى وطنها، وعملت في مستشفى الملك فيصل التخصصي في الرياض، مديرةً لدائرة الترجمة تضم عشرة مترجمين. تتولى ترجمة التقارير الطبية وكتيبات الإرشادات الصحية العامة والقوانين والعقود. وأصبحت الإدارة صلة الوصل بين المستشفى ومركز الأبحاث والمجتمع. وتقول حصة: إن تلك الفترة كانت في غاية الأهمية لها، وللمستشفى، وللقطاع الصحي في المملكة. فقد تمكّن ابناها وابنتها من إكمال دراستهم الجامعية من جامعات ستانفورد وكارنيجي ميلون ومعهد ماسيتشوسيتس للتكنولوجيا في الولايات المتحدة، وتمكنت المستشفى من ترسيخ ثقافة عمل، وأهلت كوادر وطنية، واستقطبت كفاءات جعلتها من أرقى المستشفيات ومراكز الأبحاث الطبية في المملكة والمنطقة. وبسبب ظروفها الصحية اضطرت حصة للتقاعد بعد خمسة عشر عامًا لتمارس التدريس بشكل جزئي في جامعة الملك سعود، وتكتب في جريدة الرياض.

وكان تقاعدها حافزًا لها لترجمة الأعمال الأدبية ونشرها، منها ترجمات لسيرة حياة الأدباء الروس وهم تشيخوف وغوغول وديستويفسكي، وترجمة كتاب حول الأدب العربي الحديث لروجر آلن، الذي كان يعمل رئيسًا لقسم الدراسات الشرق أوسطية في جامعة بنسلفانيا، وكذلك كتاب «ديموقراطية القلة» للكاتب الأمريكي مايكل بارينتي، وغيرها من الكتب والتراجم. وتقيم حصة الآن مع ابنها طارق الذي انتقل من عضوية هيئة تدريس جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران، إلى هيئة التدريس والأبحاث في جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية (كاوست) في ثول».

وأمامي الآن كتاب من إصدارات المؤسسة العربية للدراسات والنشر (الرواية العربية مقدمة تاريخية ونقدية) تأليف: روجر آلن. ترجمة: حصة منيف، ط١٩٨٦م.

وقالت إن (روجر آلن) أستاذ الأدب العربي في جامعة بنسلفانيا بولاية فيلادلفيا الأمريكية، وقد أعدت قراءة رواية عبدالرحمن منيف (سيرة مدينة)، وهو يحكي فيها ضمن ما يحكي عن مدينة عمان طفولته وشبابه، لم أجد فيها ذكر لشقيقتيه خديجة وحصة ووالدته نورة السليمان الجمعان.

وإن كان قد أهدى لها آخر رواية كتبها (أرض السواد) ١٩٩٩م قائلاً: «إلى نورة أمي التي أرضعتني مع الحليب حب العراق...». ووجدت ذكر أخيه علي منيف وهو يسابق مجايليه في تطيير الطيارات الورقية والمنافسة بين أطفال الحارات، الذي أهدى له الجزء الأول (التيه) من روايته (مدن الملح) قائلاً: «إلى علي منيف.. الذي رحل قبل الأوان». كما ذكر لمرات عديدة جدته سارة الأمين.



وإذ اعتذر شريكه محمد السليمان الجمعان عن تحمّل مسؤولية أن يكون وصياً على أولاده؛ لكونه زوج أخته، وخال أولاده منها، وله أولاد من غيرها، فحتى لا يتهم بالانحياز لأخته.. أوصى إبراهيم قبيل وفاته أحد العقيلات المقيمين بعمان الذي أخرج العائلة الكبيرة من المبنى المستلح الوحيد بعمان وأجّره على (كلوب باشا) أبو حنيك، المندوب البريطاني بشرقي الأردن، واستأجر لأبناء المنيف وزوجاته بيوتًا شعبية متواضعة - هكذا سمعت وقرأت في كتابات متفرقة - وأنا أتساءل أين ذهبت ثروة إبراهيم المنيف، والتي اضطرت العائلة إلى العيش المتواضع الذي حمل والدة عبدالرحمن على شراء ماكنة خياطة لتحيك الملابس وتبيعها لتوفير معيشة أولادها واستمرارهم بالدراسة.

---

* باحث سعودي.





الحيوانات المجسمة، وربما عمل مجموعة من النحاتين على تنفيذها على مدى فترات زمنية مختلفة، ومن الدلائل على ذلك اختلاف تقنيات النحت المستخدمة؛ فقد وُجدت أمثلة تشير إلى صيانة الأشكال المنحوتة، وأحيانًا القيام بنحت أجزاء جديدة لتكون بديلة عن أجزاء تضررت بفعل عوامل الزمن، واستطاع الفريق تتبع خطوط النحت على الصخور بالرغم من تأثر بعض الأجزاء بعوامل التعرية الطبيعية، ومن ناحية أخرى عُثر على بعض الأجزاء الساقطة من النحت وإعادتها إلى مكانها.

كما أظهرت نتائج الدراسة للموقع مروره بثلاث مراحل زمنية؛ تتمثل بمرحلة تنفيذ أعمال النحت على مدى فترة طويلة، وتلتها مرحلة تدل على غياب النشاط البشري وهجر الموقع، ثم مرحلة ثالثة وأخيرة بدأت تتضرر فيها المجسمات المنحوتة وتساقط بعض أجزائها بفعل العوامل الطبيعية.







الوطن ALWATAN

الجمل أقدم موقع نحت عالميا



الشرق الأوسط

يوميات الشرق 22

أقدم موقع في العالم لنحت الحيوانات المجسمة بالحجم الطبيعي في الجوف بالسعودية



عكاظ

تقرير دولي: قبائل بالسعودية نحتت الصخ... 8000 عام



منحوتات الجمال الصخرية في الصحراء السعودية تعود إلى أكثر من ٧ آلاف سنة

الجزيرة

دراسة ترجح أن موقع الجمل بالجوف أقدم موقع نحت في العالم

دراسة علمية ترجح أن موقع الجمل بالجوف أقدم موقع نحت في العالم

منحوتات الجمال الصخرية في السعودية تعود لأكثر من ٧ آلاف سنة

الوسط

السعودية.. قبائل نحتت الصخو... بدقة فنية قبل 8000 عام

الرياض

20 صفحة — ريالان

موقع الجمل الأقدم عالمياً

أخبار الخليج





الاقتصادية

علماء: موقع الجمل في الجوف الأقدم في العالم لنحت الحيوا...

...ال في السعودية تعود إلى 7000 سنة

مكة

...موقع نحت في العالم



البلاد

الجوف





18-19
30
11
20
12
10
31
8
4
3
2
32
1
5/6/7
A
B
C





Legend
Agricultural field
Lithics cluster
Disturbance polygons
Spur C
Spur B
Spur A

وتنتمي الصناعة الحجرية بالموقع إلى فترة نهاية العصر الحجري الحديث، التي لا يمكن الجزم تمامًا بأنها معاصرة لفترة نحت المجسمات الحيوانية بالموقع.

وقد تفاعلت الصحافة العالمية والعربية والمحلية مع الاكتشاف العلمي، وقد كانت هذه بعض عناوين الصحف العربية:

- منحوتات الجمال الصخرية في الصحراء السعودية تعود لأكثر من ٧٠٠٠ سنة.
- «جمل الجوف» أقدم موقع نحت في العالم.
- قبائل في السعودية نحتت الصخور قبل ٨٠٠٠ عام.
- الجمل أقدم موقع نحت عالميًا.
- موقع الجمل الأقدم عالميًا.
- علماء: موقع الجمل في الجوف الأقدم في العالم لنحت الحيوانات المجسمة.
- كشف أقدم نحت لحيوانات بالحجم الطبيعي في السعودية.
- السعودية: قبائل نحتت الصخور بدقة فنية قبل ٨٠٠٠ عام.
- منحوتات الجمال في السعودية تعود إلى ٧٠٠٠ سنة.

ويعزِّز الكشف الجديد جعل مدينة سكاكا بمنطقة الجوف إحدى المناطق العالمية على خريطة السياحة والآثار، إذ تتميز سكاكا بوجود آثار تعد الأقدم في المملكة، ومنها أعمدة الرجاجيل، وقصر زعبل، والمنطقة الأثرية بسكاكا، وبئر سيسرا، وغار حضرة النبطي، إضافة إلى أقدم موقع استوطنه الإنسان في آسيا بالشويحطية قرب سكاكا.


أمير منطقة الجوف الأمير فيصل بن نواف بن عبدالعزيز يزور موقع الجمال بمدينة سكاكا





كيفَ تُصلِحُ.. قلبًا مكسورًا؟

▪ بقلم: صفية الجفري

قال رسول الله ﷺ:

«مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

تعاطف مستحق

قبل سنوات طويلة تقدّم شاب لخطبة صديقة لي، ولم تطل الخطبة إلا أسابيع قليلة، ثم تم عقد القران ليتسنى للطرفين التعرّف إلى بعضهما، قبل أن يضمهما بيت واحد وفقا للثقافة السائدة. لقد أحبت صديقتي (خطيبها/ زوجها) حبًا عاصفًا، قالت لي: لقد صادف هواه قلبًا خاليًا فتمكنا!

لكن الأمر لم يتم، وبعد ستة أشهر تقريبًا تراجع (الخطيب/الزوج) عن إتمام الزواج، وترك صديقتي تعاني ألمًا قاسيًا، وتدنيًا في تقدير الذات، وحزنًا قويًا.

كنا في مقتبل العمر، وكنت أواجه هذا الوجع من خلال صديقتي لأول مرة، ما أنا ممتنة له أن الله سبحانه هدى قلبي إلى التعاطف الذي لم يخالطه سأمٌ أو لوم، وأني كنت أستمع إلى صديقتي وأنا أشعر أن ألمها جديرٌ بالاحترام، لكن هذا لم يكن رد فعل كل من حولها، لقد لامها آخرون لأنها استغرقت في الحزن والإحباط، ولأن الأمر كما قالوا لا يستحق كل هذا الألم، والوحشة، والانكسار.

تجاوزت صديقتي محنتها، وخرجت منها - بفضل الله - أقوى، وأكثر إيمانًا بنفسها، وحماها هذا الألم من أن تكسرها علاقة أخرى.

كيف تجاوزت صديقتي هذه المرحلة؟ ما أتذكره الآن أنها أعطت لنفسها الحق في الحزن، لم تلم نفسها، ولم تسمح للوم الآخرين أن ينال منها، أخذت وقتها في التعافي، وفي تعلّم كيف تصوغ نظرتها العادلة لذاتها، ولم تغرق في تحليلات خاطئة للموقف، كل ذلك ساعدها، مع التعاطف الذي تستحقه من بعض المقربين.

تذكرت قصة صديقتي وأنا أقرأ الأمثلة



التي تناولها الكتاب، ولأن الأمثلة جاءت من ثقافة مختلفة، فقد آثرت أن أبدأ حديثي عن الكتاب بمثالٍ من صميم ثقافتنا الاجتماعية.

لا تنس أبدًا أن المعاناة ذاتية

يحدثنا مؤلف كتاب: كيف تصلح قلبًا مكسورا؟ د.: غاري وينش[1] عن الانتقائية في ثقافة التعاطف، فهي توجه غالبا إلى الأحزان المتصلة بالأحداث الكبيرة في حياة الناس، كالموت والطلاق، وبالتالي يعاني كثيرون معاناة قاسية، ولا يجدون من يتعاطف معهم بعمق؛ لأن أحزانهم -وفقا لثقافة التعاطف السائدة - لا تستحق أن تحدث ألمًا كبيرا.

ويحاول الكتاب أن ينبه إلى قصور هذه النظرة وعدم نضجها، بل وأثرها في إبطاء الشفاء، ويؤكد على أن مقياس المعاناة ليس طبيعة الحدث، بل مقدار ما يحدثه من ألمٍ في نفس صاحبه، والعجز عن احترام ذلك مؤذٍ وقاسٍ.

«مستوى لا يحتمل»

تعمل المعاناة الناتجة عن آلام الانفصال العاطفي بنظام معقد، وتأثيرها يتجاوز عواطفنا وتفكيرنا إلى أجسادنا، وأدمغتنا، ووظائفنا، وعلاقاتنا بشكل قد لا نتوقعه.

يحدثنا الكتاب عن قيام إيثان كروس -أستاذ علم النفس- وزملائه في جامعة ميتشغان بزيارات استقصائية لعدد ممن مرّوا بحالات انفصال عاطفي مؤلم. تم إخضاع أولئك المتطوعين لجهاز FMRI - وهو جهاز يحوي ماسحًا ضوئيًا يكشف المناطق الدماغية التي يتدفق فيها الدم بشكلٍ أكبر ما يعني نشاطًا أكبر - ثم طلب منهم التحديق في صورة الشخص الذي كان سببًا في التهوين من أمر الانفصال، فيما يقوم الماسح الضوئي بجمع صور لأدمغتهم، وإظهار شريحةٍ واحدةٍ في كل مرة.

ثم خضع بعدها المتطوعون إلى جهاز تحليل الخلايا الحسية العصبية، وهو جهاز ينقل الحرارة عبر جلد الساعد، ويستخدم لمعرفة المستويات المرتفعة للحرارة المزعجة في ذراع المتطوع في فترة لا تزيد عن سبع ثوان. في البداية سببت تلك الحرارة انزعاجًا خفيفًا للمتطوعين، لكنها ارتفعت بعد ذلك حتى وصلت إلى مستويات مؤلمة ٨/١٠، إذ تشير الدرجة الأخيرة إلى «مستوى لا يحتمل».

وعندما قارن العلماء صور الدماغ القبلية بالبعدية لتلك التجربة، وجدوا أن نشاط المناطق الدماغية للمتطوع عند التعرّض للتهوين من معاناة الانفصال العاطفي يتطابق مع التعرّض للألم الجسدي المرتبط بارتفاع درجة حرارة الساعد.

يقول غاري وينش: تخيّل أنك تقوم بعملك، أو دراستك، أو بعض مسؤولياتك حينما يقترب الألم الذي تعانيه من مستويات: «لا تحتمل»، وإحساسك هذا ليس لبضع ثوان كما في التجربة، بل هو يسكنك لوقت يمتد لأشهرٍ أو أكثر.

هل مرّ أحد المقربين منك بتجربة آلمته وشوشته، ولمته على عدم قدرته على التماسك لأن الحدث لا يستحق كل هذا الألم؟ إذًا، لعلها تقودك إلى التعاطف المستحق.

بل هل مررت بتجربة مؤلمة لم يحترم ألمك فيها بعض مَن تحبهم ولكأن ألمك وهم؟ هل لمت نفسك على حزنك؟ إذًا، ربما تحتاج إلى أن تتعاطف مع نفسك من جديد، وتدرك أنه ليس من حق أحد التقليل من معاناة آخر، وأن المعاناة مدارها إحساس المتألم لا ماهية الحدث المؤلم.



تتبع إلكتروني

يتحدث الكتاب عن أن الانفصال العاطفي المؤلم قد يحدث عند الطرف المتألم أعراضا انسحابية تشبه أعراض مدمني المخدرات؛ لأن العلاقة كانت تشكل له أمانًا ومؤانسةً تملأ وجدانه، وبعد الانفصال يصبح قلبه خاويًا، فيسعى عقله اللاواعي إلى استعادة المشاعر التي كانت سكنًا له بتتبع أخبار الطرف الآخر في وسائل التواصل الاجتماعي بشكل مستمر، وهي تتيح للمراقب نوعًا من «الاتصال الزائف»، وشكلًا من أشكال استعادة الذكريات التي تشتت آلام الانفصال. ورغم صعوبة التخلي عن هذا السلوك إلا إننا يجب أن ندرك أن ممارسته تعمّق الجرح ولا تشفيه ولا تساعده على الشفاء.



يحكي لنا غاري وينش عن ديف الذي انفصلت عنه حبيبته في المرحلة الجامعية، وظل طوال أحد عشر عامًا يتابعها متخفيًا عبر وسائل التواصل الاجتماعي كلما أصيب بإحباط من زوجته.

لا يرى ديف أن سلوكه مضر، ويصر على أنه لا يشعر بأي حزن دفين، وعندما يناقشه غاري في أسباب سلوكه ويغوص معه في عمق مشاعره، يقول ديف: «في الواقع، لم يكن هناك وخز ضمير - بسبب ردة فعله الغاضبة على هجرانها له- أو شعور بالتوتر، لكن كانت هناك لحظة حنين واشتياق». فيقول له غاري وينش: جرحك العاطفي لم يندمل بعد، ليس جرحًا كبيرًا، أو أنه تصعب معالجته، لكن مراقبتك لها إلكترونيًا سيجعله جرحًا متجددًا. أنت أيضًا تستغل صديقة الجامعة كمنفذ للهروب العاطفي بدلًا من توجيه جهدك نحو حلِّ مشكلاتك مع زوجتك. كما أنك بشكل لا واعٍ تحمي نفسك بهذا التتبع واستثارة الحنين من الإصابة بانكسار جديد من علاقتك الحالية.

يقول غاري وينش: عندما تهم «فجأة» أو «مصادفة » بالتفكير في الشريك السابق وتقرر البحث عنه أو عنها، فإن ذلك عادةً ما يكون ردَّ فعلٍ على وضع يحدث في الحاضر. والطريقة المثمرة لمعالجة مشكلاتك الآنية هي التشاور مع الشريك/الزوج الحالي بدلًا من توجيه تلك المشاعر إلى شخصيات من الماضي.

آليات الشفاء

الشفاء رحلة تتطلب الشجاعة والعزم، وكذلك المعرفة والوعي في الوقت ذاته. وفي الكتاب بعض تفصيل مع الأمثلة لآليات الشفاء

من المعاناة العاطفية. هذه الآليات هي:

فهم الطريقة التي يوجهنا فيها عقلنا المتأثر بالألم نحو خيارات خاطئة. وفي كتاب: (الشعور الجيد) للدكتور: ديفيد دي بيرنز منهج علاجي مكثف يتضمن شرح التشوهات الإدراكية التي تضلل عقولنا.

مكافحة الميل إلى الإدمان للإبقاء على أثر لأولئك الذين فقدناهم، سواء عن طريق ذكرياتهم، أو مقتنياتهم، أو التتبع الإلكتروني لهم.

إعادة بناء احترامنا لذاتنا من خلال ممارسة العطف الذاتي في كتاب: (لا يطعم الفلامنكو) للدكتور محمد طه نموذج علاجي.. الهدف منه فهم صعوبات النفس ومساعدتها على النضج والنمو النفسي. ومعالجته لموضوع العطف الذاتي مفصّلة وعملية.

وتبنّي فكرة التأمل الذهني - التركيز في النشاطات الحاضرة- لمكافحة الأفكار الوسواسية الناتجة عن الفقدان.

ومعرفة الفراغات التي خلفتها حالة الانكسار في حياتنا، واتخاذ الخطوات اللازمة لملئها.

وإعادة التواصل مع ذواتنا، والتعرّف عليها من جديد، لأن ألم الفقدان يقودنا إلى النظر إلى أنفسنا من خلال قصصنا المنتهية، وهذا يُصعّب علينا رحلة التواصل المتوازن مع النفس.

إنصاف

يؤكد الكتاب على أن التعاطف حقٌّ لكل متألم، وأن المعاناة مدارها إحساس صاحبها لا نوع الحدث الذي تسبب فيها، لكنه أيضًا ينبّه المتألمين إلى فكرة لعلها تحتاج مزيد تأمل، وهي عدم إثقال كاهل الذين يقدمون لنا الدعم، وعلينا تقبل أن الدعم قد يتفاوت بحسب أحوالهم النفسية، وضغوطات حياتهم، ولا بدّ لنا أن نستصحب فكرة أنهم يحبوننا، ونستمد منها الأمان والقوة لنخوض رحلتنا الخاصة. رحلتك هي مسؤوليتك، وتحتاج إلى مساعدة نفسك ومساعدة الآخرين، وتراعي اختلاف نفسياتهم، وقدراتهم على الاستيعاب.

آلامنا غير المرئية

أراد د. غاري وينش أن يسلط الضوء على الآلام غير المرئية، والتي لا تنال حظها المستحق من التعاطف، وقدّم تفاصيل جديرة بالتوقف عندها عند كلامه عن رحلة الشفاء، وأظن أنه نجح في غايته من الكتاب.

نشرت الكتاب باللغة العربية دار 'صفحة سبعة' عام ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م بترجمة الأستاذ متعب الشمري، يقع الكتاب في ١٣٨ صفحة من القطع المتوسط، ولغته سهلة،رغم بعض العثرات المتعلقة بصياغة المعاني، والتدقيق اللغوي.

---

* باحثة في قضايا المرأة والأسرة.

(١) طبيب نفسي ومؤلف ومتحدث أمريكي بارز، ترجمت مؤلفاته إلى ٢٣ لغة.

في مديحِ العادي!

■ رائد العيد*

تكاد تكون قصة «الشخص العادي الذي وُلد وعاش ومات عاديًا» مرّت على كثير منكم، فلم يدع المعلمون ولا كتّاب تطوير الذات فرصة إلا وأوردوها في سبيل تحفيز القراء والطلاب، وحثّهم على التميز والإبداع والتفرّد. لكن بعد ضغوطات العصر الحديث ورأسمالية الحياة المعاصرة، بدأت الدعاوى إلى ذم «الإنسان السوبرمان» ومدح الإنسان العادي، ومحاولة الإصلاح بين إنسان اليوم والحياة العادية الرتيبة.

من وحي هذا الصراع -كما أرى- كتب أحمد الحقيل قصصه في عمله قبل الأخير «بيت» ويكتب عمله هذا «أيام وكتب» الصادر عن دار روايات بالإمارات (٢٠٢١م)، والذي سبّب تصنيفه على أنه «رواية» في الغلاف الداخلي إرباكًا للمتلقي، فقارئ الغلاف الخارجي يتوقع كتابًا غير خيالي، يحكي قصة أيام وكتب، وكأننا بانتظار سيرة قرائية للكاتب، خاصة مع عنوانه الفرعي «عام أول»، ما زاد التوقع تأكيدًا بأنها سيرة ستمتد لأعوام، لكن يُفاجئ القارئ بالتصنيف الداخلي على أنه رواية. يسير الكتاب على خطّين يتناوبان الظهور بالترتيب، خط غير منتظمِ العنوان يحكي قصة ناصر وأسرته الصغيرة وملل عمله الحكومي وزياراته لأسرته، وخط آخر انتظمَ عنوانُه «في المكتبة» واختلف محتواه بين مقطع وآخر، بدأ -كما قرأته- بحكاية شغف ناصر بالكتب، جاءت الفصول الأولى أشبه بسيرة قرائية لبطل الرواية، يستعرض فيها منهجه القرائي المعتمد على ما أُحب تسميته «انجرافات القراءة» التي تأخذ القارئ من كتاب لآخر في قراءات



عنقودية يصعب تتبع المنطق فيها، كما يتحدث عن بعض آرائه في الأدب والحياة، ولكن ما إن تتقدم قليلًا في هذا الخط حتى يبدأ بالاشتباك مع الخط الآخر، ويستكمل حكايات العمل والأسرة!

تمتين الهامش

بَيّن بارت في كتابه «أسطوريات» المنشور نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، «أن اللامعنى هو مكان الدلالة الحق»، وأكّد أن تولد المعاني يمكن رصده من خلال الوقوف عند ما تدعوه «الفلسفة العمومية» التي تغذي طقوسنا اليومية، وتحدد لباسنا وحلاقة شعرنا وتنظيم مطبخنا وحفلاتنا، وتدبير شؤوننا اليومية من قراءة للصحف، وارتياد للمسارح، وحديث عن أحوال الطقس وأخبار الإجرام والرياضة.

يشرح عبدالسلام بن عبدالعالي قول بارت في «سيميولوجيا الحياة اليومية»، موضحًا أن الأمر لا يتعلق مطلقًا بما اعتدنا تسميته «ثقافة شعبية» في مقابل «الثقافة العالمة»، كما أنه لا يحلّ إلى المقابلة بين «الوضيع» و«الراقي» بالمعنى القيمي للكلمتين، فموضوع هذه الكتابات أقرب إلى ما اعتدنا أن ندعوه «تفاهات» الحياة اليومية. ويشير إلى تشكُّل اتجاهٍ نقدٍ عند فالتر بنيامين وميشيل دوسرتو وأمبرتو إيكو، لا يقتصر على المعاني كأشكال «سامية»، وإنما يتصيدها في «أتفه» تجلياتها، ويضبطها وهي تتولد وتعمل في معمعة اليومي، قبل أن تتبلور في المفهومات المغرقة في التجريد، والأشكال الثقافية «غير التافهة».



نعود إلى الرواية التي يؤمن بطلها ناصر، أو لعله رأي كاتبها أصالة، بأن «الحياة تكمن في العادي، وأكثر العظيم -شخصًا كان أم حدثًا- هو نتيجة لسياق رتيب، متراكم، وبطيء غالبًا. أما التجارب التي تلخص تلك النتائج الهائلة الحاسمة، والشخصيات التي تمثلها لتصل بنا إلى استنتاجات تماثل الكون ضخامة؛ ليست سوى ذروة مختزلة، معرضة للهشاشة، وربكة التأويل، وفتنة التغليب».

ويُسهب في الاستعراض والاستشهاد لرأيه هذا بقوله: «لا يمكن أن تفهم الرسل مثلًا دون أن تفهم خلفيتهم الاجتماعية.

مجرم تائب وهارب من العدالة، ابن نجار يهيم في الأرض، راعي غنم سابق ووكيل أعمال زوجته. وتستوعب كيف رفض الناس اصطفاءهم بسبب عاديتهم: «**ما هو إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون**». بل إنك لا يمكن أن تفهم العصور دون أن تفهم أناسها العاديين. ولذا، فإن معظم الأدب العربي القديم مجيّر لرصد العادي، وأمهات الكتب هي لليومي، المتحرر من ثقل الميثولوجيا والسياسة والملحميات والدراماتيكيات والوجوديات، الذي يجمع بتراكمه الفردي العادي الرتيب المتكرر تلك الفسيفساء الضخمة. ولذا؛ العظيم ينشأ من العادي وفيه».

يتمحور السرد في الرواية حول الحياة اليومية والتفاصيل الصغيرة بالتقاطات بالغة الدقة وأوصاف بارعة وغوص في خفايا الشخصيات، دون إغفال مناقشة بعض القضايا التي تُعد كبيرةً لدى بعض النقاد؛ كالأزمة الوجودية، وسؤال المعنى، والانتحار.

الانتصار للشفاهية

في البدء كانت الكلمة. كما جاء في مفتتح إنجيل يوحنا، لكنها الكلمة المنطوقة «كُن» ليست المكتوبة. فالكلام جاء في المقام الأول، أما الكتابة فقد ظهرت بعد آلاف السنين. فمن الكلام انحدرت، وتظل محتاجة إليه لتنتعش. يقول الفيلسوف الفرنسي ميشيل تورنييه في كتابه الماتع «مرآة الأفكار»: «إن تاريخ الأدب بأكمله عودة دائمة من طرف الكتابة إلى المنبع الحيّ والمنعش الذي هو الكلام المنطوق. والكاتب العظيم هو من نُصغي إلى صوته، ونتعرّف عليه، ما إن نفتح كتابًا من كتبه. لقد نجح في أن يسبك الكتابة والكلام». جملته الأخيرة وصف دقيق لأسلوب أحمد الحقيل في عمله هذا، فقد أراد كتابة الكلام المنطوق كما هو، أن يخلّد الحياة العادية والأسلوب اليومي للأحاديث العابرة بين الرجل وزوجته، بين الأب وأبنائه، بين الموظف وزميله، بين المرء وأصدقائه، وكذلك بين القارئ وكتبه، فثمة حوارات كثيرة تحتضنها المكتبات المنزلية. ومع تحذير تورنييه من أن «الإفراط في التبعيّة إلى الكلام يظل خطرًا يهدد الكتابة. وإن الكتابة المفرطة في الكلام توشك أن تتخلع وتتفكك، مثل الطريق التي تتشبع بالماء حتى تصير غير سالكة»، إلا إن أحمد استطاع إرواء الطريق دون إشباع، وعلى النص مكتوبًا بأسلوب شفاهي، لا مستعمَرًا من الشفاهي، وعلى النص منسابًا بين الفصيح والعامي دون تكلّف!

* كاتب سعودي.



خلاصة الأيام..
قصةٌ يجب أن تروى

■ د. عبدالواحد بن خالد الحميد*

في "خلاصة الأيام"، يروي الدكتور فهاد بن معتاد الحمد وزير الاتصالات وتقنية المعلومات السعودي الأسبق، بعد تردد، مسيرته الحياتية والدراسية والعملية منذ ولادته في مدينة سكاكا بمنطقة الجوف في عقد الخمسينيات من القرن الماضي إلى أن ودّع الوظيفة العامة متوِّجًا مسيرتَه بالمنصب الوزاري الرفيع.

وبالرغم من المبررات التي ساقها لتفسير تردده في كتابة سيرته الذاتية، فإن تلك المبررات في النهاية لم تصمد، ليس فقط بسبب إلحاح كل الذين عرفوا مسيرته وإنما أيضا لأن مسيرته تحمل ثراءً حقيقيًا سواء في جانبها الحياتي أو الدراسي أو العملي؛ فهي قصة يجب أن تروى كي تكون سجلًا لأحداث ومواقف تتعلم منها الأجيال الناشئة، وتتيقن من أن قوة الإرادة، ومضاء العزيمة، وتحديد الأهداف، وتحويلها إلى خطط مدروسة؛ يمكن أن تحقق ما يصبو إليه الإنسان من أهداف وغايات، مهما بدت في وقتٍ ما بعيدة المنال. فضلًا عن ذلك، فإن كتب السيرة الذاتية عمومًا تسهم في توثيق الكثير من المعلومات والأحداث التي تهم القراء من جميع الشرائح، وِفق اختصاصاتهم وتوجهاتهم وميولهم، وتحظى باهتمام عددٍ متزايد من القراء، حتى أن أدب السيرة الذاتية صار ينافس أدب الرواية والشعر وبعض الفنون الأدبية الأخرى. ولا شك في أن "خلاصة الأيام" تجمع بين كل ذلك، بما لكاتبها الدكتور فهاد الحمد من تجارب ثرية وخبرات متنوعة، يستمتع القارئ بتأملها والاستفادة منها، وهو يبحر عبر صفحات هذا الكتاب الصادر عن مركز عبدالرحمن السديري الثقافي في مائتين وثلاث عشرة صفحة.

حين شرعت في قراءة كتاب

"خلاصة الأيام"، وجدت نفسي منذ اللحظة الأولى مشدودًا أمام سطورٍ تنبض بالصدق والحرارة، وتعيدني إلى أزمنة قديمة ما أزال أحنُّ إليها وأستذكرها في كل حين؛ فالمؤلف هو رفيق دراستي منذ المرحلة الابتدائية، وهو ابن حارتي الصغيرة "الشعيب" بشمالي سكاكا، وهو صديق العمر الذي لم تنقطع الصلة والمودة الصادقة بيننا منذ أن كنا أطفالًا وفي جميع مراحل العمر، رغم تقلبات الحياة، والتباعد الجغرافي الذي فرضته ظروف العمل أو ظروف الدراسة أحيانًا.

تلك العلاقة الوثيقة بالمؤلف ومعرفتي المسبقة بمعظم ما جاء في الكتاب بحكم معايشتي الواقعية للكثير من أحداثه، لم تحرمني من الاستمتاع بقراءته سطرًا سطرًا حتى نهايته، بل إنها زادت من استمتاعي به لأنها كما يقال أتاحت لي "رؤية الغابة من بعيد" وتأملها في شكلها الكلي الأخّاذ واستعادة التفاصيل الصغيرة بعد كل هذا العمر، تلك التفاصيل التي شغلنا إيقاعُها اليومي السريع الهادر عن الوقوف بما يكفي لتأملها والانتباه إلى تشابكاتها ومساراتها ومآلاتها والخيوط الخفية التي جمعت بينها.

يتحدث الدكتور فهاد بشفافية آسرة عن البدايات الأولى، عندما حكمت الظروف المعيشية الصعبة على والده اليتيم أن يرحل، وهو فتىً صغير، بحثًا عن لقمة العيش إلى العراق والشام وفلسطين ثم يعود إلى "ديرته" بعد رحلة شاقة لم تحقق له ما كان يتطلع إليه من آمال في تحسين أحواله المعيشية. وفي الجوف يصطدم الفتى مجددًا بالظروف بالغة الصعوبة، لكنه يقرر أن يخرج من حارته القديمة ويبحث عن مستقبله كيفما يتأتى له ذلك، وبقدر ما تسمح به البيئة الشحيحة في ذلك الزمان، ولكن هذه المرة في "ديرته" وليس خارجها. فكان كل ما تمكن من تدبيره، بعد زواجه، هو بيت طيني صغير ملحق بـ"حوطة" تضم عددًا ضئيلًا جدًا من النخل والأشجار، وتُسقى من سانية متواضعة تسحب الماء من بئر يتنافس على نزح مائها عدد من الشركاء، ولم تكن هناك في ذلك الزمان مضخات لسحب الماء، فكانت السانية المتواضعة لا تفي بالحد الأدنى من احتياجات المزرعة، فضلًا عما جلبته من شقاء لا عائد منه لسد حاجة الأسرة الصغيرة التي بدأ عدد أفرادها يتزايد.



في تلك البيئة أطل فهاد على الحياة. ومنذ البداية وجد أن عليه، بوصفه الابن الأكبر، مشاركة والده ووالدته وبقية أفراد الأسرة في الكدح والعمل المضني، رغم أنه كان ما يزال طفلًا صغيرًا، فكان يساعد في سقي النخل والأشجار وبقية أعمال الحوطة، ويجمع بين ذلك والدراسة. وفي تلك الفترة، شهدت بئر



المزرعة حدثًا مأساويًا أمام أنظار الطفل فهاد، عندما سقط شقيقه الصغير في البئر، ولم تفلح الجهود في إنقاذ حياته؛ فظل ذلك الحادث المأساوي جرحًا فاغرًا في حياة الوالد والوالدة وأفراد الأسرة، ولكن لم يكن ثمة بديل للمزرعة التي رغم ضآلة عائدها وكثرة تكاليفها والجهد المضني الذي تتطلبه من جميع أفراد الأسرة لم تكن تفي حتى بالحد الأدنى من احتياجاتهم. وبسبب ذلك عانت الأسرة من العوز، لكنها ظلت دائمًا مرفوعة الرأس تدير حياتها بكرامة، بفضل الكفاح المستميت للأب، والمساندة العظيمة للأم، وتكاتف أفراد الأسرة.

سارت الأمور على هذا النحو حتى تخرّج فهاد من المرحلة الدراسية المتوسطة. ورغم تفوقه الدراسي، فقد اتخذ قرارًا مصيريًا بعدم إكمال المرحلة الثانوية، ليس تقاعسًا وإنما لرغبته في مساعدة الأسرة، فشد الرحال إلى مدينة الرياض والتحق بمعهد التربية الفنية على أمل الحصول على مكافأة شهرية أثناء الدراسة، ثم التعيين على وظيفة معلم للتربية الفنية بإحدى مدارس الجوف، قريبًا من أسرته. وفي الرياض، وجد الفتى الصغير نفسه غريبًا في سكن طلابي داخلي يعج بالطلبة القادمين من مختلف مناطق المملكة، فكان عليه أن يتأقلم مع بيئته الجديدة وأن يجتهد في التحصيل الدراسي، ويحقق الهدف الذي جاء من أجله. وبالرغم من أنه لم يكن يميل إلى تخصص التربية الفنية وأن الرسم والتشكيل والفنون لم تكن من ضمن خياراته الدراسية الحقيقية، إلا إنه استطاع أن يجتاز بنجاح السنوات الدراسية الثلاث، ويحصل على الترتيب الأول على طلبة دفعته؛ ولعل هذا هو أحد مفاتيح شخصيته، وهو العمل بدأب لتحقيق غاية مرسومة، طالما أنه اتخذ قرارًا بالسير نحو تلك الغاية، وذلك بصرف النظر عن أي اعتبارات أو مثبطات.

عاد فهاد إلى الجوف وصار معلمًا للتربية الفنية في المدرسة المتوسطة التي كان قد تخرج منها قبل ثلاث سنوات، وكان بعض زملائه القدامى ما يزالون في صفوف الدراسة، فوجد نفسه معلمًا لبعض زملائه وزميلًا لبعض أساتذته الذين كانوا قد درَّسوه في المدرسة نفسها. وبعودته، انفرجت بعض الظروف المعيشية لأسرته، وكان أول ما فعله هو أن بنى لأسرته بيتًا صغيرًا من الطوب الإسمنتي بدلًا من بيت الطين القديم، واستكمل بعض الضروريات التي لم تكن متاحة في البيت القديم. لكن ذلك لم يُنسِه آماله الحقيقية التي تتجاوز الحصول على وظيفة معلم وبناء منزل لأسرته واستكمال بعض الضروريات؛ ولهذا، قرر أن يستكمل دراسة المرحلة الثانوية ليلًا مع الاستمرار في عمله معلمًا نهارًا. ولأن الجوف لم يكن فيها مدرسة ثانوية ليلية فقد بدأ يدرس من المنزل بجهده الذاتي ويؤدي الاختبارات مع الطلبة المنتظمين في المدرسة إلى أن حصل على شهادة إتمام دراسة المرحلة الثانوية. وهنا، راودته الأحلام القديمة في استكمال الدراسة الجامعية، ولم يكن بوسعه ترك وظيفته التي صارت هي مصدر دخل الأسرة ولا السفر إلى إحدى المدن التي توجد فيها جامعات فيجمع بين الدراسة والعمل! ومرة أخرى، يلتف فهاد على ظروفه، عندما لاحت أمامه فرصة الانتساب إلى جامعة الملك

عبدالعزيز بجدة طالما أن الانتظام لم يكن متاحًا له بحكم ظروفه.

مضت أربع سنوات شاقة تحمَّل فيها السفر مرارًا بين الجوف وجدة، وحصل بعدها على درجة البكالوريوس في الإدارة العامة بتفوق ودرجة شرف. وبحصوله على الشهادة الجامعية وتَحَسُّن أحوال الأسرة، قرر أن الرحيل قد أزف لملاحقة الأحلام التي ما عادت مجرد أحلام، وإنما أصبحت أهدافًا حقيقية وممكنة، بعد أن استكمل تعليمه الجامعي.

وهنا، وضع الخريج الجامعي الجديد خطوته الأولى على الطريق الذي طالما تاقت نفسه إلى عبوره والإيغال في المضي فيه، مهما كانت الصعوبات. لكن الخريج الجامعي المتوثب وجد مرة أخرى الكثير من المعوقات بانتظاره، وفي مقدمتها المعوقات البيروقراطية التي منعت نقل خدماته من الجهة الحكومية التي كان يعمل فيها إلى جهة أخرى تتيح له مواصلة الدرب الذي اختاره، وبعد جهد جهيد ومعاناة شديدة تمكن أخيرًا من الحصول على موافقة وزارة المعارف للنقل منها إلى جهة أخرى، وكانت تلك الجهة هي معهد الإدارة العامة بالرياض حيث تم تعيينه بوظيفة "مساعد مدرب" التي تعادل وظيفة "معيد" بالجامعات. وتلك كانت لحظة فارقة جدًا في حياة فهاد، إذ وجد نفسه بعدها في بيئة علمية ذات ثقافة مختلفة عن كل ما عرفه قبل ذلك. وقد أتاح له الالتحاق بالمعهد أن يحصل على بعثة دراسية إلى الولايات المتحدة للحصول على درجَتَي



د. فهاد معتاد الحمد ود. عبدالرحمن خالد الحميد

الماجستير والدكتوراه.

والقصة بعد ذلك تطول. لكن الفتى الذي ولد ونشأ في ظروف بالغة القسوة، عاد "دكتورًا" إلى أرض الوطن، وأصبح عضوًا في هيئة التدريب بمعهد الإدارة العامة ومنسقًا لبعض قطاعاتها إلى أن صدر قرار مجلس الوزراء بتعيينه على وظيفة نائب مدير عام المعهد للبحوث والمعلومات بالمرتبة الخامسة عشرة، ثم عضوًا في مجلس الشورى، ثم مساعدًا لرئيس مجلس الشورى، وانتهى به المطاف وزيرًا للاتصالات وتقنية المعلومات.

هكذا مضت الأيام التي سكب الدكتور فهاد الحمد خلاصتها في كتاب شائق أسماه "خلاصة الأيام" فكانت الخلاصة ذوبَ مسيرةٍ شاقة وحافلة لإنسانٍ انتصر على ظروفه وحقق أحلامه وطموحاته، وهو كتابٌ يستحق القراءة والتأمل والاستفادة مما ورد فيه.

* الاقتصادي والكاتب، ونائب وزير العمل، وعضو مجلس الشورى، والأستاذ بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن (سابقًا).

تقرير

النشاط الثقافي (يناير - يونيو ٢٠٢١) في مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

■ محمد صلاح أبو عمر

ترجم مركز عبدالرحمن السديري الثقافي رؤيته، ورسالته، ورغبة قياداته، وتوجّه المملكة العربية السعودية في التعامل مع مستجدات الثقافة السعودية ومتطلباتها، من أجل تجاوز التحدّيات وتحقيق التطور الثقافي، الذي يُلبي احتياجات المثقفين والمثقفات السعوديين باختلاف تخصصاتهم ومساراتهم الإبداعية.

رقمنة النشاط الثقافي

جاءت «رقمنة فعاليات النشاط الثقافي» سمةً مميزة له خلال جائحة كورونا، بعد توقف الفعاليات الثقافية الحضورية، وتحولها إلى الفضاء الافتراضي، في المحاضرات والملتقيات والمناشط المختلفة، وحرصا من المركز على استمرار تدفق الينبوع الثقافي من المركز وفروعه المختلفة والتي تمثل النقلة النوعية في الحراك الثقافي الوطني إحدى أهم مظاهر التحول التنموي والحضاري الكبير، الذي تشهده المملكة منذ إطلاق رؤيتها الطموحة «المملكة ٢٠٣٠».

ومما لا شك فيه أن الثقافة الرقمية قد وسَّعت خبرات المتعلمين، وأسهمت في إضافة موسوعة من المفاهيم والمعارف إلى عالمهم، فتجاوزوا بذلك الحدود الجغرافية والزمانية نحو ثقافة الشعوب الأخرى، إلا إنها وضعت المحاضر، والمدرب، والمعلم أمام تحدٍّ كبير نحو تطوير مهاراته الرقمية والتدريب المستمر عليها، وعلى الأنظمة التقنية المختلفة والبرامج ووسائلها ليصبح عضوًا فاعلًا في المنظمة التعليمية. وأخيرًا، وليس آخرًا، لا بد أن يملك جميع أفراد المجتمع الوعي الكافي نحو الثقافة الرقمية وكيفية توظيفها في مؤسساتنا الثقافية والتعليمية بما يضمن جودة التعليم والتحسين المستمر في المخرجات.

وخلال الأشهر الستة الماضية (يناير - يونيو ٢٠٢١م)، كانت أبرز المحاضرات واللقاءات والملتقيات في المركز على النحو الآتي:

أولا: المحاضرات والبرامج العامة:

م	النشاط	المشاركين	التاريخ
١	محاضرة: (المهارات القيادية ورؤية ٢٠٣٠م	د. رغد صالح المبيض	٢٠٢١/٠١/١٠م
٢	محاضرة: (الإنتاجية الشخصية)	أ. رغد الصالح المبيض، وأدارها الإعلامي/محمد هليل الرويلي	٢٠٢١/١٠/١٠م
٣	محاضرة: (تطوير أداء معلمات رياض الأطفال)،	أ. نورة السهلي	٢٠٢١/١/١٣م
٤	محاضرة: (تبسيط القواعد النحوية ٢)	المعلم: محمد صلاح أبو عمر	٢٠٢١/١/١٨م
٥	محاضرة: (لون حياتك) التفكير الإيجابي ودوره في النجاح،	المدربة: مشاعل العليان، وأدارتها أ. مجد الغميز	٢٠٢١/١/٢٠م
٦	محاضرة: (إدارة النزاعات بين الأفراد)	أ. عبدالحكيم الخالدي، رئيس قطاع السلوك التنظيمي - معهد الإدارة العامة، وأدارها: أ. سلمان الغشم، مستشار قانوني لمجموعة سلطان للمحاماة	٢٠٢١/١/٢٥م
٧	محاضرة: (تقدير الذات وبناء شخصية الابن)	د. عبدالله الحسين، المشرف العام على التعليم والتدريب في جمعية عيون الخيرية	٢٠٢١ ١/٣١م
٨	برنامج تحليل رسومات الأطفال	المدربة أنوار السهيان	٢٠٢١/١/٣م
٩	برنامج (مبادرة الطريقة الصحيحة لتأسيس طفلك)	أ. جميلة الزحيفي	٢٠٢١/١/٢١م
١٠	برنامج (مهارات إدارية ٢٠٣٠)	المدرب: عبدالعزيز الحجوري	٢٠٢١/١/٢١م
١١	محاضرة: (صحح أخطاءك في الهمزات)	أ. محمد صلاح أبو عمر	٢٠٢١/٢/١٣م
١٢	محاضرة: (أساليب تربية الأطفال في الإسلام)	أ. نورة السهلي، وأدارتها: أ. ناهد جعفر	٢٠٢١/٢/١٧م
١٣	محاضرة: (أخلاقيات القيادة التربوية)	د. خالد الظاهري، وأدارها: أ. محمد هليل	٢٠٢١/٢/٢٨م
١٤	محاضرة: (تاريخ شبه الجزيرة العربية)	أ. د. زيدان كفافي	٢٠٢١/٢/٢م
١٥	محاضرة: (السياحة الريفية -الغاط أنموذجًا)	د. سلمان بن عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٢/١٦م
١٦	محاضرة: (السرطان بين إرث الماضي وتحديات الحاضر والمستقبل)	د. عاصم منصور، الرئيس التنفيذي لمركز الحسين للسرطان بالأردن	٢٠٢١/١/١٧م
١٧	برنامج: (اعرف حقك)	معلمات ابتدائية الرحمانية	٢٠٢١/٢/٣م
١٨	برنامج: (الإدارة الذاتية الناجحة)	معلمات ابتدائية الرحمانية	٢٠٢١/٢/٨م
١٩	برنامج: (مفهوم الصحة)	معلمات ابتدائية الرحمانية	٢٠٢١/٢/٩م
٢٠	برنامج: (فن الاعتذار)	معلمات ابتدائية الرحمانية	٢٠٢١/٢/١٠م
٢١	برنامج: (الاستراتيجيات الصحيحة للتعلم عن بعد)	معلمات ابتدائية الرحمانية	٢٠٢١/٢/١٥م
٢٢	برنامج: (البحث العلمي بين الصناعة والإلهام)	معلمات ابتدائية الرحمانية	٢٠٢١ /٢/١٦م
٢٣	برنامج: (التنمر وكيفية التعامل معه والحد من انتشاره)	معلمات ابتدائية الرحمانية	٢٠٢١/٢/١٧م
٢٤	برنامج: الكشف المبكر للأطفال	معلمات ابتدائية الرحمانية	٢٠٢١/٢/٢٣م
٢٥	محاضرة: (أطفالنا وسلوكهم المرغوب وغير المرغوب)	المدربة: فوزية الحربي	٢٠٢١/٢/٢٣م

٢٦	محاضرة: (حدد مسارك) بالتعاون مع إدارة التدريب والتطوير بتعليم الجوف	أ. فيصل العنزي	٢٠٢١/٣/١٠م
٢٧	محاضرة: (مقومات السياحة في منطقة الجوف)	أ. حسين الخليفة، وأدارها: أ. عبدالرحمن البراهيم	٢٠٢١/٣/٢٢م
٢٨	محاضرة: (الاستثمار الرياضي)	سمو الأمير عبدالله بن مساعد، وأدراها: أ. مريح المريح	٢٠٢١/٣/١٦م
٢٩	محاضرة: (فن الإتكيت)	المستشارة: إلهام الشريف	٢٠٢١/٣/١١م
٣٠	محاضرة: (التفكير الفلسفي)	د. هند الحازمي	٢٠٢١/٣/١٧م
٣١	محاضرة: (الأمم نهج ورسالة)	د. حنان ونيس الربيع	٢٠٢١/٣/٢١م
٣٢	محاضرة: (الذكاء الاصطناعي ونظم دعم القرار)	للمدرب: د. فهد العضياني	٢٧ /٢٠٢١/٣م
٣٣	محاضرة: (صحح أخطاءك الإملائية ٢)	أ. محمد صلاح أبو عمر	٢٠٢١/٤/٧م
٣٤	محاضرة: (علمني رمضان)	أ. سعد خميس الشراري	٢٠٢١/٤/١٨م
٣٥	محاضرة: (السوك الغذائي في رمضان)	الأخصائية الغذائية أ. نوف الشتيوي	٢٠٢١/٤/٢٨م
٣٦	محاضرة: (الصوم وأثره في تهذيب النفس)	الشيخ: عبدالمحسن محمد العامر، مدير المعهد العلمي بالغاط	٢٠٢١/٤/٢١م
٣٧	محاضرة: (وسائل التواصل الاجتماعي والشباب)	د. خالد بن عمر الرديعان، أستاذ علم الاجتماع بجامعة الملك سعود	٢٠٢١/٥/٢٥م
٣٨	محاضرة: (مهارات فن العرض والإلقاء)	الكابتن: عبدالله الزهراني	٢٠٢١/٦/٢م
٣٩	محاضرة: (هل نحن في مواجهة «جائحة» من الأمراض غير المعدية؟) من مدينة ملبورن بأستراليا	د. ملفي إبراهيم الخنجر	٢٠٢١/٦/٦م
٤٠	محاضرة: (وقتك الفعّال)	أ. فيصل العنزي، مدرب في إدارة التدريب والابتعاث بتعليم الجوف	٢٠٢١/٦/١٦م
٤١	محاضرة: (تحليل البيانات وأهميتها في حياتنا اليومية) من مدينة واشنطن الأمريكية	أ. عبدالله الدوسري	٢٠٢١/٦/٢٧م
٤٢	محاضرة: (صناعة الترجمة والمترجم)	د. محمد بن أحمد الجبالي، مركز الترجمة - جامعة الملك سعود	٢٠٢١/٦/٨م
٤٣	برنامج (كيف تعد سيرتك الذاتية باحتراف)	القسم النسائي بدار الرحمانية	٢٠٢١/٦/٢م
٤٤	برنامج (الإسعافات الأولية للصغار)	بالتعاون مع مدينة الغاط الصحية ومستشفى الأمير ناصر السديري.	٢٠٢١/٦/٩م
٤٥	برنامج (التسويق والمبيعات)	بالتعاون مع معهد الخليج	١٤، ١٥، ٢٠٢١/٠٦/١٦م

ثانيًا: البرامج والفعاليات والأنشطة الموجهة للأطفال:

م	النشاط	المشاركين	التاريخ
١	برنامج قصة الأسبوع	القسم النسائي بدار الرحمانية	متجدد أسبوعيًا
٢	برنامج إعادة التدوير	القسم النسائي بدار الرحمانية	متجدد أسبوعيًا
٣	برنامج رسمة ولون	القسم النسائي بدار الرحمانية	متجدد أسبوعيًا
٤	حلقات تحفيظ القرآن الكريم	القسم النسائي بدار الرحمانية	متجدد أسبوعيًا
٥	برنامج (اصنعها بنفسك)	القسم النسائي بدار الرحمانية	متجدد أسبوعيًا
٦	فوازير رمضان	القسم النسائي بدار الرحمانية	خلال شهر رمضان



٧	مسابقة أجمل طبق رمضاني	القسم النسائي بدار الرحمانية	خلال شهر رمضان
٨	مسابقة أفضل ركن استعداد رمضاني	القسم النسائي بدار الرحمانية	خلال شهر رمضان
٩	مسابقة دار العلوم (القارئ المبدع)	عبر حساب الدار بتويتر وصفحة فيس بوك وقناة تليجرام.	متجدد أسبوعياً
١٠	انطلاق كرنفال الطفل الثقافي في مركز عبدالرحمن السديري الثقافي مع الالتزام بالإجراءات الاحترازية والوقائية تم خلاله تنفيذ عدة أركان تعليمية ترفيهية للأطفال: (ركن المخترع الصغير. ركن الطين الملون، ركن التركيبات الورقية، ركن الرسم وإعداد التماثيل ثلاثية الإبعاد).		

ثالثا: الدورات التدريبية والتعليمية وورش العمل والمسابقات واللقاءات والمبادرات:

م	النشاط	المشاركين	التاريخ
١	إنشاء فرصة تطوعية لمتطوعات مكتبة منيرة الملحم لمبادرة (انطلاقة) عبر منصة العمل التطوعي	مشرفات مكتبة منيرة الملحم	٢٠٢١/١/٣م
٢	إقامة برنامج تحليل رسومات الأطفال	المدربة: أنوار السهيان	٢٠٢١/١/٣م
٣	مهرجان (شتاء الغاط ومنتجو الغاط)	بالمشاركة مع لجنة التنمية الاجتماعية الأهلية بالغاط	١-٦/١/ ٢٠٢١م
٤	مسابقة ثقافية يومية في ركن المركز خلال مهرجان شتاء الغاط		١-٦/١ /٢٠٢١م
٥	إقامة فريق رايدرز القصيم (الدرجات النارية) برنامج تكريم للأعضاء المشاركين في الجولة من منطقة الشرقية والرياض والقصيم		٢٠٢١/١/٢م
٦	دورة (دراسة الجدوى السوقية والتسويقية)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/١/٥م
٧	دورة: (ويبنار استثمري في نفسك)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/١/٥م
٨	دورة: (القراءة الذكية)	المدربة: أ. رباب النهار	٢٠٢١/١/٦م
٩	دورة: (دراسة الجدوى السوقية والتسويقية)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/١/٥م
١٠	دورة: (الإجراءات القانونية اللازمة لإنشاء مشروعك)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/١/٦م
١١	دورة: (صحافة الأعمال الريادية)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/١/١٠م
١٢	دورة: (الدراسة المالية)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/١/١١م
١٣	دورة: (إدارة المحتوى على الشبكات الاجتماعية)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/١/١٢م
١٤	دورة: (التميز في خدمة العملاء)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/١/١٣م
١٥	دورة: (المرأة والابتكار)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/١/١٣م
١٦	دورة: (مهارات استخدام محرك قوقل سكولر)	أ. ميعاد الرويلي	٢٠٢١/١/٢٠
١٧	المهارات الإبداعية في رفع مستوى التحصيل الدراسي للطالبات	أ. أريج المطلق وأ. منى شكري	٢٠٢١/١/٢٤م
١٨	عرض كتاب: (البدايات وما قيل عنها) تأليف: أ. محمد القشعمي	لقاء ملتقى القراءة رقم (٣٨) بدار الرحمانية	٢٠٢١/١/٢٧م
١٩	دورة: (الفهم القرائي)	أ. منى محمد	٢٠٢١/١/٢٨م
٢٠	استضافة إدارة الموارد البشرية لعمل المقابلات الوظيفية لبعض شركات منطقة الجوف على مسرح دار العلوم		٢، ٢٠٢١/٢/٣م
٢١	دورة: (الدراسة المالية)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٢/١م
٢٢	دورة: (التسويق الذكي)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٢/١م



٢٣	دورة: (بناء علامة تجارية نسائية سعودية)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٢/٢م
٢٤	دورة: (التسويق الذكي)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٢/٢م
٢٥	دورة: (إدارة المشاريع باستخدام AGILE)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٩، ١٠، ١١-٠٢-٢٠٢١
٢٦	دورة: (ما الذي يتوجب على ريادي الأعمال معرفته عن المستثمر الملائكي؟)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	١١، ١٦-٢٠٢١/٢/١٧م
٢٧	دورة: (طرق تمويل المشاريع الريادية)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٢/١٦م
٢٨	دورة: (حديث رياديات)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٢/١٧م
٢٩	مبادرة: (نأتي إليك)، زيارة الأحوال المدنية في سكاكا للقسم النسائي لتقديم الخدمات لمنسوبات المركز.	تقدمها وكالة وزارة الداخلية للأحوال المدنية	٢٠٢١/٢/٢١م
٣٠	دورة: (الإجراءات القانونية لإنشاء مشروعك الريادي)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٢/٢٢م
٣١	لقاء: (المرأة والاستثمار الملائكي)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٢/٢٣م
٣٢	لقاء: (عالم التجميل)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٢/٢٣م
٣٣	لقاء: (تنسيق الأزياء وتناغم المظهر)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٢/٢٤م
٣٤	دورة: (أساسيات ومبادئ الاستثمار) ضمن البرامج المشتركة مع جامعة الجوف	د. محي الدين محمد	١٥، ٢٠٢١/٣/١٦م
٣٥	دورة: (التخطيط وإدارة مرحلة التقاعد) ضمن البرامج المشتركة مع جامعة الجوف	المدرب: د. أسامة محمد أحمد عناد	٢٠٢١/٣/٢٣م
٣٦	دروة: (مهارات السكرتارية وإدارة المكاتب) ضمن البرامج المشتركة مع جامعة الجوف	د. محمد رشدي أحمد	عن بعد ٢٩، ٢٠٢١/٣/٣٠م
٣٧	أمسية أسرية (كيف يصبح طفلي قياديا؟)	للمدربة: أ. فاطمة با أسعد	٢٠٢١/٣/١م
٣٨	لقاء (الريادة النسائية في المجالات التقنية)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٣/٢م
٣٩	مبادرة: (الطريقة الصحيحة لتأسيس طفلك)	أ. جميلة الزحيفي	٢٠٢١/٣/١١م
٤٠	دورة: (إدارة وتنظيم المشروع الريادي)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٣/١١م
٤١	مبادرة (تعرف على سوقك ٢)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٣/١٦م
٤٢	دورة (نموذج العمل التجاري)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٣/١٧م
٤٣	لقاء (الفرص الريادية في مجال الازياء)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٣/١٧م
٤٤	مبادرة: بتحصيلي أرتقي لمادتي (الأحياء، وعلم البيئة).	معلمات مدرسة الرحمانية	٢٠٢١/٣/٢١م
٤٥	دورة: (إعداد خطة عمل مشروعك)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٣/٢٢م
٤٦	دورة: (أطلقي مشروعك الريادي في الأزياء، التجميل، المجوهرات، التعليم والثقافة)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٣/٢٢م
٤٧	أمسية أسرية: (مهارات التعامل بين الزوجين)	المدربة: أ. فاطمة باسعد.	٢٠٢١/٣/٢٣م
٤٨	تحت رعاية أ. د. مشاعل بنت عبدالمحسن السديري، أقيم حفل تخرج حافظات القرآن الكريم في حديقة دار العلوم		٢٠٢١/٣/٢٣م
٤٩	أمسية أسرية: (فنون التعامل مع كبار السن) بالتعاون مع جمعية سوار للتنمية الأسرية	المدربة: أ. فوزية الحربي	٢٠٢١/٣/٣٠م

م	النشاط	المشاركين	التاريخ
٥٠	مناقشة كتاب: (تصريف كسيدة وفكري كرجل)	ملتقى القراءة بمكتبة منيرة الملحم	٢٠٢١/٣/٣١م
٥١	تحت رعاية أ. د. مشاعل عبدالمحسن السديري أقيم حفل تكريم أطفال مبادرة (الطريقة الصحية لتأسيس طفلك).		٢٠٢١/٤/١م
٥٢	زيارة القائمة بأعمال سفارة الولايات المتحدة الأمريكية لدى المملكة مارتينا سترونغ، والوفد المرافق لها لمركز عبدالرحمن السديري الثقافي، حيث كان في استقبالهم المدير العام، وقدم شرح عن المركز وأهدافه وأنشطته وبرنامج النشر.		٢٠٢١/٤/٥م
٥٣	دورة (كيف نبدأ في التجارة الالكترونية)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٤/١٣م
٥٤	دورة (تأسيس المتاجر الالكترونية وتشغليها)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٣/١٧م
٥٥	دورة (إدارة الجودة في المشروع)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٤/١٧م
٥٦	دورة (إيجاد الموردين والاستيراد والشحن)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٤/١٨م
٥٧	دورة (إدارة الجودة في المشروع)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٤/٢٠م
٥٨	دورة: (أسرارمشاريع تطبيقات الجوال)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٤/٢١م
٥٩	ندوة خط التابلاين (والبعد التنموي والثقافي)	هيئة التراث	٢٠٢١/٥/٢م
٦٠	لقاء (تحقيق الاستقرار للمنشآت الصغيرة)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٥/٥م
٦١	عقد الاجتماع السنوي للمجلس الثقافي بحضور سعادة مساعد المدير العام أ. د.مشاعل بنت عبدالمحسن السديري، ومشرفة القسم النسائي أ. حكيمة الرويلي، وعضوات المجلس، وذلك لعرض خطة الأنشطة للعام ٢٠٢١ -٢٠٢٢م		٢٠٢١/٥/٢٠م
٦٢	اجتماع مشرفة القسم النسائي مع أمينة المكتبة وقائدة فريق السديري التطوعي، وأعضاء من الفريق للتجهيز والاستعداد لانطلاق كرنفال الطفل الثقافي.		٢٠٢١/٥/٢٤م
٦٣	اجتماع سعادة مساعدة المدير العام أ. د. مشاعل السديري، ومشرفة القسم النسائي أ. حكيمة الرويلي مع أ. مهند الهادي لمناقشة مبادرة (أواصر).		٢٠٢١/٥/٢٤م
٦٤	اجتماع مشرفة القسم النسائي ورئيسة الفريق الكشفي مع أعضاء الفريق الكشفي للتعريف بأساسيات الكشافة والتدريب على الصياحات الكشفية وآلية المشاركة بكرنفال الطفل الثقافي.		٢٠٢١/٥/٢٤م
٦٥	لقاء: (بزنس تو بزنس الزهور)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٦/١م
٦٦	لقاء: (ضبط الإدارة المالية للمنشآت الناشئة)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٦/٨م
٦٧	لقاء: (الكشف عن وجود أرباح الشركات والتعرف على الأرباح الحقيقية والأرباح الدفترية الوهمية)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٦/٢٢م
٦٨	لقاء: (نظام العمل والعمال)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٦/٢٢م
٦٩	لقاء: (إدارة المشاريع التقنية لغير التقنين)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٦/٢٩م
٧٠	لقاء: (تصحيح المسار وكشف تكاليف التشغيل الخفية)	حاضنة رياديات مركز عبدالرحمن السديري	٢٠٢١/٦/٣٠م

رابعًا: فعاليات وبرامج وملتقيات وندوات مكتبة منيرة الملحم:

م	النشاط	المشاركين	التاريخ
١	عرض كتاب: (حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر ج١، ج٢).	ملتقى كنوز مكتبة منيرة الملحم	٣-٢٠٢١/١/١٠م
٢	عرض كتاب: (عمل المرأة السعودية في وسائل الإعلام.. التحديات والإنجازات)، وكتاب: (عيوب المنطق).	ملتقى كنوز مكتبة منيرة الملحم	١٧- ٢٠٢١/١/٢٤م



٣	عرض قصص: (الثعلب المكار والكنز)، (الذئب المحتال)، (الشبل أرنوب)، (الأرنب النشط والأرنب الكسول)، (بائع اللبن)، (الله يرانا)، (صاحب الرائحة الطيبة)	ملتقى القراءة الجهرية حكايا عبر سناب شات المكتبة	٤، ١١، ١٨، ٢٠٢١/١/٢٠م
٤	ورشة: (التثقيف المالي).	لجنة التنمية المجتمعية النسائية بالرياض وبرنامج إجفند	٢٠٢١/١/٢٠م
٥	برنامج: (مفهوم الصحة)	ماي أسوسيوباني	٢٠٢١/١/٢٦م
٦	برنامج صحي: (ارفع مناعتك)	حاضنات رياديات مكتبة منيرة الملحم	٢٠٢١/١/١٧م
٧	مبادرة (نبراس المعرفة) والتي تهدف إلى دعم طالبات التعليم بتوفير مصادر التعلم وفتح منصة مدرستي داخل مكتبة منيرة الملحم وهي مستمرة طوال الموسم الدراسي.	مشرفات مكتبة منيرة الملحم	مستمر
٨	مبادرة (انطلاقة) والتي تهدف إلى مساعدة أولياء الأمور إلى تأسيس الأبناء في القراءة الصحية.	أربع متطوعات	٢٠٢١/١/٤م
٩	ورش: (الدراسة التسويقية)، (استثمري نفسك)، (الإجراءات القانونية اللازمة لإنشاء مشروعك الريادي)، (جلسة إرشادية)، (إدارة المحتوى على الشبكات الاجتماعية)، (التميز في خدمة الأعمال)، (الدراسة الفنية).		خلال شهر يناير
١٠	المشاركة في مهرجان شتاء الغاط (ركن تعريفي ببرامج وأنشطة المكتبة - سينما خاصة بالطفل لعرض الأفلام ذات قيم أخلاقية طوال مدة المهرجان).		٥-٦، ٩-١٠، ١٢-١٣، ٢٠٢١/١/١٩م
١١	مسابقة القراءة والتلخيص الثالثة للفتيات.		١-٢٠٢١/١/٦م
١٢	عرض كتاب: (الاحتياجات المجتمعية للمرأة في محافظة الغاط ج٢).	ملتقى كنوز مكتبة منيرة الملحم	٢٠٢١/٢/٧م
١٣	عرض كتب: (التدريب التشاركي - لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟ - القطيعة في الأدلة الأربعة).	ملتقى كنوز مكتبة منيرة الملحم	٢٠٢١/٢/١٤م
١٤	مبادرة: (نبراس المعرفة) والتي تهدف إلى دعم طالبات التعليم بتوفير مصادر التعلم وفتح منصة مدرستي داخل مكتبة منيرة الملحم وهي مستمرة طوال الموسم الدراسي.		مستمر طوال الموسم الدراسي
١٥	مبادرة: (انطلاقة) والتي تهدف إلى مساعدة أولياء الأمور إلى تأسيس الأبناء في القراءة الصحية	٤ متطوعات	مستمر لشهر فبراير
١٦	اختبار المتسابقات في مسابقة (القراءة والتلخيص الالكترونية الثالثة)		٢٠٢١/٢/٢١م
١٧	ملتقى القراءة (٢١) حضوريًا في قهوة زهرة البن بمحافظة الغاط ملتقى القراءة	د. منى جابر	٢٠٢١/٣/٨م
١٨	برنامج: (البحث العلمي.. خطواته وإجراءاته)		٢٠٢١/٣/١٤م
١٩	برنامج: (الصحة النفسية) بالتعاون مع مركز مايو استيوباثي		٢٠٢١/٣/٢٨م
٢٠	برنامج: (مهارات الحوار في الطفولة المبكرة)	منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والعلم والثقافة وأكاديمية الحوار الوطني	٢٠٢١/٣/٢١م

٢١	ورش: (أسرارمشاريع تطبيقات)، (كيف تختارين مشروعًا ناجحًا)، (نموذج العمل التجاري ودراسة الجدوى)، (إدارة العلامة التجارية الإلكترونية)، (تأسيس المتاجر الإلكترونية وتشغيلها)،. (إيجاد الموردين والاستيراد والشحن)، (إدارة الجودة في المشروع)		٣، ١١، ١٤-١٥، ١٧-١٨، ٢١- ٢٠٢١/٣/٢٣م
٢٢	مبادرة: (رمضان الخير) لتوزيع السلة الرمضانية على العمالة في محافظة الغاط.		٢٠٢١/٤/١م
٢٣	برنامج: (لنكن مسعفين) لمدة ٤ أيام.		٢٠٢١/٤/٥م
٢٤	مبادرة: (خذ ابتسامتك) وهي إحدى مبادرات التدريب الميداني.		٢٠٢١/٤/٦م
٢٥	انطلاق من مبادرة سمو ولي العهد (السعودية خضراء) نفذ القسم النسائي بدار الرحمانية مبادرة (لنجعلها خضراء) لتشجير منتزه الغاط الوطني.		٢٠٢١/٤/٦م
٢٦	برنامج: (كيف أصنع قائمة تساعدني للحفاظ على صحتي)	بالتعاون مع ايو أوستيوباثي	٢٠٢١/٤/٦م
٢٧	لقاء: (حوار مع عاشق الجبال)	د. عبدالله القويز، وأدار اللقاء اللواء طيار عبدالله السعدون	٢٠٢١/٤/٧م
٢٨	عرض كتب: (كبر دماغك) (الدراسات الدبلوماسية) (العمر والإبداع)	ملتقى كنوز مكتبة منيرة الملحم عبر سناب شات الخاص بالمكتبة	خلال شهر مايو
٢٩	عرض كتب: (فضل وآداب ليلة الأقدر)، (قلعة اللصوص)، (الرفق بالحيوان)، (سارق الجزر)	ملتقى القراءة الجهرية حكايا عبر سناب شات الخاص بالمكتبة	خلال شهر مايو
٣٠	ورش: (تحقيق الاستقرار للمنشآت الصغيرة)، (كيف أصنع خطة استراتيجية)، (تخطيط الحمالات الاعلانية)، (تجارب واقعية في البزنس)، (ضبط الإدارة المالية للمنشآت الناشئة)، (نظام التجارة الإلكترونية)، (الملكية الفكرية)، (خطط لمشروعك بسهولة)، (تسويق)، (نظام العمل والعمال)، (الكشف عن وجود أرباح الشركات والتعرف على الأرباح الحقيقية والأرباح الدفترية «الوهمية»)، (إدارة المشاريع التقنية لغير التقنين)، (تصحيح المسار وكشف تكاليف التشغيل الخفية)، حاضنات رياديات مكتبة منيرة الملحم		٥، ٢٦/٥/٢٠٢١م
٣١	دورة: (تأسيس اللغة الإنجليزية) للأطفال	معهد الخليج للنساء	٢٠٢١/٦/٢٠م
٣٢	برنامج: (كيف تعد سيرتك الذاتية باحتراف؟)	حاضنات رياديات مكتبة منيرة الملحم	٢٠٢١/٦/٢٠م
٣٣	برنامج: (الإسعافات الأولية للصغار)	مدينة الغاط الصحية ومستشفى الأمير ناصر السديري	٢٠٢١/٦/٩م
٣٤	برنامج: (التسويق والمبيعات) لمدة ٣ أيام	معهد الخليج	٢٠٢١/٦/١٤م
٣٥	برنامج: (رحلة سياحية داخل المحافظة لأطفال ومتطوعات) زار فيها الأطفال متحف الغاط ونادي الحمادة الرياضي	نادي مكتبة منيرة الملحم الصيفي	٢٠٢١/٦/١٦م
٣٦	برنامج سينما العائلة وتم عرض فلم (Dora and the lost city of gold).	نادي مكتبة منيرة الملحم الصيفي	٢٠٢١/٦/٢٣م
٣٧	برنامج: (الأمن والسلامة للصغار) وتعرف الأطفال على أهمية الدفاع المدني وكيف يتعامل أبطال الدفاع مع الحالات الطارئة	الدفاع المدني	٢٠٢١/٦/٣٠م
٣٨	برنامج: (المهارات المفيدة التي تساعد الأطفال على ممارسة أنشطة تنموية متنوعة)	نادي مكتبة منيرة الملحم الصيفي	خلال شهر يونيو



بين بورخيس وساباتو

صلاح القرشي



يجمع الصحافي الأرجنتيني أورلاندو بارون بين عملاقين هما خورخي لويس بورخيس، وإرنستو ساباتو في محاورات بوينس آيرس، الكتاب الذي نشرته دار شهريار بترجمة أحمد الويزي.

يتحدث أورلاندو بارون عنهما قائلا: حينما أنظر اليهما أدرك بأنهما ليسا من الجهة نفسها، لا أقصد الشارع أو الحيّ، وإنما الكون، ليس بمستطاع بورخيس أبدًا كتابة ملاك العتمات، كما أن ليس بمقدور ساباتو كذلك أن يكتب ألف.

ولعل بارون يشير هنا بشكل ما إلى اختلافهما السياسي العميق، مما جعلهما يشترطان بداية ألا تشمل هذه الحوارات أي خوض في السياسة، وهو الأمر الذي يعتقد ساباتو أنه في غاية الصعوبة.

يتحدثان عن الأحلام: يقول ساباتو: يمكن في المقابل أن يكون الحلم كالأدب تمامًا، فهو أشد اقناعًا من الواقع.

فيرد بورخيس: إن الحلم هو شكل من أشكال النسيان، ثم يستطرد: من دون الأحلام، والخيال، سيحل بنا اليأس والجنون.. فطور غداء عشاء شاي، ثم فطور غداء عشاء من غير طبق آخر فيه أحلام، لاشك أن الأمر سيكون غير محتمل.

وعن الأدب والسينما يقول بورخيس: اتصل بي أحدهم حديثًا، بغية تحويل قصة الميت إلى فيلم سينمائي.

نصحت المنتجين بعدم احترام القصة، وذكّرتهم بأن الأدب شيء والسينما شيء آخر؛ وأنه يتعين عليهم ألا يفرطوا في التمسك بالنص حرفيًا. كما ألححت على هذه النقطة بالذات: اعتماد القصة منطلقًا لا أقل ولا أكثر، وترك المخيلة حرةً بعد ذلك تحلق في دنيا الإبداع كيفما تشاء. وطلبت منهم كذلك ألا يشيروا إلى اسمي، ولا حتى الاكتفاء بمجرد ذكر أن «هذا الفيلم مستوحى من قصة الميت».

يعلق ساباتو: نقل الأدب إلى السينما عملية محفوفة بالكثير من المخاطر. أتذكر الفيلم الذي أنجز انطلاقًا من أوليسس لجيمس جويس. هذه الرواية التي كتبت على درجة عالية جدًا من الأدبية، ومن الصنعة اللغوية، وتعتمد في جوهرها على البناء اللفظي الخالص؛ فأي معنى يتحصل إذن، بعد نقلها إلى السينما؟ ثم إن لفظة «نقل» نفسها، تبدو في غاية من المخادعة.

يعلق بورخيس ضاحكًا: ما عدا حين يتم إعدادها من طرف من حاول عبثًا أن يقرأ رواية جويس فلم يفلح في فهمها.

في المحاورات، يعترف بورخيس أنه لم يقرأ للروائيين من أمريكا اللاتينية. يقول: عندما سأله ساباتو عن بعض الأسماء: أنا في هذه المسألة أتمسك بجهلي الذريع!

يتحدثان عن الترجمة، وكيف أنها أحيانًا عبرت بشعراء ونصوص إلى أفق أوسع.

يتحدثان عن الكتابة والكتب، عن القصة والرواية، والسينما والشعر، عن نفسيهما، وعن نوبل، وعن الآخرين. محاورات بوينس أيرس ممتعة لمن أحب وقرأ بورخيس وساباتو، وأحب الكتب مثلهما!

* كاتب سعودي.

